htm



البابا شنوده الثالث

تأملات في أمثال السيد المسيح

البابا شنوده الثالث



15 Parables said by Our Lord Jesus Christ

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print الطبعة الأولى

Nov. 2001 نوفمبر ٢٠٠١

Cairo القاهرة

الكتاب : أمثال السيد المسيح .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية – القاهرة

الرسومات : بيد الفنانة تاسونى سوسن .

الطبعة : الأولى نوفمبر ٢٠٠١م.

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست بالعباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتاب : ٢٠٠١/١٥٧٠٧

I.S.B.N. 977- 5345- 66- 9



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الكتاب

نقدم لك فى هذا الكتاب محاضرات ألقيناها فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة خلال عامى ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩.

إنها تشمل ١٥ مثلاً من أمثال السيد المسيح

★تسعة أمثال منها من أنجيل متى (مت٧، ١٣، ٢٥) .

وهى : مثل البيتين (مت٧)، ومثل الزارع (مت١٣)، ومثل **الحنطة والزوان** (مت١٣). ثم بعض أمثال عن النمو مثل: حبة الخردل (مت١٣). والخميرة (مت١٣)، والوزنات (مت٢٥).

ثم مثل الكنز المخفى ، واللؤلوءة الكثيرة الثمن (مت١٣) و**الكاتب المتعلم (مت١٣)**.

★ومثل واحد من أنجيل مرقس (مر٤: ٢٦- ٢٩).

هو مثل حبة القمح التى تنمو (ووضعناها ضمن أمثلة النمو).

★وخمسة أمثال من أنجيل لوقا هى: السامرى الصالح (لو١٠)، و**التينة غير المثمرة** (لو١٣)، والدرهم المفقود (لو١٥)، والغنى ولعازر (لو١٦)، و**الفريسى والعشار (لو١٨)**.

★ووضعنا تمهيداً لهذه الأمثال يسبقها . وذلك فى موضعين هما ملكوت السموات، والوكلاء. لتكرار هذين الأمرين فى كثير من أمثال السيد المسيح. وقد تكررت عبارة "يشبه ملكوت السموات" سبع مرات فى الأمثال التى وردت فى (مت١٣).

ونحن فى هذا الكتاب لم نذكر كل أمثال السيد المسيح .

إنما ما ذكرناه هو أمثلة للانتفاع بها روحياً .

وأمثال السيد المسيح متعددة فى أهدافها .

بعضها عن العمل بكلمة الله، كمثل البيتين .

والبعض عن اختلاف تأثير الكلمة فى القلوب كمثل الزارع .

وبعضها عن حروب الشيطان ، كمثل الزوان .

وبعضها عن النمو الروحى ، مثل أربعة أمثال ذكرناها: ثلاثة من أنجيل متى، وواحد أنجيل مرقس .

والبعض عن أهمية ملكوت الله، مثل الكنز المخفى .

والبعض عن الخدمة ومعنى كلمة القريب، كالسامرى الصالح .

والبعض عن عقوبة عدم الرحمة كمثل الغنى ولعازر.

والبعض عن عقوبة عدم الإثمار ، كمثل التينة .

ومثل عن الإتضاع في الصلاة ، كمثل الفريسى والعشار .

ومثل عن بحث الله عن الخطاة ، هو مثل الدرهم المفقود .

✠ ✠ ✠

وقد قسمنا الكتاب إلى ستة أبواب :

تشمل الوكلاء، والملكوت، والتوبة، وأمثلة عن النمو الروحى، وعديد من المقارنات. وأخيراً مثل السامرى الصالح.

المهم أن ننتفع روحياً بهذه الأمثال ، ليكون لها التأثير النافع فى قلوبنا، وفى أرادتنا.

أترك هذا الكتاب فى يديك أيها القارئ العزيز .

وأتركك أنت فى يدىّ الله المحب يرشدك ويقويك .

نوفمبر ٢٠٠١ **البابا شنوده الثالث**

الباب الأول

مجرد وكلاء...

إنسان له وكيل

«لو ١٦ : ١»

يا ترى مَن هو الوكيل الأمين

«لو ١٠ : ٤٢»

المالك والوكلاء :

بعض أمثال السيد المسيح تتحدث عن إنسان غنى له وكيل.. (لو١٦: ١) وهذا الوكيل يعمل فى كرم الرب .

فمن هو الغنى إلا الله العالى فى سماه، الذى له كل شئ وكل أحد.

أما (الوكيل) الذى يعينه الرب، فهو المسئول من قبله عن رعاية ما يكلفه الرب به للخدمة فى كرمه. والكرم هو الكنيسة، أو هو الشعب.

وهذا الوسيل ليس صاحب الكرم يتصرف فيه كما يشاء. بل هو مجرد خادم للرب، له صفة الوكيل. وهناك وقت معين يقول له الرب فيه "أعطنى حساب وكالتك" (لو١٦: ٢).

✠ ✠ ✠

قد يكون الوكيل نبياً من الأنبياء: مثل ارميا النبى الذى قال له الرب "أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك.." (أر١: ١٠). وقد حدّد له الرب فى تلك الوكالة ما يفعله.

وقد يكون الوكيل رسولاً: مثلما قال القديس بولس الرسول عن نفسه "قد أستؤمنت على وكالة" (١كو٩: ١٧). وتبعاً لذلك قال "إذ الضرورة موضوعة علىّ، فويل لى إن كنت لا أبشر" (١كو٩: ١٦).

وقد يكون الوكيل كاهناً: كما قال الرسول أيضاً "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يُسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً" (١كو٤: ١، ٢).

أو قد يكون الإنسان وكيلاً على موهبة أو نعمة :

فهو لا يملك تلك النعمة أو الموهبة يتصرف فيها كما يشاء حسب هواه! بل هو وكيل على الموهبة يستخدمها حسب مشيئة الله يخدم بها ملكوت الله وشعبه. وفى هذا قال القديس بطرس الرسول: "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١بط٤: ١٠).

لذلك رأيت أن أتأمل معكم فى عبارة (الوكيل) هذه، وما هى دلالاتها وأعماقها، وفى شروط الوكيل وطبيعة عمله. وما مدى تطبيق كلمة (الوكيل) على حياة كل منا .

✠ ✠ ✠

★أول شئ أقوله : إن الله مالك لكل شئ .

وفى ذلك قال المزمور "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز٢٤: ١)، فهو وحده الذى له الملك والقوة.." (مت٦: ١٣). وهو فيما يملك كل شئ، يملكنا نحن أيضاً .. نحن لا نملك أنفسنا ، ولا نملك ما فى أيدينا .

الله هو الذى يملكنا، ويملك ما نملك. ونحن مجرد وكلاء .

إننا وكلاء على أنفسنا ، وعلى أموالنا، وعلى حياتنا ووقتنا، ووكلاء أيضاً فى خدمتنا، وفى أسراتنا، وفى كل شئ .

✠ ✠ ✠

★أول وكيل من البشر كان آدم ، جدنا جميعاً .

خلقه الله ، وأوجد له حواء، وجعله وكيلاً له فى الجنة. وقال له ولامرأته "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض" (تك١: ٢٨) .

ونفس الكلام قاله الرب لأبينا نوح وبنيه (تك١٩: ١، ٢).

فكان آدم وكيلاً لله فى الجنة. وكان نوح وكيلاً له فى الفلك، وفى خارج الفلك أيضاً .

✠ ✠ ✠

وكانت الوكالة تحمل سلطاناً ، ولكن داخل وصية الله .

وهذا واضح من عبارة "أخضعوها وتسلطوا على.." التى قيلت لآدم وحواء. ومن عبارة " لتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض.." التى قيلت لنوح وبنيه .

كل هؤلاء الوكلاء كان لهم سلطان ، ولكن تحت سلطان الله .

لم يكن سلطان آدم ونوح سلطاناً مطلقاً، وإنما حسب وصية السيد الذى وكّلهم . ولهذا نجد أن آدم وحواء كان لهما سلطان على الجنة. أما شجرة معرفة الخير والشر فقد نهاهما الله عن الأكل منها (تك٢: ١٧). وكذلك نوح وبنيه نهاهم الله أن يأكلوا لحماً بحياته دمه" (تك٩: ٤).

✠ ✠ ✠

★نقرأ أيضاً عن طفل صغير وكلّه الله . هو صموئيل .

وكلّه على تبليغ رسالة منه إلى عالى الكاهن (١صم٣). ومن ذلك الحين عرف الجميع "أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب" (١صم٣: ٢٠).

ثم وكّل الرب صموئيل النبى فى مسح الملوك . فمسح شاول ملكاً (١صم١٠: ١، ٩). ومسح داود ملكاً (١صم١٦: ١٣)، مع كل ما تحمل تلك المسحة من حلول الروح القدس ومن موهبة التنبؤ .

★أيضاً ارميا – وهو فى حداثته – جعله الله وكيلاً له .

وقال له "أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك. لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض، وتبنى وتغرس" "إلى كل من أرسلك إليه تذهب، وتتكلم بكل ما آمرك به" (أر١: ١٠، ١٧) .

☩ ☩ ☩

★كل الأنبياء كانوا وكلاء لله ، وكل من دعاهم مسحاء له .

كلهم كانوا يبلغون رسالته للناس ، ويعملون ما يريده. وكان الواحد منهم يسمى "رجل الله". كما دُعى بهذا اللقب إيليا النبى (١مل١٧: ١٨). وكما دعى بهذا اللقب أيضاً أليشع النبى (٢مل٤: ٩) (٢مل١: ٢٧) (٢مل٥: ٨، ٢٠) .

★موسى النبى أيضاً كان وكيلاً للرب .

يبلغ رسالته إلى الشعب وإلى فرعون، وينفذ وصية الرب . وقد قال الرب عنه لهارون ومريم "أما عبدى موسى .. فهو أمين فى كل بيتي. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه.. وشبه الرب يعاين" (عد١٢: ٧، ٨). وكان موسى وكيلاً للرب فى تبليغ الوصايا العشر وباقى الوصايا، وفى بناء خيمة الاجتماع بكل ما تحوى من مذابح".

وهكذا قيل عن خيمة الاجتماع وكل محتوياتها "ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب، هكذا فعل" (خر٤٠: ١٦. وتكررت فى نفس هذا الإصحاح عبارة "كما أمر الرب موسى" (خر٤٠: ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٧، ٢٩، ٣٢).

إنه كوكيل لله، ينفذ كل ما أمره للرب به ...

وهكذا العاملون معه – فى كل ما صنعوه – تكررت عبارة "كما أمر الرب موسى" (خر٣٩: ٢١، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٤٢).

☩ ☩ ☩

★**يوسف الصديق أيضاً** : فيما كان وكيلاً لفوطيفار الذى "وكلّه على بيته، ودفع إلى يده كل ما كان له" (تك٣٩: ٤). كان فى نفس الوقت وكيلاً على الطهارة التى إئتمنه الله عليها. فقال لزوجة سيده لما أغرته "كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟!" (تك ٣٩: ٩) .

★**ويوحنا المعمدان** : مع أنه كان "أعظم من نبى" (مت١١: ٩)، إلا أنه فى تواضعه قال لليهود "أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح، بل انى مرسل أمامه. من له العروس، فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو٣: ٢٨، ٢٩).

على أنه كان أيضاً بلاشك وكيلاً للرب ، حينما بلّغ رسالته إلى الملك هيرودس قائلاً له: لا يحلّ لك أن تكون لك امرأة أخيك" (مت١٤: ٤) .

✠ ✠ ✠

★**هكذا كل من له رسالة معينة، هو وكيل لله فى هذه الرسالة.**

غلطة كبيرة أن يوجد إنسان فى خدمة، فيظن أنه صاحب الخدمة!!

فالكاهن فى الكنيسة ليس له أن يظن أنه صاحب الكنيسة !

وكذلك الأسقف فى الإيبارشية ، ليس هو صاحب الإيبارشية .

كل هؤلاء هم وكلاء . أما صاحب الكنيسة فهو الله. وصاحب الإيبارشية هو الله. وصاحب البطريركية هو الله. وصاحب الشعب كله هو الله . وكل هؤلاء الخدام الذين أقامهم، هم مجرد وكلاء .

✠ ✠ ✠

★**كذلك الأب والأم فى البيت :**

كل منهما .. فى محيط الأسرة – هو وكيل : فى تربية الأولاد. وكيل "يدبر بيته حسناً" (اتى٣: ٤) .

إنه وكيل له سلطان على أولاده : يكرمونه ويطيعونه ويخضعون له. ولكنه فى هذه الوكالة ، يضع أمامه قول الوحى الإلهى "أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا" (كو٣: ٢١) (أف٦: ٤) .

شـروط الوكيل وعمله :

أول صفة هى أن يكون فى مسئوليته "أميناً وحكيماً" .

وفى ذلك يقول السيد الرب "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه. طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده، يجده يفعل هكذا" (لو١٢: ٤٢، ٤٣) .

ومن الأمانة أن يقوم بواجبه بكل جدية وإخلاص، وتدقيق، لكى تأتى خدمته بالثمر المطلوب .

وعبارة "يعطيهم طعامهم فى حينه"، تعنى الطعام المادى والروحى .

تعنى كليهما معاً بقدر ما تحمل مسئوليته. فالأب فى البيت عليه أن يهتم ليس فقط بما تحتاجه أسرته من طعام مادى، وإنما من طعام روحى أيضاً، حسبما تقول الوصية فى سفر التثنية (تث٦: ٦، ٧)، وكذلك الأب الروحى – أسقفاً أو قساً – عليه أن يقدم الطعامين لرعيته . يهتم بما يلزمهم من روحيات، وأيضاً لا يغفل ما يحتاجونه مادياً .

وعبارة "طعامهم فى حينه" تعنى أنه لا يتأخر فى معونتهم .

وهذا يذكرنا بقول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعد غداً فأعطيك، وموجود عندك" (أم٣: ٢٧، ٢٨). ومن الناحية الروحية إن تأخر فى إطعام الطفل روحياً، ستصعب حالته حينما يصير شاباً. كذلك بعض المشاكل الروحية إن تأخرنا فى حلها ستتعقد. ينبغى إذن أن تحلّ فى حينها .

والوكيل الحكيم يعرف كيف يتصرف فى الأمور بالأسلوب اللائق .

لدرجة أن السيد الرب مدح وكيل الظلم، لأنه بحكمة صنع" (لو١٦: ٨) وفى اختيار الشمامسة السبعة، كان الشرط أن يكونوا "مملوئين من الروح القدس والحكمة" (أع٦: ٣). ومع أن المملوء من الروح القدس لابد أن يكون تلقائياً مملوءاً من الحكمة، إلا أن الآباء الرسل شددوا على صفة الحكمة .

✠ ✠ ✠

★من شروط الوكيل أيضاً أن يتاجر ويربح .

وهذا ما اهتم الرب به فى مثل الوزنات (مت٢٥: ١٤ – ٣٠)، وفى مثل الأمناء (لو ١٦: ١٥– ٢٦). كان لابد " للكل أن يتاجروا ويربحوا.. أصحاب الكثير منهم وأصحاب

القليل. وهكذا كافأ صاحب الخمس وزنات لأنه " تاجر بها وربح" (مت٢٥: ١٦)، وهكذا كافأ أيضاً صاحب الوزنتين . بينما عاقب صاحب الوزنة الواحدة لأنه دفن وزنته فى التراب ولم يربح (مت٢٥: ٢٤- ٣٠). وبالمثل فى مثل الأمناء .

وأنت هل تاجرت بكل موهبة منحك الله إياها، وربحت ؟

هل كل مسئولية أوكلها الله إليك نمت وازدهرت ؟

هل ربحت نفوساً للرب ؟ هل بنيت شيئاً فى ملكوته ؟

أم دفنت وزنتك فى التراب ؟ أم خسرتها هى أيضاً ؟!

* * *

★من شروط الوكيل الصالح أن ينفذ مشيئة سيده .

لا يكون حكيماً فى عينى نفسه" (رو١٢: ١٦)، وينفذ مشيئته الخاصة كما فعل شاول الملك (١صم١٥) فغضب عليه الرب، وفارقه روح الله (١صم١٦: ١٤). والوكيل الصالح لا ينفذ مشيئة الناس، كما فعل رحبعام بن سليمان، ففقد ملكه" (١مل٢: ٢- ١٦)..

بل ينفذ مشيئة الله، كما فعل موسى النبى. وهكذا كُتب فى سفر الخروج "ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب، هكذا فعل" (خر٤٠: ١٦). وتكررت عبارة "كما أمر الرب موسى" مراراً كثيرة (خر٣٩: ١) (خر٣٥: ٢٩) . وأيضاً داود النبى "كان قلبه كاملاً مع الرب إلهه" (١مل١١: ٤) .

* * *

★والمفروض فى الوكيل الصالح أن يضع فى نفسه، أنه سيعطى حساباً عن وكالته أمام سيده (لو١٦: ٢) .

لذلك عليه أن يكون ساهراً باستمرار على مسئوليته، لا يغفل عنها. كما قال السيد الرب "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو١٢: ٣٧) "لئلا يأتى بغتة فيجدهم نياماً" (مر١٣: ٣٦) .

* * *

★والوكيل الأمين الحكيم ، لا يهتم بذاته بل بمسئوليته .

وهكذا قرأنا فى سفر حزقيال النبى حكماً شديداً على الرعاة الذين يتصرفون هكذا . فقال السيد "إن غنمى صارت غنيمة. وصارت غنمى مأكلاً لكل وحش الحقل. إذ لم يكن راعٍ، ولا سأل رعاتى عن غنمى، ورعى الرعاة أنفسهم، ولم يرعوا غنمى لذلك.. هأنذا

على الرعاة، وأطلب غنمى من يدهم، وأكفّهم عن رعى الغنم، ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد. فأخلص غنمى من أفواههم، فلا تكون لهم مأكلاً" (حز٣٤: ٨- ١٠) .

لقد تكررت عبارة "رعى الرعاة أنفسهم" عدة مرات فى هذه الفقرة! كل أولئك كانوا وكلاء أردياء .

والرب هنا ينذرهم بما قاله قبلاً لوكيل الظلم "أنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد" (لو١٦: ٢). وهكذا قال فى سفر حزقيال النبى "وأكفهم عن رعى الغنم. فأخلص غنمى من أفواههم" (حز٣٤: ١٠).. وقال أيضاً للكرامين الأردياء "إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تصنع أثماره" (مت٢١: ٤٢) .

إن الله كما يمنح وكلاءه سلطاناً، فإنه يعرضهم أيضاً للعقوبة إن لم يسلكوا حسناً، إذ يأتى وقت يحاسبهم، وقد يكون ذلك "بغتة" ..

أنت كوكيل :

ليس الوكيل هو كل وكيل على شعب، أو على خدمة كنسيه، إنما أنت وكيل على ذاتك - كما سنرى - وعلى مسئولياتك .

١ - أنت وكيل على حياتك :

حياتك ليست ملكاً لك، إنما هى مِلك لله الذى خلقك من العدم، وأيضاً هى مِلك لله الذى افتداك واشتراك بثمن" (١كو٦: ٢٠) .

فأصبحت حياتك ليست ملكك، وإنما أنت وكيل على هذه الحياة، تتصرف فيها حسب مشيئة صاحبها الذى هو الله .

من هنا كان **الانتحار خطية**. لأن المنتحر لا يملك هذه النفس التى يقتلها، فهى مِلك لله.

وأيضاً **الإجهاض خطية** . لأن المرأة لا تملك هذا الجنين حتى تتصرف فيه كما تشاء وتحرمه نعمة الوجود . إنها مجرد وكيلة عليه، تحفظه لأجل صاحبه الذى هو الله" ...

وهكذا **قتل الغير خطية** لأنه كما أن الإنسان لا يملك حياته لينهيها، كذلك لا يملك حياة غيره ليحرمه منها. إنه بهذا لا يخطئ فقط إلى صاحب تلك النفس حتى يقتله ، بل يخطئ أيضاً إلى الله مالك تلك النفس .

✠ ✠ ✠

٢ - وكما أنك لا تملك حياتك ، كذلك لا تملك وقتك .

فوقتك هو جزء من حياتك . وأنت مجرد وكيل عليه، تتصرف فيه بما يمجد الله . والذى يبذر وقته بعيش مسرف ، إنما يضيع وزنة قد إئتمنه الله عليها .

لا تقل إن الله له يوم فى الأسبوع هو "يوم الرب" أعطيه له، أتصرف فى الباقى كما أشاء !! كلا، فالله له أيضاً بكور يومك ، حيث تقول له "يا الله ، إليك أبكر، عطشت نفسى إليك" (مز٦٣: ١). وله أيضاً نهاية يومك، حيث تقول له "كنت أذكرك على فراشى.." (مز١١٩). بل له كل دقيقة من دقائق حياتك، أنت وكيل عليها .. فهل تظن أن للرب يوماً واحداً فى الأسبوع ، وباقى حياتك ليست ملكاً للرب ؟! حاشا لك يا أخى ، أن تفصل ساعة واحدة من حياتك عن الله!، ولا حتى لحظة منها..

✠ ✠ ✠

٣ - أنت أيضاً وكيل على جسدك وروحك ..

وهكذا يقول الرسول "لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ٢٠). ما أعمق عبارة "التى هى لله" .. إذن هى ليست لك، وجسدك ليس لك، لأن الرسول يقول فى نفس الإصحاح "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح" (١كو٦: ١٥) . وأيضاً "الجسد ليس للزنا، بل للرب" (١كو٦: ١٣) .

مادام الجسد ليس ملكك بل للرب ، يجب أن تمجد الله فيه .

ما أجمل أيضاً فى ملكية الله لجسدك ، قول الرسول " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل الروح القدس الذى فيكم" (١كو٦: ١٩). لذلك ينذر قائلاً "إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس، الذى أنتم هو" (١كو٣: ١٧) .

مادام جسدك إذن ليس هو لك، بل للرب، ومادام هو هيكل الروح القدس، وأنت مجرد وكيل عليه، إذن إحفظه مقدساً لله ...

وكذلك روحك . إذ يقول الرسول "لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو٨: ١) .

الروح ملك لله ، لذلك يقول الكتاب عن حالة الموت "يرجع التراب إلى التراب كما كان. وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها" (جا١٢: ٧).

ومادمنا وكلاء على أرواحنا ، فلنهتم إذن بثمر الروح (غل٥: ٢٢،٢٣) وندرك أن اهتمام الروح هو حياة" (رو٨: ٦). ولنتذكر قول الرسول: "من يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل٦: ٨) .

وملامنا وكلاء على أجسادنا وأرواحنا، فلنبعد عما يتلف الجسد والروح، كالبعد عن النجاسة، وعن التدخين، والمخدرات، والسكر، وسائر العادات الرديئة. حتى الصوم ينبغي أن نسلك فيه بإفراز وتحت إرشاد. لأنه ليس هدفنا أن نقتل الجسد، بل أن نحفظه منضبطاً.

وأرواحنا علينا أن ننميها بالعمل الروحي، وبالتداريب الروحية.

فالله قد وهبنا الروح بنفخة من فمه (تك٢: ٧) لكي نكون وكلاء عليها، ننميها في محبته. ووهبنا الجسد لكي نكون وكلاء عليه، نحفظه طاهراً كهيكل للروح القدس .

✠ ✠ ✠

٤ – أنت وكيل أيضاً على عقلك وفكرك .

لقد خلقك الله مخلوقاً عاقلاً. ووهبك هذا العقل لكي تكون وكيلاً عليه. لا تستعمله إلا في الأمور الصالحة، ولا تخزن فيه إلا كل فكر نقي. حتى لا يخرج من عقلك الباطن ما يعكر نقاوتك، وما يسئ إلى عواطفك، وما يسئ إلى علاقتك بالله والناس ...

عقلك هو مخزن لأفكارك ، وهو المدبر لها . هو يستقبل من الحواس، ويصدّر إلى القلب، ويشعل الأحاسيس، ويقود الإرادة. وأنت كوكيل لهذا العقل، عليك أن تضبطه في المسار السليم، وتوقفه إذا انحرف ...

أما إن تركت عقلك يسرح حيثما يشاء بلا ضابط، فسوف يسألك الله عنه قائلاً "اعطني حساب وكالتك". وتدان على عدم ضبطك للفكر، وما ينتج عن ذلك .

✠ ✠ ✠

٥ – أنت أيضاً وكيل على مالك :

المال الذي عندك، ليس هو لك. إنما أنت وكيل عليه، تتصرف فيه كما يريد إلهك أن تتصرف. لا تقل أنا حرّ في مالي، افعل به ما أشاء! لا تقل إن الله لا يملك من مالي سوى العشر، والباقي أنا حرّ فيه، لا شأن لله به!! كلا، فأنت مسئول أمام الله عن كل ما تنفقه، لأنك مجرد وكيل ، ولست تملك في واقع الأمر ما عندك.

انظر ، كيف أن الناس عندما تبرعوا لبناء الهيكل، قالوا للرب "منك الجميع، ومن يدك اعطيناك" "أيها الرب، كل هذه الثروة التي هيأناها لنبني لك بيتاً لاسم قدسك، إنما هي من يدك، ولك الكل" (١أى ٢٩: ١٤، ١٦) .

إذن الله هو صاحب المال. وما تنفقه منه ينبغي أن يكون حسب مشيئته. سواء كان ما

تنفقه هو من مالك، أو مال الكنيسة، أو مال جمعية، أو إحدى المؤسسات. في كل ذلك أنت مجرد وكيل .

والناس في تصرفهم في المال ينقسمون إلى قسمين: قسم بخيل، يده مقبوضة لا تنفق إلا بصعوبة، ويظن أن البخل لون من الأمانة في المال. وقسم آخر يبعثر المال، وينسى أنه مسئول عما يبعثره!! والوضع الصحيح هو الحكمة في التدبير ...

أنت أيضاً وكيل على البكور والعشور: إذا لم تعطها لأصحابها من الفقراء أو الكنيسة، يكون هذا المال الذي احتجزته عندك ولم تقدمه لأصحابه هو مال ظلم، ظلمت أصحابه فيه. وعنه قد قال الرب "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم" (لو١٦: ٩). فالفقراء الذين تعطيهم من هذا المال المحجوز عندك وهو من حقهم، سيصلون لأجلك إن أعطيتهم إياه.

والكتاب صريح في هذه النقطة . إذ يقول الرب في سفر ملاخي النبي: "أيسلب الإنسان الله؟! فإنكم سلبتموني. فقلتم بما سلبناك؟.. في العشور والتقدمة.." (ملا٣: ٨) .

ليس فقط من جهة العشور والبكور والتقدمة، بل إن الله بصفته صاحب المال كله، فإنه يقول لك كوكيل له على هذا المال "من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده" (مت٥: ٤٢) .

بعد هذا نسأل : هل الذين يعيشون في ترف زائد، وينفقون على أنفسهم بإسراف في شتى الكماليات، ولا يعطون الفقراء: هل هؤلاء أمناء كوكلاء على المال؟! أم أنهم في إنفاقهم يحابون أنفسهم على حساب الفقراء! .

✠ ✠ ✠

٦ - أنت إذن وكيل على خدمة الفقراء .

سواء من مالك الخاص، أو من مال الكنيسة، أو مال مؤسسات خيرية. مشكلة بعض الهيئات أنها تساعد الأسرات الفقيرة بأسلوب روتيني عن طريق كشف به مساعدات موحدة ثابتة تصرف لكل أسرة، دون بحث احتياجاتها عملياً، وسداد هذه الاحتياجات ! مما يلجئ هذه الأسرات المحتاجة أن تطلب من مصادر متعددة.. ويتهمونها حينئذ بالاحتيال! فلا هم أعطوها كل ما يسد احتياجاتها، ولا تركوها وشأنها تطلب من غيرهم!!

كوكلاء عن الفقراء، ليس هذا الأسلوب مقبولاً منهم، ولا هو مقبول عند الله! إنما الوكيل الأمين يبحث كل متطلبات الفقير ويتأكد من استيفائها.

يقولون وماذا عن المحتالين، الذين يطلبون من الكل بغير احتياج؟! نقول لقد وصف

الرب الوكيل بأن يكون أميناً حكيماً. والحكمة تقتضى أن مال الرب الخاص بالمحتاجين، لا يُعطى للمحتالين. ويأتى هذا بالبحث الجيد للحالات، وتنسيق العطاء بين كافة الهيئات...

إن هدف كل من يقدم العشور أن يصل عطاؤه إلى الله، وإلى الفقراء بالذات. وعلينا كوكلاء أمناء للفقراء أن نطمئن على وصول العطاء إليهم .

✠ ✠ ✠

٧ – أنت أيضاً وكيل فى الخدمة الروحية .

يقول القديس بولس الرسول فى هذا الأمر "قد استؤمنت على وكالة" "فويل لى إن كنت لا أبشر" "إذ الضرورة موضوعة علىّ" (١كو٩: ١٧، ١٦). إذن هى وكالة. وويل لمن لا يقوم بوكالته ..

أنت مثلاً مدرس فى مدارس الأحد ، والضرورة موضوعة عليك أن تعلمهم فى هذه السن. وقد استؤمنت على هذه المسئولية التى أوكلتها الكنيسة إليك، فويل لك إن لم تقم بها بكل أمانة، بأن تغرس فيهم الإيمان ومحبة الله، ومعرفة العقيدة وممارسة الفضائل. وإلا فإن الله سيقول لك "أعطِ حساب وكالتك" (لو١٦: ٢). ويحاسبك على كل نفس ضلّت بسبب أهمالك أو تقصيرك.

ونفس الكلام نقوله عن الوكلاء على خدمة الشباب.

ونقوله أيضاً للآباء الكهنة فى خدمة الشعب وافتقاده، وحلّ مشاكله، وارشاده وتلقى اعترافاته، كوكلاء أمناء، الضرورة موضوعة عليهم. وسيطالبهم الله بدم كل إنسان أهملوه، فمات فى خطيته بسببهم (حز٣: ١٨) (خر٣٣: ٨).

ما أجمل وأعمق التقرير الذى قدمه ربنا يسوع المسيح عن خدمته لله الآب فى (يو١٧). قال له فيه "أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى" "حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك.. ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" "عرفتهم اسمك، وسأعرّفهم. ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٦) .

✠ ✠ ✠

٨ – وفى الخدمة الروحية، أنت أيضاً وكيل على التعليم الدينى.

فتقدم التعليم الكتابى ، الأرثوذكسى، السليم. كما قال القديس بولس لتلميذه تيطس "أما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح" (تى٢: ١) .

نقول هذا لأن البعض يعلّم فكره الخاص وليس تعليم الكنيسة!! ويحاول أن يلغى

المفهوم العام الراسخ فى إيمان الناس، ليبتدع مفهوماً جديداً يقدمه لهم. وهكذا يقع فى بدعة، ويشغل طاقات الكنيسة فى الرد عليها!! كل ذلك ليثبت أنه يفهم ما لا يفهمه غيره..

ولهذا قال القديس يعقوب الرسول "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتى، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم. لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا" (يع٣: ١، ٢) .

وقد حارب السيد المسيح هذا النوع من الناس، كالكتبة والفريسيين، وقال عنهم إنهم "قادة عميان"، وأظهر أخطاءهم فى التعليم (مت٢٣).

لذلك أحرص فى خدمة التعليم – كوكيل أمين – أنك لا تقدم للناس تعليماً، إلا لو كان لك عليه شاهد من الكتاب المقدس، وبتفسير سليم حسب عقيدة الكنيسة، سواء فى ذلك خدمة المنبر، أو التأليف، أو الأرشاد، أو خدمة الكلمة عموماً.

ومن حرص الكنيسة على التعليم السليم، قول القديس بولس الرسول "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما" (غل١: ٨). وقال القديس يوحنا الرسول "إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام.." (٢يو١٠: ١١). ومن حرص الكنيسة على التعليم، أنها عقدت المجامع المسكونية والأقليمية لتحفظ سلامة التعليم من البدع.

✠ ✠ ✠

٩ – أنت أيضاً وكيل على المواهب التى يمنحك الله إياها .

"كل موهبة صالحة هى من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار" (يع١: ١٧) وهى معطاة منه، لأجل البنيان .

وأنت كوكيل على كل موهبة يعطيك الله إياها، لتستخدمها لمجد إسمه، وليس لمجدك الخاص. كما قال المرتل فى المزمور "ليس لنا يارب ليس لنا، لكن لاسمك القدوس أعطِ مجداً" (مز١١٥: ١) .

لقد وهب الله بعض الناس موهبة العلم، فاستخدموه فى الاستنساخ وفى بنوك البويضات المخصبة، وفى الأسلحة المدمرة..! واستخدمت ايزابيل ذكاءها فى مساعدة زوجها آخاب الملك على سلب حقل نابوت اليزرعيلى وقتله (١مل٢١). وحاول أخيتوفل استخدام ذكائه للفتك بداود الملك (٢ صم١٥: ٣٢) . ووهب الله دليلة جمالاً فاستخدمته للسيطرة على شمشون وإيقاعه (قض١٦). أما أنت فلا تكن كذلك.

إن وهبك الله موهبة، فكن وكيلاً صالحاً عليها. سواء موهبة فى الفن والرسم، أو

الشعر والموسيقى (كما كان يفعل داود). وإن وهبك ذكاء وحكمة، أو وهبك جمالاً. ليكن كل ذلك لبناء ملكوته، ولمنفعة المجتمع والكنيسة.

لا تكن مثل الذين يطلبون من الله موهبة الألسنة، لكى يفتخروا بها، ويظهروا أنهم قد وصلوا إلى حالة الملء من الروح !!

وإن وهبك الله قوة، فكن وكيلاً عليها لاستخدامها فى الخير .

لقد وهب الله أبيجايل حكمة ، فاستخدمتها فى نصح داود وانقاذه من الانتقام والقتل (١صم٢٥: ٣٣). فكانت وكيلة أمينة على الموهبة .

كل موهبة هى نعمة من الله. وقد نصحنا القديس بطرس الرسول قائلاً "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١بط٤: ١٠) .

✠ ✠ ✠

١٠ - أخيراً الوكالة على سرائر، وهى خاصة برجال الكهنوت

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول "فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح، ووكلاء سرائر الله" (١كو٤: ١) .

فالأب الكاهن أعطاه الله فى سر الكهنوت سلطان الحل والربط (مت١٨: ١٨) فليكن وكيلاً أميناً على هذا السلطان لا يستخدمه إلا بحكمة وعدل. وأعطاه إقامة سر الزواج، فكوكيل أمين لا يعطيه إلا حسب قانون الكنيسة ، وبخاصة الذين يريدون الزواج بعد الطلاق، أو يكونون من طائفة أخرى .

وكوكيل على سر التناول، لا يمنحه إلا لمستحقيه .. وهكذا ...

الباب الثانى

ملكوت السموات

(أ) مثل الكنز المخفى - واللؤلؤة كثيرة الثمن «مت ١٣ : ١٤، ١٥»

(ب) كل كاتب متعلم يخرج من كنزه جدداً وعتقاء

«مت ١٣ : ٥٢»

ملكوت السموات :

غالبية أمثال السيد المسيح تبدأ بعبارة "يشبه ملكوت السموات.." ولاشك أنه يُفهم من هذه الحقيقة الآتى :

إن موضوع ملكوت السموات كان يشغل السيد الرب ..

وكان يشغله من بدء رسالته على الأرض ..

فمثلاً نقرأ فى أول اصحاح من إنجيل مارمرقس أن السيد الرب "جاء إلى الجليل، يكرز ببشارة الملكوت. ويقول قد قرب الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر١: ١٤). وفى ذلك يقول عنه إنجيل متى إنه كان "يطوف كل الجليل، يعلّم فى مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب" (مت٤: ٢٣) .

وتبدأ عظته على الجبل بعبارة "ملكوت السموات" أيضاً فيقول "طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السموات" (مت٥: ٣) . ويكرر عبارة "ملكوت السموات" فى قوله "طوبى للمطرودين من أجل البر، فإن لهم ملكوت السموات" (مت٥: ١٠) ويقول أيضاً "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت٥: ٢٠) . وعبارة "السموات" تتكرر مراراً فى هذه العظة .

✠ ✠ ✠

فما معنى قوله "قد اقترب الملكوت" (مر١: ١٤) .

لاشك أن الله يملك السموات والأرض . وقد قيل فى المزمور "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز٢٤: ١) . ونقول له كل يوم فى آخر الصلاة الربية

"لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين" (مت٦: ١٣) .

لكن أتى وقت بدأ فيه الشيطان يختطف هذا الملك عملياً. وقيل عنه في الإنجيل إنه "رئيس هذا العالم" (يو١٤: ٣٠) (يو١٦: ١١). وهكذا تمكن الشيطان أن يقود العالم القديم إلى الفساد وإلى الوثنية وعبادة الأصنام. واستمر هذا الأمر حتى بداية المسيحية حيث كانت تقاوم من الوثنية مقاومة شديدة .

ولما بدأ السيد المسيح رسالته ، قال قد اقترب الملكوت، ولم يقل قد جاء الملكوت، لأن الملكوت بدأ على الصليب، حينما ملك الرب إذ اشترانا بدمه...

فنادى السيد : قد كمل الزمان، زمان النبوءات والرموز التي تحققت . واقترب الملكوت . لأنه لم تبقَ سوى حوالي ثلاث سنوات ونقول "الرب قد ملك ولبس الجلال" (مز٩٣: ١) "الرب قد ملك، فلتبتهج الأرض" (مز٩٧: ١). إنه ملكوت أعده الرب بصليبه، لكي يناله الناس بالإيمان والتوبة. لذلك قال "فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر١: ١٤).

وهكذا نادى الرب بملكوت السموات وقال "وأما من عمل وعلّم، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات" (مت٥: ١٩) .

✠ ✠ ✠

وذكر للناس أمثالاً كثيرة تبدأ بعبارة "يشبه ملكوت السموات"..

ومن ضمنها الأمثلة التي قالها عن الزارع ، وعن الحنطة والزوان، وعن الخميرة، وحبة الخردل، والكنز المخفي في الحقل، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والشبكة المطروحة في البحر، والكاتب المتعلم الذي يُخرج من كنزه جدداً وعتقاء .. وكل هذه قد كتبت في الإصحاح ١٣ من إنجيل متى .

يضاف إليها مثل العذارى، ومثل الوزنات في (مت٢٥) .. إلخ .

وأمثالاً كثيرة وردت في إنجيلي متى ولوقا .

وحتى بعد قيامته ، قضى مع تلاميذه أربعين يوماً "يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع١: ٣). وعلمنا أن نصلي قائلين "ليأتِ ملكوتك" (مت٦).

✠ ✠ ✠

ونحن نعترف به كملك. ونناديه قائلين "ياملك السلام، اعطنا سلامك". وفي مقدمة قراءة الإنجيل نقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا..". وفي سفر الرؤيا رآه القديس يوحنا جالساً على عرشه (رؤ٤: ٢، ٣). ونرتل له في المزمور قائلين "قامت الملكة عن

يمينك أيها الملك" (مز٤٥). وفى يوم الجمعة الكبيرة من أسبوع الآلام ، نرتل له ذلك المزمور العجيب "عرشك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز ٤٥: ٦).

ونحتفل به فى أحد الشعانين كملك . وقد تحدث دانيال النبى عن ملكوته فقال "سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول. وملكوته ما لا ينقرض" (دا٧: ١٤) .

✠ ✠ ✠

على أنه لاتزال هناك مقاومات لملكوته .

لايزال العدو يزرع زواناً وسط حنطته (مت١٣: ٢٥).

ولعلنا نسأل متى تنتهى هذه المقاومة؟ ستنتهى حينما "يسلّم الملك لله الآب" "وتبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة" "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. وآخر عدو يبطل هو الموت" (١كو١٥: ٢٤- ٢٦) .

✠ ✠ ✠

وحينئذ يبدأ الملكوت الأبدى ..

لا تكون هناك خطية، ولا موت. ولا يكون هناك عمل للشيطان. وبملكوت الله يملك البر. "حينئذ يضئ الأبرار فى ملكوت أبيهم" (مت١٣: ٤٣). ويملك الرب على الأرواح والأجساد. كما قيل عنه إنه "إله أرواح جميع البشر" (عد٢٧: ١٦). وعندما أقام لعازر من الموت، لم يقم جسده فقط، بل نادى على روحه أيضاً، حينما قال : "لعازر هلّم خارجاً" (يو١١: ٤٣) .

أســرار الملكوت :

وأمثـال الملكوت :

السيد المسيح له المجد شبه الملكوت للشعب بأمثال، ولما سأله تلاميذه "لماذا تكلمهم بأمثال؟" (مت١٣: ١٠) أجابهم بقوله :

"لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله"

"وأما لهؤلاء ، فلم يعطَ" (مت١٣: ١١) .

فأسرار ملكوت الله قد أعطيت لتلاميذ الرب، وليس لباقى الناس. وهذه الأسرار الخاصة بالملكوت كثيرة. وقد تحدث بولس الرسول عن السر المكتوم فقال "أعطيت هذه

النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح.. وأنير الجميع فى ما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور" (أف٣: ٨، ٩) وأيضاً قال "..السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال. ولكنه الآن أظهر لقديسيه.." (كو١: ٢٦). أنظر أيضاً (رو١٦: ٢٥) .

✠ ✠ ✠

فما هى أسرار ملكوت الله هذه ؟

★لعل فى مقدمتها سر التجسد والفداء. حيث يقول القديس بولس الرسول أيضاً "عظيم هو سرّ التقوى، الله ظهر فى الجسد.." (١تى٣: ١٦) .

★كذلك سرّ اتحاد المسيح بالكنيسة كعروس للمسيح، حيث قال "..ويصير الإثنان جسداً واحداً. هذا السرّ عظيم. ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف٥: ٢١، ٢٢) .

★سرّ آخر خاص بالقيامة والمجئ الثانى، حيث قال "هوذا سرّ أقوله لكم : لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوّق، فيقام الأموات عديمى فساد، ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت" (١كو١٥: ٥١- ٥٣) .

✠ ✠ ✠

★سرّ آخر هو عن إيمان اليهود فى آخر الزمان، وعنه قال الرسول: "لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السرّ.. أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو١١: ٢٥، ٢٦). أى يخلصون بدخولهم فى الإيمان، خلاصاً روحياً..

★وما أكثر أسرار الملكوت كما وردت فى الكتاب. ولكن ليس مجالها الآن..

✠ ✠ ✠

هناك أسرار أعلنها الرب لتلاميذه، واقول خصهم وحدهم بها. لذلك عندما تحدث عن الاستعداد لمجئ الرب، سألوه :

"ألنا قلت يارب هذا المثل، أم قلته للجميع أيضاً" (لو١٢: ٤١).

فقال لهم "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم طعامهم فى حينه.." (لو١٢: ٤٢).

إذن فالتلاميذ كانوا يختلفون عن الجميع فيما يعرفونه من الرب. فقد أعطيت لهم

أسرار الملكوت، ولم تعطَ للجميع .

فلماذا لم تعطَ لأولئك؟ ربما من أجل قساوة قلوبهم. وأيضاً بسبب رفضهم له. ولأن لهم عيون لا تبصر "فهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون" (مت١٣: ١٣). أما عن التلاميذ ، فقد قال الرب لهم :

"لكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت١٣: ١٦) .

فإن أردتم أنتم أيضاً أن تصل إليكم أسرار الملكوت، ينبغى أن تكون لكم العيون التى تبصر، والآذان التى تسمع. التى تحب أن تسمع، وتفهم ما تسمع ..

إذن تلاميذ الرب لم يكونوا كالباقين الذين أغلقوا عيونهم لكى لا ترى، وسدوا آذانهم لكى لا تسمع.. الذين كانت قلوبهم ثقيلة. يسمعون الكلمة ولا يلتقطونها، ولا يدخلونها إلى قلوبهم. بل يهربون مما يحتاجون إليه!!

✠ ✠ ✠

وهكذا قال الرب لتلاميذه فى تعريفهم أسرار الملكوت :

"فإن من له ، يعطى فيزداد" .

"أما من ليس له ، فالذى عنده سيؤخذ منه" (مت١٣: ١٢) .

فما معنى هذه العبارة ؟ وكيف يمكن إنطباقها ؟

★معناها : إن الذى يقبل كلمة الله ، يُعطى إدراكاً روحياً لفهمها. والذى عنده الفهم الروحى، يُعطى إرادة قوية لكى ينفذ .

★أما الذى لا يقبل كلام الله، ولا يريد ذلك ، فحتى الكلمة التى أعطيت له تُنزع منه. لأنه لم يخبئها فى قلبه .

★الذى يسمع ويعمل، يعطى معرفة أكثر. يؤتمن على المعرفة، ويُعطى إنكشافاً أكثر (Revelation) . أما الذى لا يستفيد من المعرفة، فإن هذه المعرفة تُنزع منه .

★الذى له القلب المشتاق والمحب لمشيئة الله، تُعطى له الإرادة القادرة على القيام بهذه المشيئة وتحويلها إلى عمل ...

★والذى ليس له هذا الاشتياق ، فلا يكشف له الله مشيئته .

(ومن له أذنان للسمع فليسمع)

(أ)

مَثَل الكَنز المخفى واللؤلؤة الكثيرة الثمَن

(مت ١٣ : ١٤، ١٥)

قال السيد الرب "يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفى فى حقل، وجده إنسان فأخفاه. ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل". "وأيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت١٣: ١٤، ١٥) .

هنا نجد نوعين فى طريقة الحصول على الكنز: نوعاً وجده بدون قصد ولا جهد. ونوعاً آخر سعى حتى وجد .

✠ ✠ ✠

النوع الذى وجد الكنز دون سعى، مثاله شاول الطرسوسى :

إنه لم يكن يسعى إطلاقاً إلى المسيح ولا إلى ملكوته، بل كان سائراً فى اتجاه عكسى تماماً. ولكنه وجد هذا الكنز فى الطريق دون أن يقصد "دون أن يشاء أو يسعى" (رو٩: ١٦). بل قابله الرب فى طريق دمشق، وعاتبه ودعاه إلى خدمته ليكون إناء مختاراً ورسولاً إلى الأمم (أع٩: ١- ١٥) .

فلما وجد شاول هذا الكنز، باع كل ما كان له وإشتراه (مت١٣: ٤) . وقال فى ذلك: "..من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى، الذى من أجله خسرت كل الأشياء – وأنا أحسبها نفاية – لكى أربح المسيح وأوجد فيه" (فى٣: ٧- ٩) .

✠ ✠ ✠

وبنفس الوضع بطرس وإندراوس ، وفيلبس ونثنائيل، ومتى.

ما كان واحد منهم يسعى ليكون خادماً للمسيح، بل ما كانوا يعرفونه.. كان سمعان وإندراوس أخوه صيادين. وفيما كانا يلقيان شبكة فى البحر، قال لهما الرب "هلمّ ورائى، فأجعلكما تصيران صيادى الناس. فللوقت تركا شباكهما وتبعاه" (مر١: ١٦- ١٨).

ونفس الوضع حدث مع يعقوب بن زبدى ويوحنا أخيه. وجدهما الرب "وهما فى السفينة يصلحان الشباك . فدعاهما للوقت . فتركا أباهما زبدى فى السفينة مع الأجراء، وذهبا وراءه" (مر١: ١٩، ٢٠) .

وتكرر نفس الوضع أيضاً مع تلميذ آخر، أو تكرر مع آخر صار تلميذاً: فيما كان الرب مجتازاً، "رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متّى. فقال له اتبعنى. فقام وتبعه" (مت٩: ٩) . تكررت القصة أيضاً مع فيلبس ونثنائيل (يو١: ٤٣- ٥١) .

✠ ✠ ✠

ما كانوا يسعون وراء لآلئ حسنة (مت١٣: ٤٥). وإنما الرب هو الذى جاء إلى طريقهم. وكل منهم وجد هذا الكنز المخفى، فباع من أجله كل شئ" (مت١٣: ٤٤) .

هم لم يسعوا لإقتناء الكنز، إنما وجدوه فى طريق الحياة، وباعوا كل شئ من أجله: تركوا السفينة والشباك والأب ومكان الجباية، وهم يقولون له " تركنا كل شئ وتبعناك " (مت١٩: ٢٧) (مر١٠: ٢٨).

✠ ✠ ✠

النوع الآخر الذى سعى وتعب حتى وجد الرب: مثاله أوغسطينوس وموسى الأسود. أحدهما كان فاجراً، والآخر كان قاتلاً .

بجهاد كثير أمكن لأوغسطينوس أن يجد الرب: لم يجده فى ملاذ العالم، ولم يجده فى الفلسفة، إذ كان "يطلب لآلئ حسنة" . وأخيراً قال له "لقد تأخرت كثيراً فى حبك، أيها الجمال الفائق الوصف" "كنت يارب معى. ولكننى، من فرط شقاوتى لم يكن قلبى معك.. وبعد السعى والجهد، وجد أوغسطينوس "اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن" (مت١٣: ٤٦) "فباع كل شئ واشتراها" باع الفلسفة، وباع ملاذ العالم. ووجد المسيح وملكوته .

وبنفس القصة – ولكن بوجه آخر – وجد موسى الأسود الكنز المخفى وجده مخفياً فى حياة البرية والسكون، فى حياة الوداعة والصلاة. فباع من أجله كل شئ واشتراه .

✠ ✠ ✠

كل من النوعين: الذى سعى، والذى لم يسعَ – فرح بما وجده.

فرح بهذا الكنز الذى هو المسيح ، وباللؤلؤة الكثيرة الثمن التى هى متعة الحياة مع الرب. وجد أن كل ملاذ العالم لا تساويها وكذلك كل غنى العالم وسلطانه . وهذا أيضاً هو ما حدث مع موسى، حينما كان أميراً فى قصر فرعون: يقول عنه الكتاب إنه "حسب عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر" لذلك "أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون" ورفض أن يكون له تمتع وقتى بالخطية" (عب١١: ٢٤- ٢٦) .

الأمور المشتركة فى كل أصحاب الأمثلة السابقة : أنهم وجدوا الكنز، وفرحوا به، وباعوا كل ما كان لهم من أجله.

✠ ✠ ✠

وهنا نسأل : ما هو الكنز ؟

★من الجائز أن يكون هو الملكوت . إذ قيل فى بداية المثل "يشبه ملكوت السموات" . فالكنز هو الملكوت، أو هو الخلاص .

★ويمكن أن يكون الرب نفسه هو الكنز ، كما تقول المزامير " الرب قد ملك " (مز٩٣: ١) (مز٩٦: ١٠) (مز٩٧: ١) (مز٩٩: ١). لأن الملكوت هو ملكوت الرب. فيكون الكنز هو الرب وملكوته .

★ويمكن أن نقول إن الكنز هو "النصيب الصالح الذى لن ينزع منا" . كما قال الرب لمرثا أخت مريم. ووصف هذا النصيب الصالح وأهميته ، بعبارة : "ولكن الحاجة إلى واحد" (لو١٠: ٤٢) .

وعلى أية الحالات ، كل هذه تعبيرات تؤدى إلى معنى واحد .

✠ ✠ ✠

قيل إن هذا الكنز كان مخفى فى حقل .

وهنا نضع أمامنا ملاحظة عجيبة . وهى أن كثيراً من الناس إذا رأوا حقلاً، يهتمون بالشئ الظاهر فيه، أى يهتمون بما فيه من أشجار، ومن ثمار وخضروات وباقى المزروعات.. دون أن يهتموا بما هو مكنوز فيه..! بينما الكنز المخفى فى الحقل هو أهم ما فيه..

مثال ذلك مَنْ تعجبه آية فيحفظها ويكررها، دون أن يدرك العمق الذى فيها، واللؤلؤ الكثير الثمن الذى فيها! هذا الذى لا يجده إلا بتأمل روحى عميق. مثل هذا اهتم بالحقل فى

مظهره الخارجى، دون الكنز المخفى فيه ...

وأحياناً يكشف الله لنا تلك المعانى الروحية دون أن نطلب .

تصلى مثلاً مزموراً طالما كررته من قبل. ولكنك فى مرة معينة ينكشف لك جمال معين فى بعض آياته، ما كنت تراه قبلاً، ولم تسعَ إلى فحصه والتأمل فيه.. وتشعر أنك وجدت كنزاً مخفى فى حقل ...

✠ ✠ ✠

يوصف الكنز بأنه شئ ثمين كان مخفى. والكل يطلبونه ، ويفرحون عندما يجدونه. ويتعلق قلبهم به. ولذلك يقول الكتاب :

"حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضاً" (مت٦: ٢١) .

أنت مثلاً – من جهة الإيمان – وصلك هذا الكنز ، دون أن تتعب فى البحث عنه والسعى إليه. كما قال بولس الرسول عن مواطنته الرومانية "أما أنا، فقد وُلدت فيها" (أع ٢١: ٢٨). هكذا أنت وُلدت فى الإيمان ...

ما أكثر الذين يتعبون ويبحثون، لكى يصلوا إلى هذا الإيمان الذى نلته أنت بسهولة. وهم مثل التاجر الذى يطلب لآلئ حسنة. ويظل يبحث حتى يجد أخيراً اللؤلؤة الكثيرة الثمن" . فيفرح بها .

وإن كنت أنت قد وجدت هذه اللؤلؤة الثمينة، بدون تعب.. فهل استجبت لها، وثبت فيها، وبعت كل شئ من أجلها ؟

✠ ✠ ✠

أما إن كان الكنز هو كتابنا المقدس :

فكلمة (مخفى) تدل على المعانى العميقة المخفاة فيه، التى لا يراها كل أحد.. كم من معانٍ وحقائق كانت مخفاة فيما يحويه الكتاب المقدس من رموز ونبوات. كان اليهود يقرأونها "والبرقع موضوع على قلوبهم" (٢كو٣: ١٥). فما كانوا يفهمون ولا يدركون، ولا ينكشف الكنز لهم..!

ما أكثر النبوءات الموجودة فى سفر اشعياء النبى، وفى رؤى دانيال النبى، ورؤى حزقيال ، وفى المزامير. ولكنها كانت كنوزاً مخفاة فى حقل. وكان الحقل هو الكتاب المقدس .

ولذلك فإن الرب ، لما ألتقى بتلاميذه بعد القيامة، قيل عنه :

"حينئذ فتح ذهنهم، ليفهموا الكتب" (لو٢٤: ٤٥) .

وقال لهم هكذا كان مكتوب ، وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث ، ويكرز باسمه.." .

ولما قابل تلميذى عمواس بعد القيامة "ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب" (لو٢٤: ٢٥- ٢٧) .

✠ ✠ ✠

كلها كنوز مخفاة فى حقل، مثل كنوز فى سفر الرؤيا لا تزال مخفاة عنا ، ومثل قوله لرسله القديسين "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه.." (أع ١: ٧). ومثال ذلك أيضاً كثير من الأرقام فى الكتاب، تمثل كنوزاً مخفاة فى حقل .

من أجل الكنوز المخفاة فى الكتاب، نقول للرب فى صلواتنا :

"غريب أنا على الأرض، فلا تخف عنى وصاياك" وأيضاً "أكشف عن عينىّ، فأرى عجائب من ناموسك" (مز١١٩: ١٧، ١٨) .

ليتنا إذن نقرأ الكتاب بعمق ، لنعرف الكنوز المخبأة فيه، ولا نكتفى بقراءة سطحية تهتم بزهور الحقل دون كنوزه! وإن لم نعرف، علينا أن نقرع باب الله لكى يفتح لنا، فنأخذ من تلك الكنوز "جدداً وعتقاء" (مت١٣: ٥٢) .

✠ ✠ ✠

قيل فى هذا المثل إنه لما وجد الكنز أخفاه (مت١٣: ٤٤). فماذا تعنى كلمة (أخفاه)؟ إنها تذكرنا بقول المرتل فى المزمور :

"أخفيت أقوالك فى قلبى، لكى لا أخطئ إليك" (مز١١٩: ١١) .

أى كنزتها فى قلبى ، أغلقت عليها فى قلبى، حتى لا تخرج منه. وفيما هى فى قلبى، تختلط بمشاعرى وأحاسيسى، وتصبح جزءاً من كيانى .

هذا كله من جهة كلام الله ككنز . هذا الذى قال عنه المرتل فى المزمور "أحببت وصايك أفضل من الذهب والجوهر" (مز١١٩: ١٢٧) وأيضاً "أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة" (مز١١٩: ١٦٢) .

✠ ✠ ✠

أما إن كان المقصود بالكنز : السيد المسيح ، فقد كان مخفياً عن الناس، حتى أهل عصره الذى وُلد فيه .

ما كانوا يعرفون أنه ابن الله . "لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد" (١كو ٢: ٨). حتى أن بطرس لما اعترف قائلاً "أنت هو المسيح ابن الله الحىّ" ، طوّبه الرب وكافأه (مت١٦: ١٧،١٦). وذلك لأن أناساً كانوا يقولون عنه إيليا أو أرميا، أو يوحنا المعمدان، أو واحد من الأنبياء" (مت١٦: ١٣، ١٤).

والشيطان نفسه ما كان يعرف حقيقته ، فسأله على جبل التجربة قائلاً "إن كنت ابن الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً.." (مت٤: ٣).

وحتى رئيس الكهنة ما كان يعرف من هو . فقال له أثناء محاكمته أمام مجلس السنهدريم "استحلفك بالله الحىّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟" (مت٢٦: ٦٣). ولما عرف منه ذلك، مزق ثيابه وقال : قد جدّف!!

ويوحنا المعمدان شهد له قائلاً لليهود "فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه" (يو٣: ٢٦). ولذلك قال عنه الإنجيل :

"فى العالم كان ، والعام به كوّن ، والعالم لم يعرفه" (يو١٠: ١١) . حقاً كان المسيح كنزاً مخفى فى حقل هذا العالم، وكان كنزاً مخفى فى الكتاب، وسط نبوات ورموز كثيرة.

✠ ✠ ✠

كان النور الحقيقى ، الذى أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه (يو١: ٥) . حتى ميلاده من عذراء حاربوه. فعمل الرب على إخفاء هذه الحقيقة مؤقتاً وراء خطوبة القديسة العذراء إلى يوسف النجار. فكان أهل بلده يقولون عنه "أليس هذا هو ابن النجار؟! من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟! .. فكانوا يعثرون به" (مت١٣: ٥٤- ٥٧) .

حتى تلاميذه ما كانوا يعرفون تماماً ما حقيقة هذا الكنز المخفى فقال الرب معاتباً فيلبس أحد الإثنى عشر قائلاً "أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس؟!" (يو١٤: ٩).. لم يعرفوا لاهوته، ولا عرفوا علاقته بالآب .. لذلك قال الرب لفيلبس "الذى رآنى ، فقد رأى الآب.. ألست تؤمن أنى أنا فى الآب، والآب فىّ" (يو١٤: ٩، ١٠) . إن حقيقة المسيح، عبّر عنها بولس الرسول فيما بعد "باعتبارها سرّاً" فقال "عظيم هو سر التقوى: الله ظهر فى الجسد" (١تى٣: ١٦) .

✠ ✠ ✠

الله الآب أيضاً كان كنزاً مخفى عن العالم الوثنى .

ولذلك قال له الابن فى مناجاته "هذه هى الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى

وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته" (يو١٧: ٣) . ولذلك قال "أنا أظهرت اسمك للناس.." (يو١٧: ٦) . إلى أن قال – حتى عن تلاميذه – "عرفتهم إسمك، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٦). أما عن أهل العالم فقال "أيها الآب البار: إن العالم لم يعرفك. أما أنا فقد عرفتك". ولماذا لم يعرفوه؟.. لأنه كان كنزاً مخفى فى حقل العالم .

ولا يزال الله كنزاً مخفى عن الملحدين، حتى الفلاسفة الذين فيهم!!

* * *

نتابع مثل الكنز المخفى.. سواء كان المقصود بالكنز: الملكوت، أو الخلاص، أو الكتاب المقدس، أو الرب نفسه.. فنرى أن المثل يقول عمن وجده إنه.

مضى وباع كل ما كان له ، واشتراه ...

هكذ فعل القديس الأنبا أنطونيوس ، حينما أطاع قول الرب "إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك، واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى" (مت١٩: ٢١) . وهكذا فعل بولس الرسول فى قوله "خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح وأوجد فيه" (فى٣: ٨، ٩) .

وهكذا فعل كل الرحومين ، الذين حولوا كنوزهم الأرضية إلى كنوز سماوية .

كما سبق وقال الرب "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض.. بل أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء.. لأنه حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضاً" (مت٦: ١٩– ٢١) .

ولعل إنساناً يقول "أنا لا أملك كنوزاً على الأرض لكى أتركها للرب" .. أقول لك : أترك ما تكتنزه فى قلبك من شهوات عالمية، ومن رغبات جسدية أو أرضية. لأن كل ما فى العالم ، هو شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" (١يو٢: ١٦) .

* * *

ولكى تصل إلى هذا ، ينبغى أن تعلم أن الكنز السماوى ثمين جداً .

فالتاجر الذى كان يطلب لآلئ ثمينة، لاشك أنه كانت عنده لآلئ كثيرة. لكنه "لما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها" . أكتفى بهذه اللؤلؤة الواحدة . لأن "الحاجة إلى واحد" كما قال الرب لمرثا (لو١٠: ٤٢) .

فليتك تشعر بقيمة هذا الواحد بالنسبة إليك ، لكى تبيع كل شئ من أجله، وتوجد فيه، وتغنى مع داود النبى "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز٣٤: ٨) .

حقاً ، إن الذين ذاقوا حلاوة الرب، تركوا كل شئ لأجله .

✠ ✠ ✠

ولم يشتهوا شيئاً آخر سواه. أصبح هو لهم كل ما يحبونه ويتمنونه .

ابراهـــيم أبو الآباء ترك أهله وعشيرته وأرضه وبيت أبيه. ومضى وراء الرب، وهو لا يعلـــم إلـــى أيـــن يذهب (عب١١: ٨) . حتى ابنه الوحيد ، لم يجد مانعاً من أن يقدمه محـــرقه للرب (تك٢٢). بل الشهداء قدموا حياتهم للسيف وللتعذيب ، لكى يتمتعوا بالرب فـــى الســـماء. كـــان الله هـــو اللؤلـــؤة الواحدة الكثيرة الثمن، التى بسببها باعوا كل شئ واشتروها . وفرحوا بذلك جداً.

(ب)

كل كاتب متعلم..
يخرج مِن كَنزه جددًا وعتقاء

(مت ١٣: ٥٢)

فى الاصحاح ١٣ من إنجيل متى، ذكر السيد الرب مجموعة من الأمثال غن ملكوت السموات. وكان آخرها هو قوله "كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات، يشبه رب بيت، يخرج من كنزه جدداً وعتقاء" (مت١٣: ٥٢) ، ونود أن نتأمل هذه العبارة :

الكاتب المتعلم :

الكتبة قديماً – قبل معرفة الطباعة – كانوا هم الذين ينسخون (يكتبون) الكتب المقدسة. لذلك كانوا أعرف الناس بالشريعة، وأكثرهم علماً بالكتاب .

نلاحظ أنه عندما أتى المجوس يسألون "أين هو المولود ملك اليهود؟ فإن هيرودس الملك استدعى الكتبة وعرف منهم أن المسيح يولد فى بيت لحم اليهودية، حسبما ورد فى النبوات (مت٢: ٤– ٦) .

وهكذا كان الكتبة من معلمى الشعب. وقال عنهم السيد المسيح "على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون.." (مت٢٣: ٢) أى كرسى الشريعة والتعليم .

أشهر من نعرفه منهم فى التاريخ (عزرا الكاتب)، الذى كان – مع نحميا – قائداً دينياً قديساً بعد الرجوع من السبى. لكن الكتبة أيام السيد المسيح، كانوا من المرائين، وكانوا

قادة عميان يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم (مت٢٣: ٤). وقد وقفوا ضد الرب كثيراً، وهاجموه لأنه كان يصنع معجزات فى أيام السبوت، وقد اعتبرهم الرب كالقبور المبيضة من الخارج، وداخلها عظام نتنة (مت٢٣: ٢٧) .

ومع الويلات التى صبها عليهم، إلا أنه هنا يتكلم عن (كاتب متعلم) ليس من نوع أولئك المرائين .

وهو يخرج من كنزه جدداً وعتقاء، أى من العهدين الجديد والقديم .

ولنبدأ هنا بأن نتأمل عبارة (يشبه رب بيت) .

رب بيت :

فما المقصود بعبارة "رب بيت" ؟

رب البيت هو المسئول عن إدارة البيت والانفاق عليه. وهو فى ذلك يخرج من كنزه (أى من ماليته) ما يحتاجه البيت. سواء دفع من الايراد الجديد الذى يأتيه حالاً، أو من العتقاء، من الأموال المخزونة .

وأنت (رب بيت) . وهذا البيت هو ذاتك، فكل ما فيها من عقل وقلب وحواس وأحاسيس التى أقامك الرب عليها لكى "تدبر أهل بيتك حسناً" (اتى٣: ٤). فتدير هذه النفس البشرية -التى هى أنت - بما تخرجه من كنزك - أى من المكنوز فى داخلك سواء كان ذلك من الجدد أو العتقاء . من الروحيات القديمة التى نشأت بها، أو ما اكتسبته حالياً من روحيات.

ننتقل بعد ذلك ، لنتأمل عبارة (من كنزه) :

كنزه :

ما يكنزه الإنسان من معرفة ، يكنزه فى قلبه وفى فكره .

وقد شرح الرب هذا بقوله "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر (لو٦: ٤٥) (مت١٢: ٣٥) .

القلب يكتنز فيه الإنسان كل المشاعر والعواطف والأحاسيس. ويكتنز فى فكره كل المعلومات والأفكار. ثم يخرج منهما ما بداخلهما حينما يأتى الوقت المناسب. يُخرج منها

جدداً وعتقاء. الجدد هى الأفكار والمشاعر الجديدة، والعتقاء هى ما اختزن فيهما منذ الماضى.

✠ ✠ ✠

العقل الباطن تختزن فيه أفكار عتقاء، من كل ما ترسب فيه من قراءات ومناظر ورغبات وأفكار. كلها تبقى فى الـ Back Head كشريط مسجل عليه أشياء عديدة، ربما من أيام الطفولة. وقد يصاب إنسان بعقدة نفسية، فيجلس معه طبيب نفسى، لكى يستخرج من ذاكرته ما ترسب فيها منذ القديم وما تسببت عنه هذه العقدة النفسية ...

وقد يعمد بعض رجال التحقيقات إلى استخراج ما فى ذاكرة متهم يرفض أن يبوح بما فى داخله. فيعطونه حقنة تجعله فى حالة ما بين الغيبوبة والصحو (نصف إدراك)، ولا يكون قادراً على السيطرة على عقله وإرادته. وهكذا يقول ما فى داخله .

ويحدث هذا أحياناً لشخص مخدر فى عملية جراحية، فقبل أن يفيق منها، فى اللحظات التى ما بين الغيبوبة والإدراك، ربما يُخرج من كنزه (من عقله الباطن) جدداً وعتقاء، تكشف بعض أسراره، أو بعض ما يخفيه فى حالة ضبط النفس .

✠ ✠ ✠

فانظر يا أخى ما الذى تكنزه فى عقلك الباطن وفى ذاكرتك .

ربما أمور ليست بذات أهمية، تنساها. بينما أمور أخرى يكون لها عمق فى ذاكرتك، وقد لا تستخدمها حالياً، ولكنها تظل مترسبة، وتظهر حينما تدعو الحاجة إليها ...

الطفل الصغير أيضاً يكنز فى عقله، فى مخيلته، فى ذاكرته، فى داخل قلبه، كلمات وأفكاراً وصوراً وأحاسيس، ربما يكون قد جمعها من البيت أو من الشارع، أو من المدرسة، أو من وسائل الإعلام، أو من الصور.. وقد يقول فى إحدى المرات كلمة تكون غريبة على أفراد أسرته . فيسألونه من أين أتته؟ قطعاً من (كنزه) ، من عقله الباطن..

✠ ✠ ✠

نفس الوضع نقوله أيضاً عن الأحلام .

لو استثنينا الأحلام التى من الله ، وكذلك التى هى محاربات من العدو، فغالبية الأحلام الأخرى تكون عبارة عن عملية تفريغ لما اكتنزه الإنسان فى عقله الباطن ...

وقد يسألنا البعض هل الأحلام الشريرة التى يرونها فى نومهم، تعتبر خطية؟ بينما هى بغير إرادتهم! فنقول إنها ليست غير إرادية تماماً، فربما تكون نتيجة لما اختزنه العقل من

أفكار وما اختزنه القلب من مشاعر. وكل ذلك ظهر مختلطاً على هيئة أحلام، تسمى أعمالاً شبه إرادية أو نصف إرادية. أما الصور والأحاسيس التى ترفضها الإرادة تماماً، فإما أن الإنسان يرفضها فى أحلامه، أو يستيقظ فجأة دون أن تتم .

ما كنزه الإنسان يبقى منضبطاً ومخفياً، طالما هو فى وعيه وفى كامل إرادته، ولا يشاء إظهار ما فى داخله. فمتى يظهر إذن؟

* * *

فى حالة الغضب الشديد مثلاً، تظهر من الإنسان أشياء كان يخفيها.

لأنه فى غضبه لم يعد مسيطراً على نفسه، ولا متحكماً فى كتمان ألفاظه ومشاعره، لذلك تخرج من (كنزه) ألفاظ يندر أن يستخدمها فى أحوال عادية، وكذلك تصرفات ليست معهودة منه. ومع ذلك فهى مكنوزة عنده، ربما فى الكنز الشرير الذى فى قلبه. لذلك يقول المثل : **إذا أردت أن تعرف حقيقة إنسان، إسمعه وتأمله فى وقت غضبه .**

أى فى الوقت الذى لا يكون فيه المكنوز داخله تحت انضباط، فيكون كوعاء مثقوب يسيل منه ما فى داخله.. أو قد يعمد البعض على إثارة إنسان، لكى يعرفوا شخصيته المخفاة إذا أنكشفت عن طريق الإثارة ...

* * *

أنتم حالياً فى الصوم الكبير، وفى الطريق إلى أسبوع الآلام: إذا استطعتم أن تأخذوا روحيات هذه الفترة المقدسة بعمق، فسوف تخزنون لكم فى قلوبكم وفى أفكاركم ما تتركه فيكم أيام الصوم من تأثيرات روحية، عن طريق القراءات والألحان، والقداسات والعظات، والمطانيات، والذكريات المقدسة. وينفعكم هذا الخزين فى أيام الخماسين، حيث لا أصوام ولامطانيات. إذن املأوا قلوبكم وعقولكم بخزين مقدس له عمقه وله تأثيره ...

وفى أيام الخماسين تخرجون من كنزكم جدداً وعتقاء .

الجدد هى التأملات الجديدة والأفكار الروحية التى ترد إليكم فى أيام الخماسين المقدسة. وأما العتقاء، فهى الروحيات المترسبة فيكم من أيام الصوم وما قبله أيضاً ...

وهنا نعود إلى قول الرب : كاتب متعلم فى ملكوت السموات، يشبه رب بيت، يخرج من كنزه جدداً وعتقاء .

جُـدُد وعتقــاء :

كمقدمة نقول : إن القديم له أهميته : فالعتقاء أساس ...

الجذر مثلاً هو الأساس الذى ينشأ عنه الساق والفروع والأوراق والأزهار والثمار. فلا يمكننا أن نتجاهله . كذلك أساس البيت هو الذى يبنى عليه البيت كله . والذى ليس له قديم، قد لا يكون له جديد. وقد قال الرب عن أحد الأنواع فى مثل الزارع :

"وإذ لم يكن له أصل، جف" (مت١٣: ٦) .

١ – ونحن فى التربية نضع أهتماماً كبيراً على هذه الأصول القديمة، على التأثيرات العتقاء، على ماترسب فى عقل التلميذ أو الشاب منذ فترة الطفولة والصبا .

ونلاحظ أن الذى يتربى فى الكنيسة فى أحضان مدارس الأحد منذ نشأته الأولى، وتصبح الكنيسة جزءاً من حياته.. هذا لا يسقط بسرعة، وإن سقط يقوم (مز٣٧: ٢٤) وكما يقول الكتاب "لا تشمتى بى يا عدوتى، فإنى إن سقطت اقوم" (مى٧: ٨) .

لذلك نهتم كثيراً بتربية الطفولة، سواء فى محيط الأسرة أو الكنيسة أو المدرسة.. كما نرسم الصغار فى رتبة الأبصلتس (أى المرتل)، وبخاصة فى الكنيسة فى المهجر، لكى نغرس فيه الأصول العتيقة التى تثبت فيه، وتحميه من حروب المستقبل .

* * *

٢ – ربما عبارة الجدد والعتقاء تعنى أيضاً العهدين الجديد والقديم .

ونحن فى كل روحياتنا وعقائدنا، نعتمد على آيات وأحداث من العهدين القديم والجديد. والسيد المسيح نفسه كان يستخدم هذه العتقاء: فى التجربة على الجبل استخدم آيات من سفر التثنية، وقال: "كما هو مكتوب .. مكتوب أيضاً" (مت٤)، بالإضافة إلى الجدد من تعليمه، حيث قال فى العظة على الجبل "أما أنا فأقول لكم.." (مت٥)

وبعد القيامة، حينما ظهر لتلاميذه القديسين، قال لهم "لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير .. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو٢٤: ٤٤، ٤٥).

هذه هى العتقاء. وما أكثر استشهاد السيد المسيح بكلام الأنبياء والمزامير، وما أكثر ما أورده للرسل – وبخاصة فى أنجيل متى– من عبارة "ليتم ما قيل بالنبى القائل (مت١، ٢) أو ليتم المكتوب . ويعوزنا فى التعليم، ليس فقط الاعتماد على العهد الجديد وحده، بل

أيضاً على أصول العقيدة فى العهد القديم، وبخاصة ما فيه من نبوات ورموز ...

✠ ✠ ✠

٣ – عبارة الجدد والعتقاء قد تعنى معنى آخر وهو :

العتقاء هى وصايا الله المكتوبة، والجدد هى ما يوحى به الروح .

هذه الوصايا موجودة فى الأسفار الإلهية. أما الجدد حسبما يقول الرب "تُعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت ١٠: ١٩، ٢٠).. أحياناً مثلاً تصلى مزموراً، فتجد فكراً أو تأملاً جديداً خطر عليك ما كنت تعرفه من قبل. إنه من الجدد، يضاف إلى العتقاء التى فى كتب التفسير .

✠ ✠ ✠

٤ – إنما الأمر يحتاج إلى إفراز، فلا تقبل كل الجدد التى تأتيك فى مجال التعليم، وبالذات التى تتعارض مع العتقاء من تعليم الآباء

أنت باستمرار –فى نموك فى المعرفة– تضيف الجدد إلى العتقاء. ولا يقف نموك عند حدّ. فأنت تاخذ من العتقاء أقوال الآباء القديسين، وتأخذ من الجدد ما تعلمه لك الكنيسة .

وفى قوانين الكنيسة وقرارات المجامع المقدسة، نضيف إلى العتقاء ما تصدره مجامعنا الحالية من قوانين جدد حول أمور لم تكن معروفة فى القديم .

ويكون بين العتقاء والجدد تكامل، لا تعارض فيه ولا تناقض .

✠ ✠ ✠

٥–عبارة (جدد وعتقاء) تنطبق أيضاً على أسرار الكنيسة وفاعليتها

★فأنت مثلاً فى سر الميرون، تأخذ من العتقاء ما أعطته لك المسحة المقدسة من سكنى الروح فيك كهيكل لله (١كو٣: ١٦)، مع ما يمنحه لك الروح من ارشادات جدد فى حياتك. وتعيش بهذه الجدد والعتقاء: بطرس الرسول مثلاً حلّ عليه الروح فى يوم الخمسين مع باقى التلاميذ (أع٢: ٤). ومع ذلك لما سُئل التلاميذ عن معجزة شفاء الأعرج، يقول الكتاب "حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم.." (أع٤: ٨). إنه مثال فى حياة الرسل من أعمال الروح الجدد والعتقاء .

★وفى سر المعمودية، تأخذ البنوة لله من يوم عمادك. هذه من نعم العتقاء. يضاف إليها عمل النعمة فيك كابن .

✠ ✠ ✠

ونفس هذا الكلام يقال فى الخدمة: فالآباء الرسل قال لهم الرب " تنالون قوة متى حل

الروح القدس عليكم وحينئذ تكونون لى شهوداً" (أع١: ٨). ولكن يُضاف إلى هذا عمل جديد، قال عنه القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠) فحلول الروح هنا وقوتها من العتقاء، وعمل النعمة من الجدد. والإثنان يعملان معاً .

وحتى النعمة ذاتها ، فيها جدد وعتقاء ...

★كذلك فى سر الإفخارستيا، تأخذ الثبات فى الرب حسب وعده (يو٦: ٥٦). وبالإضافة إلى ذلك، فإنك فى كل مرة تتناول فيها تأخذ نعمة جديدة .

★وهكذا مع باقى الأسرار. يقول القديس يوحنا الرسول "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه.." (١يو٣: ٩). زرعه هذا، هو ميلاده الجديد من الماء والروح، يوم عماده، يوم ثبت كغصن جديد فى الكرمة، وكعضو فى الكنيسة فى جسد المسيح. وأيضاً زرعه يثبت فيه بأسرار الكنيسة وبالعمل الروحى وبمؤازرة النعمة.

✠ ✠ ✠

★كل هذه هى الأصول المعتقة فى نفسك: إيمانك الأرثوذكسى "غسل الميلاد الثانى، وتجديد الروح القدس" (تى٣: ٥)... يضاف إليها كل ما تناله من الكنيسة وأسرارها، وما يقوله الرسول "إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (٢كو٤: ١٦). وأيضاً "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو٣: ٩، ١٠) .

✠ ✠ ✠

٦ – عبارة الجدد والعتقاء ، قد تعنى معنى سادساً وهو :

العتقاء بمعنى المخزون فى عقلك الباطن وفى ذاكرتك وفى أعماق نفسك. والجدد هى الأفكار والمشاعر التى ترد لك اليوم .

فأنت عندما تتصرف، وأيضاً عندما تخدم وتعظ وتنصح، إنما تخرج من كنزك هذه الجدد والعتقاء. وعظة الإنسان هى مجمع لكل ما فى داخله جددا وعتقاء. تقول ما تعرفه من الكتاب، ومن أقوال الآباء، ومن الكلام الذى يُعطى لك من الله عند افتتاح فمك (أف٦: ١٩)

✠ ✠ ✠

٧ – حتى فى القراءة والسماع ، هناك القاعدة : فكر يلد فكراً.

الأفكار التى تقرأها أو تسمعها هى العتقاء، والأفكار الجديدة التى تولد فى نفسك نتيجة

لذلك هى الجدد. لذلك فالقراءة المستمرة، تولد أفكاراً جديدة غير التى قرأتها، سواء كانت تطوراً لها أو امتداداً أو استنتاجاً أو إضافة. إنها أفكار جدد.

كذلك فى الفنون على تنوعها: كالموسيقى مثلاً. وما تلده فى النفس من مشاعر. القطعة الموسيقية من العتقاء، والمشاعر من الجدد. وتأثر الإنسان هو خليط من الجدد والعتقاء .

* * *

٨ – **عبارة (جدد وعتقاء) تشمل أيضاً الخبرات .**

فهناك خبرات قديمة عند الإنسان فى واقع حياته، أو ما يتعلمه من الشيوخ ومن المرشدين، أو من التاريخ الذى يقال عنه :

ومن وعى التاريخ فى صدره أضاف أعماراً إلى عمره.

تضاف ، إلى هذا خبراته الجديدة فى حياته. وهو فى كل تصرفاته، إنما يخرج من كنزه جدداً وعتقاء: من حياته، ومن المرشدين ومن التاريخ .

* * *

٩ – وفى العلم أيضاً تستفيد من كل كنوز العلم القديمة، مع الجدد من الاكتشافات الجديدة فى محيط العلم. ويعيش العالم بالأمرين معاً: الجدد والعتقاء .

والإنسان الحكيم هو الذى يختار من الجدد والعتقاء ما يناسبه.

وما يصلح لحياته ، وما يُصلح حياته ...

والله تبارك اسمه هو إله الجدد والعتقاء . وكما قال عنه الكتاب "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب١٣: ٨) .

فى كنزه الإلهى من العتقاء: الخليقة كما أوجدها فى الأيام الستة. وكل ما وهبه للأنبياء. ومن الجدد نعم العهد الجديد. وفى جوده الإلهى، يخرج من كنزه جدداً وعتقاء .

الباب الثالث

عن التوبة

أ) الدرهم المفقود

«لو١٥ : ٨-١٠»

(ب) التينة غير المثمرة

«لو١٣ : ٦-٩»

(أ)

مَثَل الدرهم المفقود

(لو ١٥ : ٨-١٠)

لو ١٥ :

الاصحاح الخامس عشر من أنجيل معلمنا لوقا البشير، كله عن التوبة، فى ثلاثة أمثال: الخروف الضال، والابن الضال، والدرهم المفقود. وكلها ترمز إلى الإنسان الضال وعودته إلى الله. سواء فى بحث الله عنه، كما فى مثل الخروف الضال ومثل الدرهم المفقود، أو فى قبول الله لتوبته، كما فى مثل الابن الضال .

✠ ✠ ✠

وفى الأمثال الثلاثة : فرح الرب بعودة الخاطئ وتوبته .

فرح أمام ملائكة الله فى السماء، بخاطئ واحد يتوب .

ففى مثل الخروف الضال يقول "وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً" وأيضاً "يدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: افرحوا معى لأنى وجدت خروفى الضال" .

وفى مثل الدرهم المفقود، يقول عن صاحبته: "وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة: افرحن معى، لأنى وجدت الدرهم الذى أضعته" .

وفى مثل الابن الضال يقول الأب "قدموا العجل المسمن واذبحوه، فنأكل ونفرح. لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجد" .

✠ ✠ ✠

والأمثال الثلاثة تمثل ثلاث حالات فى نوعية وسبب ضياعها :

فالخروف الضال، قد ضلّ عن جهل وعدم معرفة .

والابن الضال، قد ضلّ عن سوء نية، وانحراف فى ممارسة الحرية .

أما الدرهم المفقود ، فلم يضل بذاته، وإنما أضاعه غيره .

ومع اختلاف الحالات ، انتهى الأمر بها كلها إلى العودة.

* * *

وقد اختلف الأمر في نسبة الضياع :

ففي مثل الخروف الضال ، كانت نسبة الضياع واحداً من مئة .

وفي مثل الدرهم المفقود، كانت نسبة الضياع واحداً من عشرة .

وفي مثل الابن الضال، كانت النسبة واحداً من إثنين .

وأياً كانت النسبة، فقد كانت هنا فرحة بوجود الضائع أو برجوع الضال. وكما قال الرب "يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة" (لو١٥: ٧) .

ولما كان كثيرون قد تحدثوا عن الخروف الضال والابن الضال، لذلك رأيت أن أكلمكم بالذات عن الدرهم المفقود .

مثل الدرهم المفقود :

هكذا قال الرب " أو أية امرأة لها عشرة دراهم: إن أضاعت درهماً واحداً، ألا توقد سراجاً، وتكنس البيت، وتفتش باجتهاد حتى تجده. وإذا وجدته، تدعو الصديقات والجارات.." .

هذا الدرهم رمز للإنسان ، لأنه توضع عليه صورة الملك أو الحاكم، مع كتابة تثبت قيمته. والإنسان قد وضعت عليه صورة الله خالقه، الذى قال "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه" (تك١: ٢٦، ٢٧). وبهذه الصورة الإلهية ، صارت للإنسان قيمته.

هذا الدرهم على الرغم من فقده، كانت له قيمته .

هو فقد موضعه، ولكن لم يفقد قيمته. لا تزال له نفس القيمة متى وُجد. قيمته محفوظة كدرهم. وهكذا الإنسان إن ضلّ.. فمتى عاد، يعود بقيمته كصورة لله .

في البيت :

نقطة هامة في هذا المثل، وهي أن الدرهم قد فقد في بيت صاحبته. أي في مكان يمكن العثور عليه فيه، إن بُحث عنه .

لو كانت صاحبة هذا الدرهم قد فقدته فى الشارع، أو فى الخلاء، أو فى البحر، لكان الأمل ضعيفاً جداً أو مفقوداً فى العثور عليه ...

لكنه فُقد فى البيت، أى داخل الكنيسة .

ولكن الظاهر أن هذا البيت الذى فُقد فيه، كان بيتاً ريفياً مظلماً، ليست فيه نوافذ كافية للإنارة. كما أنه مغطى بالأتربة الكثيرة، وربما بما هو أكثر من التراب مما يمكن أن يخفيه.

✠ ✠ ✠

ولكن ما هو كنه التراب، ذلك الذى يخفيه ؟

ربما كثير من أفكار المجتمع وانحرافاته، أو كثير من المشاغل المتعددة التى أختفى وراءها، ولم يعد ظاهراً بسهولة لصاحبة البيت.

والمرأة صاحبة الدرهم فى هذا البيت هى الكنيسة .

التى يهمها عودته إليها. والتى فى هذا المثل قد بذلت كل جهدها حتى وجدته. فأوقدت سراجاً لكى ينير البيت حتى ينكشف موضع هذا الدرهم المفقود، ويسهل العثور عليه فى النور .

والسراج فى هذا المثل يرمز إلى كلمة الله ووصاياه .

كما قيل فى المزمور "سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلى" (مز١١٩: ١٠٥). وقيل أيضاً "وصية الرب مضيئة ، تنير العينين من بعد" (مز١٩) .

وقد كان هذا السراج لازماً للعثور على الدرهم المفقود، كما قال الرب "كلمتى لا ترجع إلىّ فارغة" (أش٥٥: ١١).

صاحبة الدرهم أنارت البيت وكنسته، مفتشة عن الدرهم.

الكنيسة أتت بكلام الله لكى تستطيع به أن تنير عقل ذلك الضائع، لكى يرجع. وكنست البيت أى أزالت الأتربة التى فيه التى تخفى الدرهم.

طبيعى أن الله يرسل نوره إلى هذا العالم المظلم، لكى يستنير به السالكون فى الظلمة.

✠ ✠ ✠

والكنيسة تبحث عن الدرهم لأنها تمتلكه. إنه مِلك لها. واحد من العشرة الذين تمتلكهم.

حقاً إنه قد ضاع. ولكن ضياعه لا ينفى ملكية الكنيسة له.

وضياعه لا يمنع ملكية الرب له. حتى إن سيطر عليه الشيطان، فهذا لا يعنى مطلقاً ملكية الشيطان له. إنما هذا إغتصاب سلبه به الشيطان من الله والكنيسة .

إن الرب قد اشترى هذا الدرهم بدم طاهر غالٍ. كما قال الرسول "قد اشتريتم بثمن" (اكو٦: ٢٠).

✠ ✠ ✠

وعلى الرغم من أن الدرهم قد ضاع، إلا أنه ثمين على الكنيسة.

أنظروا مثلاً إلى زكا العشار، وقد كان هو أيضاً درهماً ضائعاً، إلا أن السيد المسيح عزم أن يدخل إلى بيته. فلما انتقده اليهود على ذلك، أجابهم بأن "هذا هو أيضاً ابن لابراهيم" (لو١٩: ٩). إنه ابن لابراهيم على الرغم من ضياعه. لم يفقد قيمته. تماماً كما قال الأب فى قصة الابن الضال "ابنى هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو١٥: ٢٤). إنه لا يزال إبناً على الرغم من أنه كان ميتاً وكان ضالاً..

إننا لا نستطيع أن ننكر أصل هذا الدرهم، كإبن لإبراهيم، وابن للآب. خُلق على شبهه وله نفس صورته.

✠ ✠ ✠

وما أعمق العبارة التى قالها الرب فى آخر قصة زكا:

"إن ابن الإنسان قد جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ١٠).

"ما قد هلك"!! وليس فقط ما قد ضلّ وتاه..! حقاً إنها عبارة مؤثرة جداً، تشبهها إلى حد ما عبارة الأب "ابنى هذا كان ميتاً" وبحسب قول القديس بولس الرسول "كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا" (أف٢: ١). ولكن الله قادر أن يقيم من الموت، ليس فقط الموتى بالجسد، وإنما أيضاً الموتى بالذنوب والخطايا. وإذا بكلٍ منهم "كان ميتاً فعاش"...

وحسب قول الرب: فالذى هلك، جاء الرب ليخلصه (لو١٩: ١٠).

إنه هلك أو مات، بمعنى أنه وقع تحت حكم الهلاك والموت. ولكن الحكم لم ينفذ فيه بعد، فهناك أمل فى خلاصه.

✠ ✠ ✠

نأخذ من هذا درساً أن الله يحبنا، حتى ونحن أموات بالخطايا، حتى ونحن فى الظلام والتراب، ويأتى ليخلصنا. وكما قال الرسول "إن الله بيّن محبته لنا. لأننا ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٨). وأيضاً قول الرب "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد. لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

الله "جاء يطلب ويخلص ما قد هلك". لأن هذا (الهالك) هو أيضاً ابن لإبراهيم، وهو ابن لله قد خُلق على صورته كشبهه، وقد خُلق لوعود أعدّها الرب له. وقد وُلد من الماء

والروح، وخُتم بالروح القدس. وصار هيكلاً لله، وروح الله يسكن فيه (١كو٣: ١٦). لقد ضلّ. ولكن قيمته محفوظة فيه...

✠ ✠ ✠

هذا الدرهم المفقود كان عاجزاً عن الرجوع بنفسه. وما كان يدرى مطلقاً أنه ضاع.

لقد وقع فى التراب، وطابت له الوقعة فاستمر .

هكذا كان داود النبى، سقط فى خطيتى الزنا والقتل، وطاب له الوضع فاتخذ زوجة القتيل له امرأة. وما كان يحسّ عمق خطيته، حتى أرسل له الله ناثان النبى، واستدرجه إلى المعرفة بمثل أو قصة. فلما ثار ضميره على ذلك المخطئ، حينئذ قال له ناثان "أنت هو الرجل"، وبلّغه رسالة الرب له. وحينئذ فقط، أدرك داود عمق جرمه، فقال "أخطأت إلى الرب" (٢صم١٢: ١-١٣).

نفس الوضع بالنسبة إلى أبشالوم ابن داود، الذى تحدى أباه وحاربه ليأخذ منه الحكم، ما كان يشعر بخطيئته حتى مات. كانت شهوة الملك والسلطة تعمى بصيرته!

✠ ✠ ✠

الدرهم المفقود – على الرغم من أنه كان لا يهتم بنفسه – إلا أن الله المحب كان يهتم به.

وعلى الرغم من أنه ما كان يستطيع أن يخرج نفسه من التراب والظلام، إلا أن الكنيسة استطاعت أن تجده، وتخرجه من بين التراب، لأنها كانت تهتم به وتبحث عنه، وتعمل "بكل اجتهاد" (لو١٥: ٨) لكى ترجعه إليها.

هو بضياعه بَعُد عن الحياة مع الله، لكن الله ردّه إليه .

✠ ✠ ✠

حقاً ، كم بحث الله عن دراهمه الضائعة منذ بدء الخليقة .

منذ خطية الإنسان الأول، وقد قرر الله أن يرسل ابن الإنسان، لكى يسحق رأس الحية (تك٣: ١٥). وذلك "لأنه لا يسرّ بموت الخاطئ، بل بأن يرجع ويحيا" (حز١٨: ٢٣). وهكذا قيل عن ربنا يسوع المسيح إنه "من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخزى" (عب١٢: ٢). وأى سرور دفعه إلى ذلك، إلا سروره بأن يرجع الدرهم المفقود إليه..

إنه السرور بأن يعيد الإنسان الساقط إلى رتبته الأولى. لأنه يعتبر أن ضياع هذا الدرهم خسارة له وخسارة للكنيسة. فضياع هذا الدرهم كان يعنى فقد الكنيسة لشئ كان

يمكنها أن تسعد به. وقد سلبته الخطية منها .

✠ ✠ ✠

ومن أجل إرجاعه إليه، عمل الرب كل ما يمكن لذلك !

أرسل روحه القدوس إلى العالم ليعمل فيه. أرسل نعمته. أرسل أنبياءه ورسله القديسين. أرسل الرعاة والمعلمين والكهنة الأطهار لإفتقاده والبحث عنه. أرسل ناموسه ووصاياه، ووضع فى قلوب الناس استنارة داخلية .

هذه الأمثال الثلاثة فى (لو١٥) تعطينا فكرة عن قيمة النفس الواحدة عند الله خالقها وفاديها ...

✠ ✠ ✠

فهذه النفس الواحدة لا تضيع وسط زحام الناس الآخرين :

لم تضع نفس مريم المجدلية التى كانت فيها سبعة شياطين (لو٨: ٢) (مر١٦: ٩). ولم تضع نفس توما الشكاك، ولا بطرس الذى أنكر الرب ثلاث مرات (مت٢٦). ولم تضع نفس شاول الطرسوسى الذى قال عن نفسه إنه كان "مجدفاً ومضطهداً ومفترياً"(١تى١: ١٣). ولم تضع أيضاً أنفس أوغسطينوس الفاجر، وموسى الأسود القاتل، ومريم القبطية الزانية..

كل نفس من هؤلاء ، كانت لها قيمتها عند الله .

✠ ✠ ✠

كذلك فإن هذا المثل يذكرنا بالذين فقدوا داخل البيت .

مثل ديماس مساعد بولس الرسول فى الخدمة، الذى قال عنه هذا الرسول: "ديماس تركنى لأنه أحب العالم الحاضر" (٢تى٤: ١٠). وآخرون قال عنهم بولس الرسول أيضاً "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك" (فى٣: ١٨، ١٩) .

وراعى كنيسة ساردس الذى قال له الرب "إن لك إسماً إنك حى، وأنت ميت" (رؤ٣: ١). وقد دعاه الرب إلى التوبة .

وأناس فقدوا وهم فى الكهنوت مثل أريوس ومقدونيوس ونسطور.. وباقى الهراطقة والمبتدعين .

وآخرون فقدوا فى الرهبنة وفى التكريس وفى التربية الكنسية.

✠ ✠ ✠

ومع كل ذلك، أقول لكم ملاحظة هامة جداً وهى :

هذا الدرهم قد فُقد ، ولكنه لم يُنسَ .

لم تنسه صاحبته أبداً. بل عدت دراهمها وأدركت أنه ليس بينها. فعرفت أنه قد ضاع، وأخذت تبحث عنه وهو مفقود، وبذلت كل جهدها حتى وجدته .

إنه فُقد ، ولكن لم يفقد الأمل فى إرجاعه .

الكنيسة لم تيأس من عودته إليها . حقاً ما أخطر اليأس من رجوع الخطاة! تلميذ يطول غيابه عن مدارس الأحد، فيشطب الخادم اسمه من كشوفه! أى أنه قد يئس من رجوعه. أو تبعد أسرة عن الكنيسة مدة طويلة، فيمتنع الكاهن عن افتقادهم ويقول "إن هؤلاء لا فائدة منهم!". إنه اليأس من عودة الخطاة!

ولكن المرأة فى مثل الدرهم لم تيأس ، بل إنها كانت :

تفتش باجتهاد :

كانت تفتش باجتهاد حتى وجدته ، أى بإهتمام ومثابرة .

إن هذا يذكرنا بدور الراعى وبقول الدسقولية " فليهتم الأسقف بكل أحد ليخلصه". فالمسألة ليت مجرد روتين يريح الخادم به ضميره..! بل إنه اهتمام واجتهاد، حتى يخلص الخاطئ. عملنا مع الخطاة ليس فقط أن يسمعونا فى الوعظ، فهذا أمر سهل! وإنما أن نجتهد حتى يتغيروا إلى أفضل، حتى يتوبوا ويرجعوا.

✠ ✠ ✠

إن عبارة (وجده) مكررة فى كل الأمثال الثلاثة فى (لو ١٥).

الراعى وجد الخروف الضال، والكنيسة وجدت الدرهم المفقود. والأب قال عن ابنه إنه "كان ضالاً فوُجد" . وكانت عودة الضال سبب فرح لله وللملائكة وللكنيسة وللكل..

✠ ✠ ✠

المرأة لم تندب وتصرخ بسبب درهمها المفقود، بل بحثت ووجدته

ما أكثر ما نبكى على ضياع الخطاة، دون أن نبحث عنهم لكى نجدهم

هنا المرأة –التى تمثل الكنيسة– لجأت إلى الأسلوب العملى للبحث عن الضائع: ايقاد سراج، وكنس البيت، والبحث بكل إجتهاد.

وعملية الكنس تحمل هنا تخليص البيت من البدع والانحرافات والهرطقات وربما الكنس يسبب غباراً يتعب البعض، ولكنه لازم.

ما أكثر الضيق الذى سببته للكنيسة محاربة الأريوسية. أدى الأمر إلى عزل القديس

أثناسيوس الرسولى ونفيه عدة مرات. حتى قيل له "العالم كل ضدك يا أثناسيوس" فقال "وأنا ضد العالم". ولكن ذلك كله كان لازماً لحماية الإيمان السليم .

فرح الملائكة :

"يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو١٥: ٧، ١٠) .

وهنا نسأل : لماذا يفرح الملائكة بتوبة التائبين ؟

إنهم يفرحون لأن توبة الخاطئ، تعنى اشتراكه مع الملائكة فى قداستهم. وتعنى نمو ملكوت الله ومشيئته، وهذا يُفرح الملائكة. كذلك فإن توبة الخاطئ تعنى خلاصه. وهذا ما يفرح به الله وملائكته .

وأيضاً فإن توبة الخاطئ تعنى نجاح الملائكة فى خدمتهم لأجل البشر. إذ يقول عنهم الكتاب "أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤). فإن تم خلاص هؤلاء بالتوبة، لذلك يفرح الملائكة .

ويفرح الملائكة بخلاص هؤلاء التائبين، لأنهم سيكونون شركاء لهم فى ملكوت الله، فى أورشليم السمائية: حيث الله وسط شعبه" (رؤ٢١: ٣) وسيكون شعبه الملائكة والبشر الأنقياء المفديين .

✠ ✠ ✠

إن فرح الملائكة يدل على اخلاصهم لله ومحبتهم للبشر .

ويدل على معرفتهم فى السماء، بما يحدث للبشر على الأرض

أليس أمراً عجيباً أن توبة خاطئ واحد تسبب كل هذا الفرح وسط "الجمع غيرالمحصى الذى للقوات السمائية"؟!

لقد فرحوا بإيمان وعماد الآلاف يوم البنطقستى (أع٢) وفرحوا بانضمام جماهير من رجال ونساء، وبإيمان مدن بأسرها، وبانتشار الإيمان، وبمرسوم ميلان للتسامح الدينى سنة ٣١٣م. ولكن هنا فرح بخاطئ يتوب.. فمادام الأمر هكذا:

✠ ✠ ✠

إنها دعوة لك أيها الخاطئ أن تتوب، لتفرح السماء بتوبتك.

ودعوة للخدام أن يسعوا إلى توبة الخطاة لتفرح السماء بهم.

وأيضاً لتفرح الكنيسة وتدعو الصديقات والجارات ليفرحوا معها.

(ب)

مَثَل التينة غير المثمِرَة

(لو ١٣ : ٦-٩)

إنه مثل عن التوبة ، قاله السيد المسيح مباشرة بعد أن قال "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣: ٥) .

❋ ❋ ❋

والواقع إن إنجيل لوقا هو أكثر الأناجيل حديثاً عن التوبة :

★مثال ذلك (لو ١٥): الإصحاح كله عن التوبة وقبولها وفرح الله بها. ويحوى مثل الابن الضال، ومثل الخروف الضال، ومثل الدرهم المفقود. ويمثل أيضاً سعى الله وراء الخطاة لردهم .

★وفى (لو ٧) قصة المرأة الخاطئة التى بللت قدمى المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها فى بيت سمعان الفريسى، وتطويب الرب لتوبتها .

★وفى (لو ٩) رفض السيد المسيح قول تلميذيه يوحنا ويعقوب عن إحدى قرى السامرة التى رفضته "أتشاء يارب أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" فانتهرهما الرب قائلاً "لستما تعلمان من أى روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص" .

★وبعد ذلك فى (لو ١٠) ذكر لها مثل السامرى الصالح ، الذى كان أكثر براً ورحمة من الكاهن واللاوى، على جريح يهودى ملقى بين حيّ وميت.

★وفى (لو ١٢) تكلم عن تطويب أولئك العبيد الذين أحقاؤهم ممنطقة، وسرجهم موقدة. وإذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. وكذلكِ الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم فى حينه .

★وفى (لو ١٦) ضرب لهم مثل وكيل الظلم الذى يعطى فكرة عن الذى يستعد

لمستقبله الأبدى. كما حكى لهم أيضاً قصة الغنى ولعازر والمصير الأبدى لهما .

★وفى (لو١٩) ذكر قصة زكا العشار وتوبته وقبول الرب له وقوله "إن ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" .

★وفى (لو٢٣) ذكر توبة اللص اليمين ، وقبول الرب لها، ووعده لذلك اللص بأنه سيكون معه فى نفس اليوم فى الفردوس .

✠ ✠ ✠

وغالبية هذه القصص والأمثال، أنفرد بها إنجيل لوقا وحده .

★كذلك فى (لو١٣: ٣، ٥) كرر الرب عبارته "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون". وهى تدل على خطورة عدم التوبة .

★وبعد ذلك مباشرة (لو١٣: ٦-٩) ذكر مثل التينة غير المثمرة.

فقال: كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه. فأتى يطلب فيها ثمراً، ولم يجد. فقال للكرام: هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينة، ولم أجد. إقطعها، لماذا تبطل الأرض أيضاً. فأجاب وقال له : يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقّب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد تقطعها" .

تينة فى كرم :

الواحد الذى كانت له شجرة تين فى كرمه هو الله نفسه .

والكرم المشار إليه هنا ، هو الكنيسة، جماعة المؤمنين .

وما أكثر الآيات التى تحمل هذا المعنى. منها ما ورد فى المزامير "يا إله الجنود [أيها الرب إله القوات]، ارجع واطّلع من السماء. انظر وتعهد هذه الكرمة، هذه التى غرستها يمينك" (مز٨٠: ١٤، ١٥). وأيضاً نشيد الكرمة كما ورد فى سفر أشعياء النبى (أش٥: ١ – ٤) حتى يقول "والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا. احكموا بينى وبين كرمى: ماذا يُصنع أيضاً لكرمى، وأنا لم اصنعه له؟!" هذا عن كنيسة العهد القديم طبعاً ..

✠ ✠ ✠

إذن شجرة التين هذه ، مغروسة فى وسط الكنيسة، فى وسط شعب الله، فى وضع مميز لها مع باقى أشجار الكرم .

على الرغم من أنها غريبة عنها فى النوع، إلا أن الله نفسه غرسها فى كرمه، وفى

وسط أصفيائه وأحبائه، مع أصحاب المواعيد والمواهب .

ما كان أجدر بهذه التينة أن تقول : ما هو استحقاقى يارب أن أوجد وسط أولادك القديسين، بينما ليس هذا هو موضعى؟! ولكنك قد منحتنى امتيازاً ليس هو لى. فينبغى أن أسلك كما يليق بالدعوة التى دُعيت إليها (أف٤: ١). ولكن هذه التينة لم تفعل كما كان ينبغى لها أن تفعل! إذ مرت عليها ثلاث سنين لم تأتِ فيها بثمر !

إن شجرة التين التى فى هذا المثل أحسن حظاً ومصيراً من تينة أخرى رآها الرب فى بدء أسبوع الآلام، ولم تكن تحمل إلا ورقاً فقط. فلعنها الرب. فيبست فى الحال (مت٢١: ١٩، ٢٠).. أما هذه، فقد وجدت من يشفع فيها، فمُنحت سنة لعلها تصنع فيها ثمراً .

الثمَر :

أتى صاحب الكرم ليطلب فيها ثمراً ولم يجد.. فقال للكرام: لماذا تُبطل الأرض، اقطعها.. وهذا أمر طبيعى أن يطلب صاحب الكرم ثمراً من شجره. فالثمر هو أهم شئ يطلبه. وما أعمق قول القديس يوحنا المعمدان :

"والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة" . "فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تُقطع وتُلقى فى النار"(مت٣: ١٠)

وقد أكدّ الرب نفسه على قول قديسه المعمدان، فقال فى الجزء الأخير من العظة على الجبل "هكذا كل شجرة جيدة، تصنع أثماراً جيدة.. كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تُقطع وتلقى فى النار. إذن من ثمارهم تعرفونهم" (مت٧: ١٧- ٢٠).

وجعل الثمر علامة للتلمذة عليه فقال:

"بهذا يتمجد أبى، أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى" (يو١٥: ٨). وقال أيضاً فى نفس الاصحاح "لستم أنت اخترتمونى، بل أنا اخترتكم. **وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم"** (يو١٥: ١٦) .

☩ ☩ ☩

إذن نفهم من هاتين الآيتين ، الحقائق الآتية :

أ – لقد اختارنا الله ، لكى نأتى بثمر .

ب – بالثمر الكثير يتمجد الآب السماوى .

ج – ينبغى أن يكون الثمر كثيراً ، وأن يدوم هذا الثمر .

ذلك لأن البعض ثمرهم ضئيل وقليل، ولا يتناسب مع الإمكانيات التى وهبهم الله إياها.
أو أن ثمرهم يظهر حيناً ولا يستمر!

يذكرنا هذا الثمر ولزومه، بمثل الوزنات (مت٢٥: ١٤- ٣٠)، وكذلك بمثل الأمناء (لو١٩: ١٢- ٢٦) . لأن ما نربحه للملكوت هو ثمرنا .

✠ ✠ ✠

والثمر المطلوب على نوعين : ثمر داخلى، وثمر للغير .

أما الثمر الداخلى ، فهو ثمر القلب من مشاعر روحانية بعمل النعمة فيه، وثمر الفكر فى التأمل فى الروحيات، وثمر الشفاه الشاكرة المسبحة لله، وثمر الحياة التى تحمل رسالة تؤديها، وثمر الطاعة لله التى هى دليل محبتنا له. وثمر الإيمان العامل بالمحبة، وثمر الإنتاج ..

أما الثمر الذى للغير فهو نتيجة خدمتنا فى حياة الآخرين، الذين يتغذون بما نقدمه لهم من قدوة ومن تعليم ومن رعاية وقيادة .

✠ ✠ ✠

وواضح أن كل شجرة تعطى ثمراً ، إنما ليتغذى به غيرها .

فهذه التينة : لو كانت قد صنعت ثمراً، لاشك كان يتغذى به الغير ويذوق حلاوته. وآباء الكنيسة من رسل ورعاة ومعلمين، كان لهم ثمر لبناء الملكوت ، لتقوية الآخرين وقيادتهم إلى الله. إنه ثمر فى استخدام كل المواهب لعمل البنيان . فهل لك أيها الابن المبارك ثمراً يكّون رسالتك فى الحياة .

✠ ✠ ✠

والمقصود بالثمر هنا هو ثمر الروح فى حياتك وحياة غيرك .

فلا تفرح بكثرة الأوراق الخضراء فى تينتك، ولا فى امتداد فروعها، بمجرد كثرة الأنشطة، وكثرة الحركة شرقاً وغرباً، فى أعمال لا تنتفع بها روحك، ولا تبنى أرواح الآخرين. إنما اهتم بالثمر.

طول أناة الله وصبره :

ثلاث سنوات كان صاحب الكرم يمر على هذه التينة، ولا يجد فيها ثمراً، وعلى الرغم من ذلك كان صابراً عليها طول هذه المدة. فلم يأمر بقطعها من أول سنة لم تثمر فيها. وهكذا قال للكرام أخيراً: "هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينة ولم أجد.."!

عجيب أنت يارب فى طول أناتك. ولكن لماذا ثلاث سنين ؟

ربما السنة الأولى، يُقال عنها : هذه النفس مبتدئة. ربما فى السنة الثانية نقول إنها خطايا جهل أو ضعف أو عدم نضوج، كما يقول المرتل فى المزمور "خطايا شبابى وجهالاتى، لا تذكر. كرحمتك اذكرنى" (مز٢٥: ٧) .أما فى السنة الثالثة – وقد بلغت النضوج الكافى – فلا عذر لها فى عدم الإثمار. وأصبحت إذن – من جهة العدل – تستحق القطع. لذلك قال للكرام :

اقطعها لماذا تبطل الأرض ؟!

☩ ☩ ☩

لقد صبر الله هذا الزمان كله، لأنه لا يسرّ بموت الشرير، بل برجوعه إليه فيحيا" (حز١٨: ٢٣). لأنه يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤). ولكن هناك حقيقة ينبغى أن يعرفها غير المثمرين وهى :

إن طول أناة الله، إنما تقود إلى التوبة، وليست مجالاً للاستهتار.

فى هذا يقول الرسول "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته؟! غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله" (رو٢ : ٤– ٦) .

☩ ☩ ☩

وهنا نسأل : لماذا كانت تلك التينة غير المثمرة تستحق القطع

لأنها كانت تبطل الأرض . فقد خصصت لها مساحة من الأرض بدون نفع يعود من التينة. فأصبحت الأرض باطلة بها. كذلك لأنها كانت تأخذ من الغذاء والرى، ما كان يمكن توجيهه إلى غيرها لكى يأتى بنفع. أيضاً منظرها هذا غير المثمر، لا يعطى صورة حية عن صفات أرض الله وسمعة كرمه. يضاف إلى هذا أنها قد أعطيت فرصة ثلاث سنين للإثمار. وهذا يكفى .

أما القطع من جماعة المؤمنين فيسمى Excommunication .

☩ ☩ ☩

هذه التينة ترمز إلى أعضاء غير مثمرين فى الكنيسة .

وقد صبر الله عليهم. مثال أولئك الشعب اليهودى الذى كم صبر الرب عليه. وكم أراد فى بعض الأوقات أن يفنيه (خر٣٢: ١٠). بل قد دفعه أحياناً إلى السبى، وأسلمه أحياناً

إلى أيدى أعدائه.

★ومن غير المثمرين الذى صبر الله عليهم: يهوذا الإسخريوطى وكم أنذره الرب ولم يستفد، وأخيراً أمر بقطعه، بينما كان واحداً من الإثنى عشر مغروساً فى كرم الله. وكذلك أبشالوم وكان واحداً من أبناء داود النبى العظيم، وثار أخيراً على أبيه وحاربه، وتم قطعه أخيراً. مثال آخر هو هو نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة القديسين (أع٦: ٥). وكان مغروساً فى كرم الرب. ثم قُطع إذ صار من أصحاب البدع (رؤ٢: ١٥) .

★شخص آخر صبر الله عليه، هو راعى كنيسة ساردس أحد ملائكة الكنائس السبع التى فى آسيا، وكان فى يد الله اليمنى (رؤ٢: ١). ثم قال له الرب "إن لك إسماً أنك حى وأنت ميت!" (رؤ٣: ١).

★صبر الله على الإلحاد فى روسيا ورومانيا وباقى بلاد الاتحاد السوفييتى ٧٠ سنة إلى أن رجعوا أخيراً .

✠ ✠ ✠

إلتفت الله إلى هذه التينة بالذات من بين أشجار الكرم .

أعطاها إهتماماً خاصاً ، لأنه يهتم بالنفس الواحدة. وقد يترك التسعة والتسعين فى حظيرته ليبحث عن الواحد الضال. أظهر أنه يلاحظ حالتها خلال الثلاث سنوات كلها. وكأنه يقول لها نفس العبارة التى قالها لكل واحد من ملائكة الكنائس السبع "أنا عارف أعمالك" (رؤ٢: ٣) وأيضاً عبارة "لكن عندى عليك أنك.." .

فعل هكذا كما فعل مع يونان النبى، وقد نام فى السفينة نوماً ثقيلاً بينما كان باقى النوتية (البحارة) يصلون (يون١: ٥).

الشفيع :

قال الرب للكرام "إقطعها" . ولكن هذا الكرام وقف شفيعاً فى هذه التينة غير المثمرة وقال "يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقّب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد تقطعها".

الله يقول له "اقطعها" وهو يجيب "اتركها هذه السنة أيضاً" . أترى الكرام كانت مشيئته فى هذه النقطة ضد مشيئة الله؟!

كلا، كان الكرام يخاطب قلب الله وليس لسانه .

أو كان لسان الله يختبر قلب الكرام ومحبته وصبره .

✠ ✠ ✠

يذكرنا هذا الأمر بموقف موسى النبى، حينما قال له الله "رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة. فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً" (خر٣٢: ٩، ١٠). ولكن موسى لم يوافق بل قال للرب "لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك.. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك".. إلى أن قال له "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت" (خر٣٢: ٣٢) .

هنا لم يقف موسى ضد مشيئة الله، وإنما تحاور مع الله وهو يعرف قلبه الحنون. وكان كلام الله مجرد اختبار لموسى ليرى ما فى قلبه من حنو ومغفرة، وما فى طبعه من طول أناة وصبر .

كان عدل الله يقتضى قطع التينة. ولكن عدله كان مملوءاً رحمة. فاستمع إلى قول الشفيع : اتركها هذه السنة أيضاً .

إتركها هذه السَنة :

كما احتملتها السنوات الثلاث الماضية، احتملها هذه السنة أيضاً. **إعطها فرصة أخرى، أو فرصة أخيرة، وأنا سأعمل لأجلها .**

ستكون فرصة عمل "أنقب حولها، وأضع زبلاً". والمعروف أن زبل الحمام، أو زبل الدجاج، أو زبل الغنم، هو من أرقى أنواع السماد وأكثرها نفعاً. أى ستكون السنة فترة عناية مركزة بها.

ما أعجب حب هذا الشفيع . يطلب للتينة غير المثمرة سنة بكل فصولها، بشمسها بجوها بريّها . لعلها تأتى بثمر .

✠ ✠ ✠

جميل بهذه التينة أن تشعر أنها ليست وحدها فى هذه الفرصة المعطاة لها ، إنما معها الكرام الذى سينقب حولها ويضع زبلاً، ويهتم بها .

هذا الشفيع الحنون سيحمل مسئولية إثمارها خلال السنة.. ربما كان نقص التغذية هو سبب عدم الإثمار. إذن نغذيها، وننتظر عليها. فإن صنعت ثمراً فهذا حسن، وإلا ...

✠ ✠ ✠

نلاحظ هنا عنصر الرجاء ، مع طول فترة عدم الإثمار .

لقد كان داود شفيعاً فى سليمان، حتى بعد موته، حتى دون أن يشفع. بل أن مجرد

دالته عند الله أصبحت مصدراً للشفاعة. ولهذا قال الرب لسليمان الذى أخطأ وسار وراء آلهة آخرى "إنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. إلا أننى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك. بل من يد ابنك أمزقها. على إنى لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطاً واحداً لابنك من أجل داود عبدى.." (١مل١١: ١١- ١٣) .

فترة محددة :

أعطيت التينة فترة سنة محددة ، لعلها تثمر فيها. وهذا الأمر يذكرنا بقول الرب فى سفر الرؤيا عن إيزابل الزانية :

"أعطيتها زماناً لكى تتوب عن زناها، ولم تتب" (رؤ٢: ٢١).

إنها فترة محددة إلى أن يمتلئ كأس غضبها إن لم تتب.

هكذا الرب أعطى فرعون زماناً لكى يتوب فى أيام موسى، ولم يتب. فى كثير من الضربات كان يقول لموسى وهرون "اخطأت إلى الرب وإليكما، صليا عنى" (خر٩: ٢٧) (خر٨: ٨). فلما ترتفع الضربة كان يرجع أكثر شراً مما كان. ولما انقضت الفترة المعطاة له، سمح الله أن يغرق فرعون وجنده فى البحر الأحمر .

✠ ✠ ✠

سليمان: أعطاه الرب زماناً أن يتوب عن رفاهيته الزائدة فتاب

وهكذا قال فى سفر الجامعة : الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس (جا١: ١٤). وأظهر محبته لله فى سفر النشيد .

أما شاول الملك ، فأعطاه الرب زماناً ليتوب ولم يتب. فقيل عنه "وذهب روح الرب من عند شاول، وبغته روح ردئ من قبل الرب" (١صم١٦: ١٤) .

طول أناة الله إنما تقتاد إلى التوبة. فإن انقضت السنة المحددة، حينئذ ينطبق قول الكتاب "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠: ٣١). وحينئذ يسلّم الله هؤلاء الفجار إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو١: ٢٨) .

إن صَنعت ثمراً :

أى أن هناك احتمالاً أن تصنع ثمراً. وتضيف إحدى الترجمات، فذلك حسن Well .

حسن للتينة نفسها أنها نالت الخلاص، ونجت من القَطع، ونالت خصوبة تعطى ثمراً. وحسن للكرام أن عمله الرعوى والشفاعى قد أتى بنتيجة. وحسن للكرم نفسه أنه لم تبطل

أرضه، ولم تشوه الشجرة غير المثمرة منظره. وحسن لصاحب الكرم الذى يريد أن الجميع يخلصون.

وَإلا :

وإلا ففيما بعد تقطعها. أى الحكم موجود، ولكنه قد تأجل، لمعرفة مدى استجابة التينة لرعاية الكرام. وإلا ينطبق قول الرب "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون" (لو١٣: ٣، ٥).



الباب الرابع

أمْثَال النموّ

مِن بين أمثال السيد المسيح عن النمو،
نذكر أربعة أمثال :

١- **مثل الخميرة** : (مت ١٣ : ٣٣)
(لو ١٣ : ٢١)

٢- **مثل حبة الخردل** : (مت ١٣ : ٣١، ٣٢)
(مر ٤ : ٣١، ٣٢) (لو ١٣ : ١٩)

٣- **مثل الوزنات** : (مت ٢٥ : ١٤-٣٠)

٤- **مثل حَبة القمح** (الزرع الذى ينمو)
(مر ٤ : ٢٦-٢٩)

هذه الأمثلة فى النمو، تمثل تاريخ الزرع البشرية

١- مَثَــل الخمــيرة

(مت ١٣ : ٣٣)

النـمـو :

★فى مثل الخميرة ، يقول إنه خبأتها امرأة فى ثلاثة أكيال دقيق، حتى "اختمر الجميع" (مت١٣: ٣٣). وفى مثل حبة الخردل يقول إنها "نمت وصارت شجرة كبيرة، وتآوت طيور السماء فى أغصانها" (لو١٣: ١٩) . وفى مثل الوزنات يقول إن العبد تاجر بها وربح. وفى مثل حبة القمح يقول "والبذار يطلع وينمو.. أولاً نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملآن فى السنبل" (مر٤: ٢٧، ٢٨) .

✠ ✠ ✠

★وهذا النمو يرمز إلى النمو فى الأفراد أو فى الكنيسة .

فمن شروط الحياة الروحية ، النمو . والإنسان الذى يقف نموه، هو عرضة أن يرجع إلى الوراء. أما الذى يكون نامياً باستمرار، فإن الحرارة الروحية تكون ثابتة فى حياته...

ولعل من أمثلة النمو فى حياة الأفراد، قول القديس بولس الرسول "..افعل شيئاً واحداً. أنسى ماهو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض.."(فى٣: ١٣) .

✠ ✠ ✠

والنمو فى حياة الكنيسة يعنى النمو فى عملها وخدمتها، وفى نشرها الإيمان وملكوت الله فى الأرض كلها.

إنه قصة الكتاب كله، من جنة عدن، إلى جزيرة بطمس. أى من أول سفر التكوين إلى سفر الرؤيا ..

هى قصة نعمة الله العاملة فى الكل .لأنه لا يستطيع أحد أن ينمو إن لم تكن نعمة الله عاملة فيه (١كو١٥: ١٠). وفى ذلك يقول سفر الأعمال:

"وكان الرب فى كل يوم ، يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع٢: ٤٧) .

وفى نحو ٣٠ سنة كان ملكوت الله قد أتى بقوة (مر٩: ١). وامتد إلى آسيا وأوروبا وأفريقيا. وتحقق فى رسل السيد المسيح ما تنبأ به عنهم المزمور قائلاً "الذين لا قول لهم ولا كلام.. إلى كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة بلغت أقوالهم" (مز١٩: ٣، ٤). وهكذا البداية الصغيرة التى كانت كحبة الخردل، نمت وصارت شجرة كبيرة تتأوى الطيور فى أغصانها .

✠ ✠ ✠

وكأن أمثال السيد الرب كانت نبوءة عن مستقبل الكنيسة .

من بداية صغيرة، من خميرة بسيطة "حتى أختمر العجين كله" ، من حبة قمح، حتى صارت سنابل مملوءة قمحاً .

إذن فالقاعدة التى وضعها الرب هى أن ملكوته علىالأرض لابد أن يكون نامياً. وقد تنبأ عنه فى سفر حزقيال النبى قائلاً: "أغرسه، فينبت أغصاناً ويحمل ثمراً.. فيسكن تحته كل طائر، كل ذى جناح يسكن فى ظل أغصانه" (حز١٧: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

ومثلا الخميرة وحبة الخردل يعطيان مثلين متنوعين عن النمو:

مثل حبة الخردل يعطى مثلاً عن النمو الظاهر من الخارج : إذ تصير البذرة شجرة كبيرة عالية تأوى إليها طيور السماء .

وبنفس الوضع مثل حبة القمح التى تصير سنابل مرتفعة ممتلئة.

أما مثل الخميرة، فيعطى فكرة عن النمو من الداخل ، وكيف تنتشر الخميرة فى كل الدقيق دون أن تراها .

وسنتحدث الآن بمشيئة الله عن مثل الخميرة .

مَثل الخميرة :

هذا المثل يمثل الخميرة – لا فى نوعيتها – بل فى انتشارها .

على الرغم من أن الخميرة فى مواضع كثيرة فى الكتاب المقدس، ترمز إلى الشر. كما قال الرب لتلاميذه "احترسوا من خمير الفريسيين" أى من تعاليمهم الخاطئة (مت١٦: ١٢) أو من ريائهم (لو١٢: ٢). وكما قال القديس بولس الرسول "إذن لنعيّد.. لا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق" (١كو٥: ٨). وهكذا بعد الفصح كانوا يعيدون أسبوعاً لا يأكلون فيه إلا الفطير. ويعزلون الخمير من بيوتهم . وكل من أكل مختمراً،

تقطع تلك النفس من شعبها" (خر١٢: ١٥، ١٩) .

✠ ✠ ✠

ولكن الخمير فى المثل لا يقصد به إلا الإنتشار وحده .

كما نشبه شخصاً بالأسد ، فى الشجاعة والقوة فقط، وليس فى الإفتراس والوحشية . فالسيد المسيح قيل عنه فى سفر الرؤيا " قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا، أصل داود" (رؤ٥: ٥) . والأربعة أحياء فى سفر الرؤيا قيل عنهم "الأول شبه أسد" (رؤ٤: ٧) يرمز إلى إنجيل مارمرقس.. على الرغم من أن الشيطان أيضاً شبه بأسد. فقال القديس بطرس الرسول "اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم كأسد يزأر، يجول ملتمساً من يبتلعه هو" (١بط٥: ٨) .

✠ ✠ ✠

إذن فى كل تشبيه نتقيد بوجه الشبه المقصود .

وقد يكون للشئ الواحد وجه شبه جيد، ووجه شبه ردئ، كما قلنا عن الأسد، وكما نقول عن الخميرة .

كذلك الكلام أيضاً عن الحية. كانت فى أغواء أمنا حواء تمثل الشيطان (تك٣). وكذلك قيل إن الشيطان هو الحية القديمة (رؤ١٢: ٩). ومع ذلك يقول الرب "كونوا حكماء كالحيات" (مت١٠: ١٦). هنا فى وجه شبه محدد وهو الحكمة وليس فى الشر ...

وجه الشبه المقصود فى المثل من الخميرة هو سرعة الإنتشار.

وقدرتها على أن تخمر العجين كله . وكيف أن قطعة صغيرة منها تستطيع أن تقوم بالعمل كله . وهكذا فى الحال مع نمو الكنيسة وانتشارها فى كل العالم، من بداية صغيرة يمثلها الرسل الإثنا عشر، والكنيسة الصغيرة فى عددها .

خميرة صغيرة

ليس المهم هنا فى صغرها ، إنما فى قوة عملها .

وعلى رأى المثل الإنجليزى Quality, not quantity (النوع وليس الكمية) . فالكنيسة بدأت بداية صغيرة، كالخميرة أو كحبة الخردل ...

بدأت أولاً بذلك الطفل الصغير فى المزود، ومعه أمه العذراء الصغيرة فى سنها وفى فقرها، ويوسف النجار الصغير فى مركزه الإجتماعى. ومجموعة أخرى لعلها أنتقلت من العالم الحاضر قبل يوم البنطقستى (ونعنى سمعان الشيخ، وحنه النبية، وزكريا الكاهن،

والبصلبات) .

ثم نمت الكنيسة ، في الرسل الإثنى عشر (مت١٠) ثم في السبعين (لو١٠) مع قديسين وقديسات تبعوا المسيح (لو٨). وفي يوم حلول الروح القدس انضم إلى الكنيسة ثلاثة آلاف آمنوا واعتمدوا (أع٢: ٤١). وبعد معجزة شفاء الأعرج صار عدد الرجال المؤمنين خمسة آلاف (أع٤: ٤) . ثم " كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع٦: ٧) .

* * *

ثم تدرج الأمر من انضمام الأفراد إلى انضمام المدن والأمم.

آمنت السامرة واعتمد أهلها (أع٨) ثم زحفت الكرازة إلى لده ويافا (أع٩: ٣٢، ٤٢) ثم قيصرية (أع١٠) ثم بعد ذلك أنطاكية (أع١١). ثم العمل الكبير الذي قام به القديس بولس الرسول في آسيا الصغرى وفي بلاد اليونان وفي رومه، وعمل مارمرقس في الإسكندرية وليبيا ...

كل ذلك من خميرة صغيرة بدأ عملها في أورشليم ثم انتشر. كل هذا كان درساً حتى لا نحتقر العمل الصغير .

* * *

القديس الأنبا أنطونيوس كان فرداً واحداً حينما بدأ حياة النسك، ثم ما لبث أن انتشرت به الرهبنة في العالم أجمع. والقديس أنبا بولا السائح كان فرداً بسيطاً، ولكنه كان بداية لطقس السواح في الكنيسة كلها ...

كلمة واحدة قالها السيد المسيح لمتى العشار "اتبعني" (مت٩: ٩) كانت بداية عملت فيه وحولته إلى رسول وإنجيلي. وعبارة واحدة قالها الرب لسمعان بطرس وإندراوس "هلمّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس" (مت٤: ١٩) هذه العبارة كان لها عملها العميق في قلبيهما جعلهما رسولين من الإثنى عشر .

وهكذا كثير من الكلمات البسيطة الصغيرة كانت سبب تحول في حياة كثيرين، كما في لقاء الرب مع شاول الطرسوسي (أع٩) .

* * *

صدقوني يشبه هذا الأمر العمل الكرازي الذي تقوم به الكنيسة القبطية في أفريقيا، والذي بدأ بإرسال راهب قبطي إلى هناك "بلا كيس ولا مزود" . ولكنه انتشر كالخميرة التي خمرت بلاداً كثيرة. فصارت لنا حوالي ثلاثين كنيسة وأسقفان وكهنة ..

نفس الوضع فى تأسيس الكنائس القبطية فى أمريكا وكندا واستراليا وأوروبا. مجرد خميرة صغيرة وأنتشرت.. وكذلك بدأ عمل الكنيسة فى أمريكا الجنوبية: فى البرازيل ثم بوليفيا..

✠ ✠ ✠

مهما كانت البداية صغيرة، هذا أمر لا يهم. المهم هو الإنتشار .

الكنيسة فى أيام الرسل بدأت بداية صغيرة جداً، ثم نقرأ بعد ذلك فى سفر أعمال الرسل "وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة، فكان لها سلام، وكانت تبنى، وتسير فى خوف الرب. وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر" (أع٩: ٣١) .

عمل الخميرة :

كلما نقرأ عبارة "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً" (أع٦: ٧)، نذكر حقائق هامة فى مثل الخميرة وهى :

قوة الحياة الخفية الموجودة فى الخميرة، وقدرتها على العمل.

لاشك أن قوة كبيرة خرجت من الخميرة، وعملت فى أكيال الدقيق.إنها تعطينا فكرة عن قوة النعمة العاملة فى الكنيسة ، هذه القوة التى قال عنها القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠) .

✠ ✠ ✠

الخميرة فى عملها، تمثل العمل السرّى فى الكنيسة .

القوة الخفية التى تعمل ونحن لا نراها، ولكن نرى نتيجة عملها. هى قوة خفية لبناء الملكوت، قوة الروح القدس ..

من فينا يرى العمل السرّى الذى تقوم به الخميرة فى الدقيق؟! ربما يقول العلماء إنها تعمل على تكاثر الخلايا. ولكننا لا نرى شيئاً.

✠ ✠ ✠

هكذا العمل غير المرئى فى الأسرار الكنسية .

لا نرى العمل الخفى الذى تعمله المعمودية فى الميلاد الثانى من الماء والروح (يو٣: ٥) (تى٣: ٥). وكذلك لا نرى العمل الخفى الذى تقوم به المسحة المقدسة فى سر الميرون (١يو٢: ٢٠، ٢٧). وكيف يسكن الروح القدس فى الإنسان، ونصبح هياكل

للروح القدس وهو يسكن فينا (١كو٣: ١٦) (١كو٦: ١٩) .

كل ذلك يذكرنا بعمل الخميرة السرى فى العجين .

✠ ✠ ✠

كذلك عمل الخميرة هو عمل داخلى، يتخلل كل ذرات الدقيق .

إن الخميرة لا تعمل من الخارج ، بل تعمل عملاً داخلياً عجيباً، يحول الدقيق إلى شئ آخر غير ما كان عليه فى بادئ الأمر. ويظل هذا العمل فيه حتى يكمل اختماره .

وإذ يصبح الدقيق مختمراً،لا يكون له فضل فى ذلك .

إنه لم يصير ذاته هكذا، بل الخميرة هى التى حولته إلى الصفة الجديدة التى صار إليها. كما قال السيد الرب "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) .

✠ ✠ ✠

كل ما حدث هو أن الدقيق سلّم ذاته لعمل الخميرة فيه .

لم يقاوم ، ولم تكن ذاته ذات فاعلية تتمسك به، بل هو يعطينا فكرة عن (حياة التسليم) كيف تكون. هذه التى قال عنها القديس بولس الرسول "..أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىّ" (غلا٢: ٢٠). هكذا الدقيق يقول " لا أنا ، بل الخميرة التى تعمل فىّ " .. "أنا ما أنا " (١كو١٠: ١٠) .

لا يمكن للدقيق أن يصير خبزاً بإرادته هو، بل لا يصير عجيناً مختمراً بإرادته هو. إنها الخميرة العاملة فيه .

✠ ✠ ✠

الجميل فى الخميرة إنها تعمل فى الحال ، وتعمل باستمرار .

حينما توضع الخميرة فى الدقيق ، لا تتباطأ فى العمل، بل تعمل فى التو، وتظل تعمل وتعمل، حتى تقول أخيراً "قد أكمل".وهذا هو الذى حدث مع الكنيسة الأولى، حالما حلّ الروح القدس على التلاميذ، بدأوا يعملون بلا توقف، من أول ساعة، إلى أن نشروا الملكوت. بدأوا عمل الكرازة ، عمل التبشير، عمل التعليم، عمل التعميد، حتى تم انتشار الخميرة فى العجين كله .

تماماً كما دخلت الكلمة الإلهية فى اذن القديس أنطونيوس، للحال ظلت تعمل فيه، حتى باع كل ما يملك وذهب ليكرس كل قلبه وكل فكره لمحبة الرب، بلا تباطؤ .

✠ ✠ ✠

أهم ما فى عمل الخميرة أنها تنتشر .

تنتشر فى العجين ، وتتخلل كل ذراته، وتحولها .

إن الديانة الحقيقية هى التى تتخلل الإنسان كله وتحوله . تتخلل عقله وقلبه وإرادته، وتعمل فيه عملاً داخلياً سرّياً وهكذا يقول الرسول عن كلمة الله إنها "حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ"(عب٤: ١٢).

هكذا الخميرة تتخلل كل ما فى الدقيق ، وتكون حية وفعالة .

* * *

ولعل أبرز عمل للخميرة أن تغير الدقيق وتحوله إلى خمير .

كل قطعة منه تصلح أن تكون خميرة. لأن الخميرة التى وضعت فيه حولته إلى طبيعتها، إلى صورتها ومثال .. وأصبح هو أيضاً يعمل كعمل الخميرة ذاتها. إن أخذنا جزءاً منه ووضعناه فى عجين، يمكنه أن يخمره. لا يبقى الدقيق دقيقاً، بل يصير خميراً.

هكذا شاول الطرسوسى ، لما اختمر بكلمة الله العاملة فيه، لم يقتصر فقط على اختماره الشخصى، بل تحول إلى خميرة يمكنها أن تخمر العجين كله .

وهذا هو العجيب فى الخميرة ، إنها تحول الدقيق إلى مثل طبيعتها . وهذا هو عمل الكنيسة فى المؤمنين الجدد .

* * *

الله يعمل فيك، لكى يحولك إلى صورته ومثاله .

والذى يؤمن ويدخل إلى العماد المقدس، يستمع إلى قول القديس بولس الرسول "لأن جميعكم الذى اعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل٣: ٢٧).. نعم، لبستم بره، ولبستم شكله، وصرتم مثله بلا خطية فى وقت خروجكم من المعمودية.

كأناس يدخلون إلى الإيمان، وتعمل الخميرة المقدسة فيهم، فتراهم يتحولون إلى خدام يجذبون غيرهم أيضاً إلى الإيمان ...

هكذا كان الشاب أوغسطينوس شاباً ضائعاً بعيداً عن الإيمان. فلما آمن واعتمد استطاع أن يحول غيره إلى الإيمان. ولما سلك فى الحياة الروحية، أصبح هو أيضاً يحول كثيرين إلى الحياة الروحية .

* * *

من خصائص الخميرة أنها لا تهدأ حتى تخمر العجين كله .

عملها لا يقف عند حد، بل يستمر حتى يكمل الكل، كما قال السيد المسيح على الصليب "قد أكمل" (يو١٩: ٣٠) .

وكما قال للآب : الذين أعطيتنى حفظتهم فى اسمك، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك" (يو١٧). وكما قال "أنتم ملح الأرض" "أنتم نور العالم" (مت٥: ١٣، ١٤). فالملح يملّح الطعام كله، بانتشاره فيه. والنور أيضاً ينير البيت كله، بانتشاره فيه .

يقول الرب أيضاً فى مثل الخميرة ، أنه أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاث كيلات دقيق...

✠ ✠ ✠

المرأة فى هذا المثل ترمز إلى الكنيسة .

كما قيل عن المرأة أيضاً فى مثل الدرهم المفقود (لو١٥). كما ظلت تبحث عنه حتى وجدته، هكذا الكنيسة تبحث عن الخاطئ حتى ترده .

المرأة خبأت الخميرة فى كيلات الدقيق، هكذا الكنيسة هى التى بكرازتها تضع الإيمان فى قلوب الناس، وبرعايتها تضع مشاعر التوبة فى قلوبهم، بعمل قوى وعميق .

✠ ✠ ✠

المرأة لم تضع فقط الخميرة فى الدقيق، بل أولاً حولّت الدقيق إلى عجين، حتى يصلح وضع الخميرة فيه .

أى هيأت الجو المناسب الذى يجعل الخميرة تعمل. فهى لا تعمل فى مجرد الدقيق، إنما يوضع عليه الماء الدافئ، وبالماء والحرارة يعجن أولاً حتى يصبح مناسباً لعمل الخميرة فيه .

وهذا ما تعمله الكنيسة إذ تهيئ للشعب الجو المناسب. بالأسرار الكنسية، بالماء والروح، بالحرارة والدفء.. تأخذ الإنسان وتحوله إلى جو مناسب لعمل النعمة فيه .

تعطيه العماد ، تعطيه الروح القدس بمسحة الميرون المقدس، تعطيه الحلّ فى سرّ التوبة، تمهده لسر الافخارستيا المقدس .. وباختصار، تعجنه جيداً قبل أن تخمره بوضع الخميرة فيه .

✠ ✠ ✠

وهذا يرينا أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة .

وكما قال أحد القديسين إنك لا تستطيع أن تتخذ الله أباً، دون أن تتخذ الكنيسة أماً. وهكذا يشرح القديس بولس الرسول فى رسالته إلى رومية فيقول "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به! وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟! وكيف يسمعون بلا كارز؟! وكيف يكرزون إن لم يرسلوا" (رو١٠: ١٣- ١٥).

فالكنيسة هى التى ترسل الكارزين، وهؤلاء يقومون بخدمة الكلمة، التى تؤدى إلى

الإيمان، فالمعمودية فالخلاص (مر١٦: ١٦) . وإن أخطأ الناس بعد هذا ، وبعدوا ع
الله، تقوم الكنيسة بخدمة المصالحة ، تنادى أن اصطلحوا مع الله (٢كو٥: ١٨، ٢٠) .

✠ ✠ ✠

المرأة خبأت الخميرة فى ثلاث كيلات دقيق .

خبأتها أى وضعتها فى الداخل، فى الأعماق . هذا ما تفعله بكلمة الله حينما تضعها ف
قلوب المؤمنين ، وما تفعله بالإيمان حينما تضعه فى أعماقهم. ويذكرنا هذا بقول المزمور
"خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطئ إليك" (مز١١٩) .

فالخميرة التى توضع خارج الكيلات، لا تأتى بثمر . لكن المرأة أى الكنيسة ، خبأ
فى الداخل، فى المكان المناسب .

ولكن ما معنى ثلاث كيلات دقيق ؟

ثلاثة أكيال دقيق :

الرقم ٣ بوجه عام يرمز إلى الكيان .

فمثلاً الحجم يتكون من ثلاثة : الطول والعرض والارتفاع.

والزمان أيضاً من ثلاثة : الماضى والحاضر والمستقبل .

وأية مباراة : نتيجتها فى ثلاثة : إما غالب ، أو مغلوب، أو متعادل .

وهكذا فى العلاقات : إما مؤيد ، أو معارض ، أو محايد .

والجنس : إما ذكر ، أو انثى ، أو لا هو ذكر ولا انثى ، كالملائكة .

والمواد أيضاً ثلاثة : صلبة، أو سائلة، أو غازية .

والكائنات الحية التى على الأرض : إنسان ، أو حيوان، أو نبات وتحيا إما أرضية، أ
بحرية، أو طيوراً فى الجو .

✠ ✠ ✠

وهكذا فى تطبيـــق المثل: إلى أى شئ ترمز الثلاثة أكيال دقيق؟

إما ترمز إلى البشرية كلها التى تناسلت من أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث .

أو فى محيط الأسرة : الأب ، والأم ، والأولاد .

أو ألقيت الخميرة فى تكوين الإنسان من جسد ونفس وروح .

أو فى محيط الكنيسة: الإكليروس، والمؤمنين، والذين يمكن ضمهم .

أو فى محيط الشعب : الأطفال ، والشباب ، والشيوخ .

أو فى العهد القديم: فى الناموس والأنبياء والمزامير (لو ٢٤: ٤٤) .

أو فى المجال المسيحى : العهد القديم، والعهد الجديد، وتقليد الكنيسة . كل ذلك ما يمكن أن تعمل فيه الخميرة، أو تعمل بواسطته.

ملاحظات :

★نذكر غير ما سبق أن الخميرة ، بالإضافة إلى عملها فى سرّية، كانت تعمل أيضاً فى تدرج . وهذا العنصر ينطبق أيضاً على باقى أمثال النمو، مثل حبة الخردل، والزرع الذى ينمو .

★كذلك فإن الخميرة كانت تعمل بلا مقاومة . كما قال الرب عن كلمته "لا ترجع إلىّ فارغة، بل تعمل ما سررت به، وتنجح فى ما أرسلتها له" (أش٥٥: ١١) .

★كذلك فإن إنتشار الخميرة فى العجين، يعطينا درساً أننا فى خدمة الملكوت ، لا نبعد عن العالم، بل نتخلله ونعمل فيه ، ونؤثر فيه، ونغيره على قدر ما نستطيع . كما تفعل الخميرة ، تدخل إلى العجين، وتنتشر فيه، وتؤثر فيه، وتغيره إلى نفس طبيعتها .

★الخميرة طعمها غير مقبول . ولكن عملها ناجح ونافع .

وبالمثل فإن الطريق إلى الله ، من حيث الباب الضيق، وحروب العدو، وضبط النفس فى كل شئ، وإنكار الذات، وحمل الصليب .. كل ذلك قد يبدو مراً، ولكنه نافع لأبديتنا .

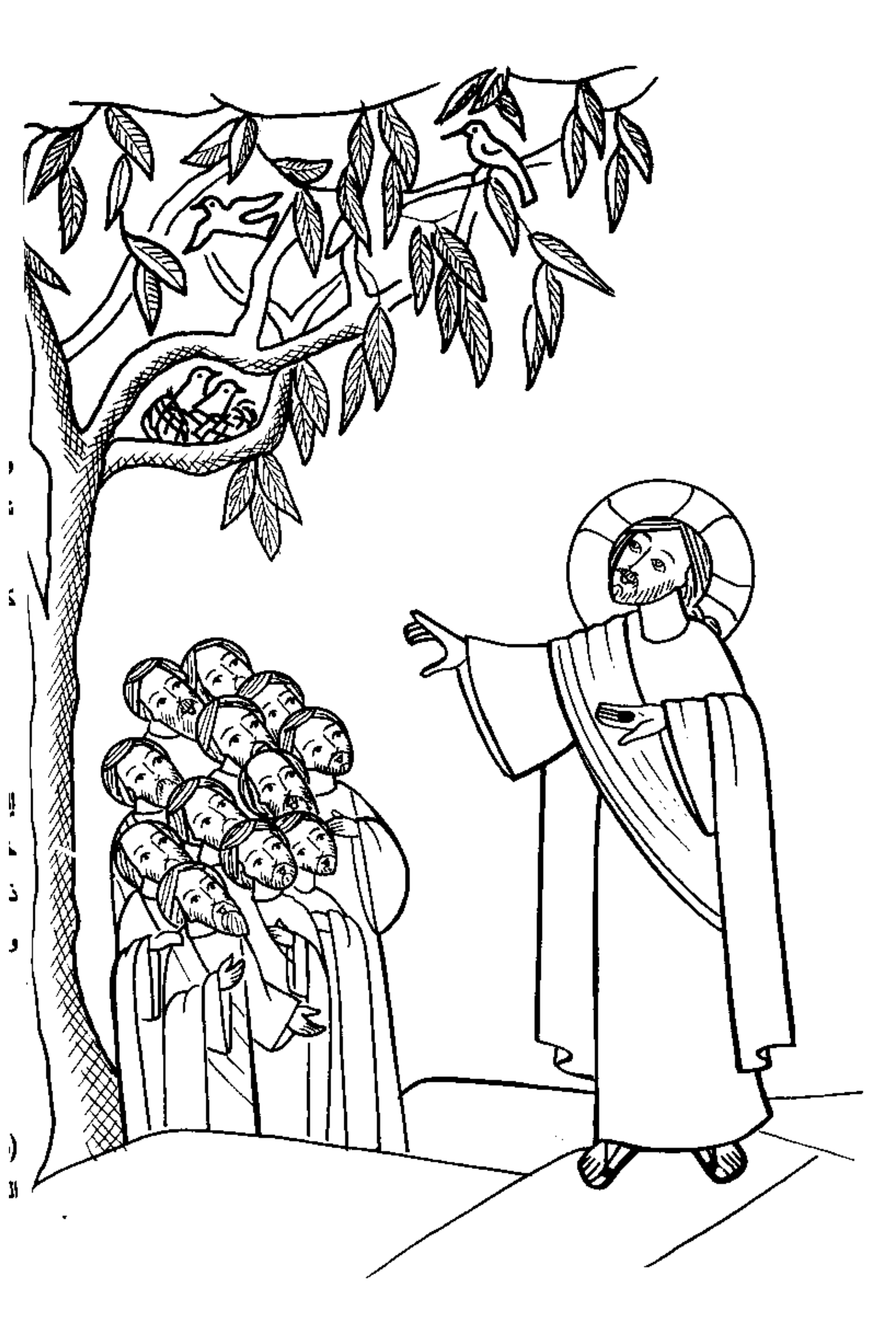
مثله مثل المرّ : طعمه غير مقبول . ولكنه حلو فى رائحته . كان من التقدمات التى قدمها المجوس لطفل المزود. وقيل عن الكنيسة "المر والميعة والسليخة من ثيابك" (مز٤٥: ٨).

★هناك أشخاص رفضوا عمل الخميرة فيهم ، لأن طعمها غير سائغ لهم:

★مثل هيرودس الملك الذى قال له يوحنا المعمدان "لا يحل لك أن تأخذ إمرأة أخيك" (مت١٤: ٤) . ومثل الشاب الغنى الذى قال له الرب "إن أردت أن تكون كاملاً، اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء.." فمضى حزيناً (مت١٩: ٢١، ٢٢) .

هؤلاء رفضوا أن تعمل فيهم الخميرة، فلم يصبحوا من بنى الملكوت .

أما نحن فلنقبل عمل هذه النعمة ، لينتشر الملكوت فينا وبنا .



٤- مَثَل حبة الخردل

(مت ١٣ : ٣١، ٣٢)

ورد المثل في عبارة قصيرة ، ولكنه يشمل معاني عميقة .

هكذا ورد في (مت١٣: ٣١، ٣٢) "يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها" .

ورد هذا المثل أيضاً في (مر٤: ٣٠- ٣٢)، (لو١٣: ١٩). أي في الثلاثة أناجيل التي كُتبت قبل إنجيل يوحنا .

نوعية حبة الخردل :

ينبغي أن يكون تركيزنا، لا على صغرها، بل على نموها .

عظمة حبة الخردل أنها – على الرغم من صغرها – تنمو حتى تصير شجرة تتآوى إليها طيور السماء. وبهذا المعنى نفهم قول السيد الرب "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل" (مت١٧: ٢٠). ليس معنى ذلك أنه لو كان لكم مجرد إيمان ضئيل، إنما الإيمان الصغير الذي ينمو باستمرار ويكبر...

كما أن هناك تأملاً آخر في حبة الخردل وهو :

☩ ☩ ☩

من تواضع الله أن يشبه ملكوته بأشياء صغيرة .

إنه شبه ملكوته بحبة قمح (مر٤: ٢٦-٢٨)، مجرد بذرة وشبّه ملكوته أيضاً بخميرة (مت١٣: ٣٣). وبحبة خردل (مت١٣: ٣١، ٣٢). وشبه الملكوت أيضاً بشبكة تلقى في البحر (مت١٣: ٤٧) .

الأشــياء الصَغيرة :

حتى معجزات الله ، استخدم فيها أشياء صغيرة .

معجزة إشباع خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال، استخدم فيها مجرد خمس خبزات وسمكتين (لو٩: ١٣، ١٤). وبهذا القدر البسيط اشبع الجموع وفضل عنهم. كذلك فى معجزة منح البصر للمولود أعمى، استخدم طيناً (يو٩: ٦). وفى شق البحر الأحمر، جعل الوسيلة لذلك مجرد عصا أمسكها موسى (خر١٤). وفى خلق الإنسان استخدم تراب الأرض.

كلها أشياء بسيطة، ولكنها فى يد الله عظيمة القدر .

✠ ✠ ✠

من جهة البشر أيضاً، استخدم أفراداً كانوا قلة فى العدد والمواهب .

أختار للكرازة فى العالم كله إثنى عشر تلميذاً، غالبيتهم كانوا من جهال وضعفاء العالم، ومن المزدرى وغير الموجود (١كو١: ٢٧، ٢٨) . كانوا حبات خردل صغيرة، وصاروا أشجاراً تتآوى إليها طيور السماء !

ولتبشير هؤلاء بالقيامة ، اختار مريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين (مر١٦: ٩) (يو٢٠: ١٧، ١٨) .

اختار أيضاً نيقوديموس الذى قابله ليلاً خوفاً من اليهود (يو٣: ١، ٢) . أختار "أوانى خزفية" (٢كو٤: ٧)، أوانى ضعيفة قابلة للكسر .

✠ ✠ ✠

وفى العهد القديم أيضاً اختار صغاراً .

أختار الفتى ارميا الذى قال "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" (أر١: ٦). وقال له "أنظر، قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك.." (أر١: ١٠). واختار صموئيل الطفل، لينقل رسالة خطيرة إلى عالى الكاهن (١صم٣). وليكون صاحب قنينة الدهن التى يرسم بها ملوكاً (١صم١٠) (١صم١٦). وأختار الرب داود صغير أخوته ليكون مسيحاً للرب وأول ملك حسب مسرة قلبه (١صم١٦: ١٣).

اختار موسى "الثقيل الفم واللسان" (خر٤: ١٠) ليكون كليم الله!

هذا الذى قال "لست أنا صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك" (خر٤: ١٠) بل "ها أنا أغلف الشفتين" (خر٦: ٣٠). كان موسى بلاشك فى بدء

رسالته، حبة خردل صغيرة ثم نمت . فصار من أعظم الأنبياء، ونقل شريعة الله إلى الناس .

✠ ✠ ✠

استخدم الله جدعون ليصنع خلاصاً ، ودعاه جبار البأس .

هذا الذى قال "ها عشيرتى هى الذلّى فى منسى، وأنا الأصغر فى بيت أبى" (قض٦: ١٥). ولكن الله وضع نعمته فى حبة الخردل الصغيرة هذه وقال له "إنى أكون معك، وستضرب المديانيين.." (قض٦: ١٦) .

✠ ✠ ✠

استخدم الله أيضاً يوسف الصديق أصغر أخوته .

لكى يكون أباً لفرعون ومتسلطاً على كل مصر (تك٤٥: ٨). ولكى يكون المنقذ الذى ينقذ شعب مصر وكل البلاد المحيطة من المجاعة، ويصبح سبب بركة لجيله. ويهبه الله موهبة تفسير الأحلام، وحكمة التدبير. ويقول عنه فرعون "هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله" (تك٤١: ٣٨) .

✠ ✠ ✠

واستخدم الرب داود الصغير ليكون البطل الذى يقتل شمشون الجبار (١صم١٧)، وتهتف له النسوة بالدفوف والمثلثات والغناء والرقص (١صم١٨: ٦، ٧). وأيضاً لكى يصبح هذا الصغير رجل الصلاة والتسابيح والمزامير، يعزف على العود والقيثارة والعشرة الأوتار، ويهدئ الملك شاول حين يصرعه الشيطان. ثم يقول عنه الرب "فحصت قلب داود، فوجدته حسب قلبى" . وقيل إن قلبه كان كاملاً مع الله" (١مل١١: ٤) . ويصبح داود أيضاً رمزاً للمسيح .

✠ ✠ ✠

أيضاً أثناسيوس الشماس كان حبة خردل صغيرة فى مجمع نيقية المسكونى .

كان مجرد شماس وسط ٣١٨ من رؤساء الكنائس وممثليها: بطاركة ومطارنة وأساقفة.. ولكن حبة الخردل هذه، كانت حية ونامية. واستطاعت أن تضع قواعد الإيمان المسيحى. وتأوت إليها طيور السماء ...

✠ ✠ ✠

واستخدام الأشياء الصغيرة، ظهر فى ميلاد المسيح .

فقد وُلد فى مزود حقيراً، صار مزاراً مقدساً تسجد أمامه الملوك والأباطرة، والبطاركة

والأساقفة. حبة خردل صغيرة صارت لها قيمتها. وولد المسيح أيضاً من أم يتيمة فقيرة، صارت جميع الأجيال تطوبها (لو١: ٤٨). وولد أيضاً في قرية بيت لحم التي كانت الصغرى في أرض يهوذا. فأصبحت حبة خردل خرج منها المدبر الذي يرعى شعب الله (مت٢: ٦) .

أيضاً في الرهبنة استخدم شاباً واحداً ليصير أباً لجميع الرهبان

ذلك هو الشاب أنطونيوس الذي أنتشر به هذا الطقس الملائكي في كل أنحاء العالم، طقس "الملائكة الأرضيين والبشر السمائيين". وصار أنطونيوس قائداً لكل قادة الرهبنة، بل مرشداً روحياً للبابا أثناسيوس الرسولي. ويبعث إليه الإمبراطور قسطنطين رسالة يطلب بركته .

✠ ✠ ✠

أيضاً يوحنا القصير ، كان شاباً صغيراً، مجرد حبة خردل، فاستخدمه الله حتى صار شجرة تتآوى إليها طيور السماء. وقيل عنه "إن الأسقيط كله كان معلقاً بأصبعه". وبالمثل كان تادرس تلميذ باخوميوس حبة خردل صغيرة. أمكن أن يؤسس غالبية أديرة القديس باخوميوس الكبير، وينظم أحوالها ويعين لها أمناء ومدبرين، وهو بعد شاب صغير..

✠ ✠ ✠

أمام كل هذه الأمثلة، نتذكر قول السيد الرب :

"أنظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار" (مت١٨: ١٠) .

نعم ، ما يدرينا لعل واحداً منهم يكون حبة خردل تنمو. مثل الطفل الذي أقامه السيد الرب وسط التلاميذ. وقال لهم "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت١٨: ٣) . وقيل إن هذا الطفل صار القديس أغناطيوس الأنطاكي، أحد الآباء الرسوليين الذي لقبوه (الثيئوفورس) أي حامل الإله .

✠ ✠ ✠

هناك مشروعات عظيمة في أيامنا بدأت كحبة خردل ونمت .

★ مدارس الأحد بدأت كمجرد فصل صغير في الكنيسة المرقسية بالأزبكية ثم نمت فصارت مراكز قوية في أسيوط، وفي شبرا، وفي الجيزة، وفي كل أنحاء القطر، وخارجه أيضاً. وصارت شجرة تتآوى إليها طيور السماء .

★ تعليم الفتاة بدأ كحبة خردل في مدرسة أسسها البابا كيرلس الرابع في حارة السقايين،

قبل اهتمام قاسم أمين، وهدى هانم شعراوى. ثم ما لبث أن أنتشر تعليم المرأة فى كل مكان .

★ بيوت المغتربات بدأت بفكرة بسيطة كحبة خردل نبتت فى ذهن الأب القمص صليب سوريال بالجيزة. أتت فتاة تبكى وتقول إنها قُبلت طالبة فى الجامعة بالجيزة، ولا تجد مكاناً تقيم فيه وهى من أهل الصعيد ..

ففكر فى إنشاء بيت للطالبات الجامعيات المغتربات. وكانت الفكرة حبة خردل، ما لبثت أن صارت شجرة تتآوى إليها طيور السماء ..

✠ ✠ ✠

إعادة تأسيس الكلية الإكليريكية سنة ١٨٩٣ فى عهد البابا كيرلس الخامس، كانت مجرد فكرة بسيطة أختير لها بعض طلاب من مدرسة الأقباط الثانوية، وبعض آباء من الرهبان.. كلهم حوالى عشرة . ونمت الفكرة حتى صارت شجرة تتآوى إليها المئات من الطلبة .

وبالمثل فكرة القسم الليلى بالإكليركية بدأنا بها كخمسة من الطلبة الجامعيين، تخرجنا سنة ١٩٤٩. كنت واحداً منهم. ونمت حبة الخردل هذه حتى أصبح لنا فى القسم الليلى مئات متعددة من الطلبة .

حبيب جرجس نفسه كان حبة خردل، نمت وأنتشرت .

مَثل للتشجيع وللرجاء :

قال السيد المسيح هذا المثل تشجيعاً أيضاً لتلاميذه .

كانوا عدداً قليلاً يأتمنه على نشر الكرازة فى العالم أجمع .. وكانوا ضعفاء، وكان يمكن أن يخافوا فيما بعد من اليهود ، ومن قسوة الدولة الرومانية وأباطرتها وولاتها، ومن الفلسفة المنتشرة وقتذاك بمبادئ غير المسيحية. فكأن السيد الرب يقول لهم : لا تخافوا إن الملكوت يشبه حبة خردل صغيرة ولكنها سوف تنمو، وتصبح شجرة تتآوى إليها طيور السماء.

إنه تشجيع لهم ، ورجاء يقدمه لهم فى عمل الله فى حبة الخردل هذه. وأيضاً كان كلامه فى هذا المثل، وفى مثل الخميرة، ومثل حبة القمح هو نبوءة عن مستقبل الكنيسة ونموها . وقد كان ...

تفـاصيـل المثـل :

حبة خردل وهى أصغر البذور .

ملكوت الله سيبدأ صغيراً ، مثل حبة الخردل ، وحبة القمح، والخميرة. ومثل التلاميذ الذين قيل عنهم فى المزمور "الذين لا قول لهم ولا كلام، ولا تسمع أصواتهم، فى كل الأرض خرج منطقهم ، وإلى أقصى المسكونة بلغت كلماتهم" (مز١٩: ٣، ٤) . هؤلاء هم الصيادون الجهلة .

✠ ✠ ✠

حبة الخردل صغيرة ، ولكن فيها حياة ، واستعداد للنمو .

المهم أنها حية . مثل كلمة الله التى قيل عنها إنها "حية وفعالة" (عب٤: ١٢) . صدقونى إن هذه الحبة الصغيرة تحمل فى داخلها صورة الشجرة بكل خواصها وصفاتها. مثل الجنين الذى يبدأ فى بطن أمه نطفة بسيطة. ولكن هذه النطفة تحمل فى داخلها صورة الإنسان حينما يكبر .

✠ ✠ ✠

حبة الخردل فيها الحياة ، وفيها طاقة الحياة ، وطاقة الانتشار.

فيها الحياة الكامنة، غير الظاهرة، ولكنها قوية: إذا ما أتيحت لها الفرصة يمكن أن تظهر . وتبدو هذه الطاقة فى النمو والإنتشار. تذكّرنى بالذرة : صغيرة وضئيلة ، وقد لا تُرى إطلاقاً بالعين المجردة. ولكنها تحوى طاقة جبارة إذا ما أتيحت لها أن تنفجر .

✠ ✠ ✠

حبة الخردل هذه أخذها إنسان وزرعها فى حقله .

كلمة (إنسان) هنا ترمز إلى السيد المسيح، الذى وضع نفسه البشرية فى حقله أى فى كنيسته، أو وضع هذه الكنيسة فى رعاية نعمته العاملة فيها . وكثيراً ما تحدث الكتاب عن المسيح كإنسان، أو أنه هكذا قال عن نفسه "إنسان له كرم" "إنسان له حقل" "إنسان بذر بذاراً" "إنسان له وكيل" .. إلخ .

عبارة "أخذها إنسان وزرعها" ، تعنى عمل النعمة فينا .

فرق كبير بين حبة خردل قائمة بذاتها، تبقى كمجرد حبة، وقد يفسدها السوس. وحبة خردل أخرى أخذها إنسان وزرعها، وهيأ لها وسائل النمو . هكذا ما أكثر أصحاب المواهب الذين لا يجدون من يتعهدهم ويرعاهم ، ويقدم لهم الإمكانيات والوسائل، وتقديم

الفرص لهم للنمو. وهنا نقول :

✠ ✠ ✠

حبة الخردل لكى تنمو، قدّمت لها ظروف الإنبات .

كما قال القديس بولس الرسول "أنا غرست ، وأبللوس سقى، والله كان ينمى" (١كو٣: ٦). أتستطيع حبة خردل أن تنمو، بدون وسائل الإنبات هذه: تزرع فى أرض جيدة وتتعهدها النعمة بالرى .

هكذا بولس الرسول فعل مع تلميذه تيموثاوس : أخذه وتعهده بالتعليم، وسلّمه التعليم السليم، وصيره أسقفاً لأفسس.. وهكذا فعل أيضاً بأنسيموس الذى كان مجرد عبد وصيّره نافعاً للخدمة (فل١١، ١٧).

✠ ✠ ✠

المهم فى حبة الخردل أن تستسلم لعمل الزارع فيها .

لا تقاوم – حيث يضعها تبقى فى مكانها، وتستسلم أيضاً لعمل التربة فيها ولعمل الماء. فتحيا حياة التسليم لكى تنمو .

. وهنا نرى أتحاد العمل البشرى مع العمل الإلهى. حقاً إن الله هو الذى ينمى البذرة. ولكنه ينمى ما قد غرس وما قد سقى (١كو٣: ٦).

المهم فى حبة الخردل أن تُزرع وأن تروى. تدفن فى الأرض التى ترمز لعمل المعمودية "مدفونين معه بالمعمودية" (كو٢: ١٢) وتقبل الماء فيها الذى يرمز إلى الروح القدس (يو٧: ٣٨) .

✠ ✠ ✠

كذلك عامل الزمن مطلوب لنمو حبة الخردل .

نحن لا نلقى حبة فى الأرض ، لتصير شجرة للتو . وإنما تحتاج إلى وقت لكى تنمو، فى هدوء وتدرج . ولكل شئ تحت السموات وقت (جا٣: ١) . وهذا درس لنا فى عدم العجلة، ولا نستعجل الثمر فى خدمتنا ولا فى حياتنا. هوذا المرتل يقول فى المزمور "أنتظر الرب. تقوّ وليتشدد قلبك، وأنتظر الرب" (مز٢٧: ٤) .

✠ ✠ ✠

لتكن حبة الخردل – فى نموها – درس فى انتظار الرب .

ننتظر فى إيمان وثقة ، أن البذرة لابد ستنمو. فى الوقت المحدد لها من قبل الرب حسب طبيعتها، وحسب الظروف المحيطة بها، وحسب النعمة المحيطة بها والعاملة فيها.

كذلك فى حياة كل إنسان: يحتاج إلى وقت لكى يتدرج من حياة الخطية إلى حياة التوبة، إلى حياة القداسة، إلى الكمال. وهذا يعطينا درساً فى الصبر .

✠ ✠ ✠

حبة الخردل هذه نمت وصارت شجرة تتآوى إليها طيور السماء .

هذه الطيور ترمز هنا إلى القديسين المنتمين إلى كنيسة الله.. طيور تنتمى إلى السماء، وتصعد إلى فوق، إلى السماء فوق مستوى الأرض. إنها سابحة وسائحة فى السماء كما السواح فى الأرض.

✠ ✠ ✠

تتأوى فى أغصانها أى صار لها أغصان وفروع .

وهذا مظهر من مظاهر الإنتشار . وكنيسة الرسل صار لها فروع فى أورشليم، وكل اليهودية و السامرة وإلى أقصى الأرض (أع١: ٨) .

وكنيستنا القبطية صار لها فروع فى أفريقيا وفى الأراضى المقدسة، وفى أمريكا وكندا وأوربا واستراليا وكل بلاد المهجر. ومدارس الأحد أمتدت وصار لها فروع. وكذلك الكلية الإكليريكية .

✠ ✠ ✠

الطيور تسبح فى السماء ، ولكنها إذا تعبت ، تأتى إلى الشجرة لتستريح.

هكذا المؤمنون يجدون راحتهم فى الكنيسة. كذلك فروع الخدمة يستريح على أغصانها المخدومون، مهما ارتفعوا إلى فوق يأتون إلى الشجرة الأم يستريحون على أغصانها ثم يتابعون الطريق .

✠ ✠ ✠

لا تتضايق إن بدأت روحياتك بمستوى ضعيف، فلابد أنك ستنمو .

ستنمو مادمت كائناً حياً، وقد وضعت ذاتك فى يد النعمة العاملة فيك..

ولكن لا تبقَ كمجرد حبة خردل ، بعيدة عن الأرض والماء .

٣- مَثَل حبة القمح

(مثل الزرع الذى ينمو)

(مر ٤ : ٢٦-٢٩)

مَثَل حَبَة القمح :

هناك مثل لم يرد إلا فى إنجيل مرقس (٤: ٢٦- ٢٩) وهو مثل حبة القمح، أو الزرع الذى ينمو. وهذا ما سنتحدث عنه الآن :

هكذا قال الرب فى هذا المثل :

" قال: هكذا ملكوت الله: كأن إنساناً يلقى بذاراً على الأرض. وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر: أولاً نباتاً ثم سنبلاً . ثم قمحاً ملآن فى السنبل" (مر٤: ٢٦- ٢٨) .

والآن نشرح هذا المثل نقطة نقطة :

✠ ✠ ✠

قال : هكذا ملكوت الله :

عبارة الملكوت وردت بثلاثة تعبيرات : ملكوت الله ، وملكوت السموات، والملكوت الأبدى. وقيل عن ملكوت الله :

"ملكوت الله داخلكم" (لو١٧: ٢١) .

ومعناها أن يملك الله على كل ما فى داخل الإنسان: يملك على قلوبكم، وعلى أفكاركم، وعلى أرواحكم، وعلى مشاعركم، وعلى وقتكم. يملك على كل شئ .

✠ ✠ ✠

وفى الواقع أن المسيحية كلها تتلخص فى الملكوت .

كل شئ فيها يدور حول ملكوت الله : سواء الإيمان، أو العبادة، أو ثمار الروح. كلها هدفها أن يملك الله .

فليست المسألة مجرد عقائد نظرية، بقدر ما هى حياة يملك فيها الله على الإنسان المؤمن، وعلى إرادته وعمله .

وملكوت الله يقبله الإنسان بكامل حريته. فالله ليس كرؤساء العالم، يفرضون سلطتهم على الناس. بل هو يملك علينا بكامل حريتنا وإرادتنا .

✠ ✠ ✠

وهو أيضاً ملكوت دائم مستمر ، لا ينتهى .

حتى فى بشارة الملاك للعذراء ، قال عن القدوس المولود منها "ولا يكون لملكه إنقضاء" (لو١: ٣٣). وهذا يذكرنا بما قيل فى نبوءة دانيال النبى "وملكوته ما لا ينقرض" (دا٧: ١٤) .

القصد من ملكوت الله، أن يجعل الإنسان باراً نقياً .

وأن يجعله شبه الله ، على صورته ومثاله .

✠ ✠ ✠

ومن طبيعة ملكوت الله داخلنا أنه ينمو .

وقد شرح الرب هذا النمو فى مثل حبة الخردل ، وفى مثل الخميرة. وفى مثل الوزنات. وفى هذا المثل ، مثل الزرع الذى ينمو، أو مثل حبة القمح .

من جهة الكنيسة – إن طبقنا هذا المثل عليها ، فهى تنمو فى العدد وفى نشر الإيمان، كما كانت الكنيسة فى العصر الرسولى، وفيما بعد (مرسوم ميلان) سنة ٣١٣م الذى كفل الحرية الدينية .

وإن طبقنا هذا المثل على الفرد ، على حالة قلبه من الداخل: فإنه ينمو فى الفضيلة. وينمو فى محبة الله، أو تنمو محبة الله فيه. وعموماً تنمو صلته بالله وتتعمق يوماً بعد يوم.

✠ ✠ ✠

إن ملكوت الله ملكوت روحى، وحرّ ، وينمو ...

ونموه نمو تدريجى :

لا يوجد إنسان يصل إلى الكمال دفعة واحدة، بل يتدرج .. كما قيل فى هذا المثل "أولاً نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملآن فى السنبل" .

كل شئ يأتى فى وقته الحسن . من الخطأ عند بعض المرشدين الروحيين ، أنهم يريدون أن ينمو أولادهم بسرعة قد تكون غير طبيعية!

من المفروض فى الإنسان أن ينمو بالتدريج من الناحية الروحية، كما ينمو بالتدريج من الناحية الجسدية .

✠ ✠ ✠

وملكوت الله هو أيضاً ملكوت سرى :

إنه ملكوت داخل الإنسان فى سرّ. لا يعلم به إلا الله وحده . بل حتى الإنسان لا يدرك بالضبط أنه ينمو ، ولا يعرف كيف ينمو..!

أحياناً يسألنا بعض الشبان : كيف نشعر أننا ننمو روحياً ؟

وفى الواقع من الخطورة عليك أن تشعر أنك تنمو ..!

أنظر ماذا يقول هذا المثل "إنسان يلقى بذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً. والبذار يطلع وينمو. وهو لا يعلم كيف"!

هو لا يعلم كيف. لأن ملكوت الله ينمو فيه بعمل الروح القدس. والكتاب يقول إن "ملكوت الله لا يأتى بمراقبة" (لو١٧: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

ويأتى ملكوت الله بتجاوب الإنسان مع عمل النعمة فيه .

أى اشتراك الإنسان مع العمل الإلهى داخل قلبه ...

وهكذا قال القديس بطرس الرسول "لكى تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية (أى شركاؤها فى العمل) ، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة. ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدموا فى إيمانكم فضيلة.." (٢بط١: ٤- ٧). فذكر اشتراك الإنسان مع الله ، مقدماً كل اجتهاد وكل فضيلة . إن المجهود البشرى لازم مع ملكوت الله .

حقاً إن الله هو الذى يلقى البذار فى الأرض . ولكن لابد من المجهود البشرى .

✠ ✠ ✠

البذرة التى يضعها الله فى الإنسان تحمل كل صفات الحياة .

تحمل الحياة فى داخلها، وتحمل عنصر النمو فى داخلها .

البذرة تُلقى فى الأرض ، فتنمو . ولكن كيف تنمو؟ كيف تطلع إلى فوق؟ كيف تزداد يوماً بعد يوم؟ هذا ما لا نعلمه ..

إنه من طبيعة البذرة ذاتها . من موهبة الله لها، موهبة الحياة التى وضعها فى البذرة..

✠ ✠ ✠

وأنت كذلك تنمو فى حياتك الروحية . ولكن كيف تنمو ؟

بالروح التى وضعها الله فيك ، ووضع صفاتها . وبالعقل الذى وضعه الله فيك، ووضع مواهبه. أنت لا تدرى كيف . ولكن عمل الله مستمر فيك. وكما يقول المثل عن الزرع إنه ينمو، والإنسان لا يعرف كيف ؟

طبيعة البذرة أنها تأتى بثمر. ولكن لابد من اتحاد حريتنا مع المشيئة الإلهية. كما قال بعضهم إن شريعة الله بدأت تعمل، حينما اتحدت السماء مع سيناء. أى حينما اتحد الإنسان فى شبه جزيرة سيناء مع شريعة الله التى من السماء (على جبل الشريعة، حيث أعطى الله للإنسان الوصايا العشر) .

✠ ✠ ✠

يقول الكتاب إن الزرع كان ينمو ليلاً ونهاراً .

أى فى النور وفى الظلام ، فى الحرارة وفى البرودة .

إننا نشكر الله الذى منح البذرة الروحية التى فى داخلنا، أن تنمو حتى فى الظلام، حتى فى البرودة، إنها تحتمل الطبيعة، سواء فى السعة أو فى الضيقة. كما يقول الرسول "لذلك أسرّ فى الضيقات" "الموت يعمل فينا.. لا نفشل" (٢كو٤: ١٢، ١٦) . وقال القديس يعقوب الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً. وأما الصبر فله عمل تام، لكى تكونوا نامين وكاملين" (يع١: ٢-٤).

✠ ✠ ✠

البذرة تنمو . يمرّ عليها الليل، كما النهار، وهى تنمو .

طبيعة النمو جزء من حياتها . ولا يؤثر عليها البرد أو الحر. إنها تنمو مهما كانت الأوضاع.

أنت تستريح ، والرب يعمل فيك. وتنام، وعمل الله مستمر فيك. ويمر عليك الليل والنهار، وعمل الله لايزال فيك .

المهم أنك تنمو وأن الله يعمل فيك. لا تفكر فى نفسك: ما هى قامتى الروحية اليوم؟! وماذا سأصير غداً؟! هذا التفكير ليس من صالحك. ليس المهم كيف تنمو؟ إنما المهم أن تنمو. ويقول الكتاب:

"الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز فى لبنان ينمو" (مز٩٢: ١٢).

النخلة فى كل يوم تزداد نمواً، كما يظهر كل عام أنها تنمو، وهكذا أرز لبنان. وهكذا أشجار الكافور والكازورينا. ونحن لا نعرف كيف؟ نفس الوضع فى حياتنا الروحية ...

عملنا هو أن نضرم موهبة الله التى فينا .

كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس (٢تى١: ٦).

✠ ✠ ✠

وهكذا ننمو لكى نأتى بثمر .

أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل .

نباتاً : أى أن البذرة بدأت تنتفخ ، والحياة الداخلية التى فيها، ظهرت خارجاً. فلم تعد مجرد حياة كامنة داخل البذرة ، بل أخذت تتحول إلى نبات .

ثم سنبلاً : أى أخذت تطلع إلى فوق ، ويتكون فيها الوعاء الذى يدخل فيه القمح .

ثم قمحاً ملآن فى السنبل : أى علامة النضوج وكماله ..

المفروض فى الكنيسة أن تكون بهذا النمو ، وكذلك الفرد ..

لا تبقى حياتنا مجرد بذرة ، وإنما تتفتح ، وتخرج الحياة التى فيها وتظهر .. هكذا إذا كانت البذرة وهى تلقى فى الأرض، تحاط بكل وسائل الإنماء .

✠ ✠ ✠

لو بقيت البذرة وحدها ، لا تأتى بحياة .

بل ربما تسوّس ، أو يكون استعمالها محدوداً. كحبة القمح التى تطحن وتتحول إلى جزء من خبز وتنتهى. أو تطبخ وتتحول إلى فريك وتنتهى.. ولكن لا تتحول إلى هذا النمو المذكور فى المثل إلا إذا القيت فى الأرض وزُرعت ، وتفتحت الحياة التى فيها ، لكى تصير "قمحاً ملآن فى السنبل" .

عليك إذن أن تلقى البذرة فى الأرض لكى تنمو .

حتى مواهبك التى منحك الله إياها، لابد أن تلقيها وسط الناس لكى تنمو. إن حبة القمح إذا ألقيت فى الأرض، ستتحول إلى سنبلة ملآنة بالقمح. ربما قدح واحد من بذار القمح، يتحول – إن ألقيته فى الأرض – إلى طن .

✠ ✠ ✠

إذن لا تترك الحياة التى فيك كامنة ، بل استخدمها .

لا تدفن الوزنة فى الأرض ، بل تاجر بها واربح اعمل بها .. ليس فقط من جهة المواهب ، بل حتى المال الذى عندك، لا تستبقه مكنوزاً فى الأرض لا يأتى بنتيجة. إن وزعته أو وزعت منه على الفقراء، سيفتح لك الرب كوى السماء، ويفيض عليك بركة (ملا٣: ١٠). ويتحول مالك من مجرد بذرة إلى "قمح ملآن فى السنبل" .

الثمر الذى تنتجه البذرة هو علامة نضوجها .

حينما يتغير اللون، لون السنابل، نرى "الحقول قد ابيضت للحصاد" (يو٤: ٢٥). وحينئذ تصبح السنابل مستعدة للحصاد .. وحينئذ يبدأ الحصاد ، وتصبح أجران الله مملوءة قمحاً.. أى أن الله يقبلها فى ملكوته ..

✠ ✠ ✠

إن عمل الله يستمر معنا ، منذ البداية إلى وقت الحصاد .

هو معنا فى إلقاء البذار على الأرض، وفى منحها الحياة، ومعنا فى منحها النمو. وهذا النمو يتم فى الموعد المحدد له للنضوج . فلا نستعجل هذا النضوج، إنما نصبر وننتظره، كما قال الرب "من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص" (مت٢٤: ١٣) .

ليس لنا أن نرغم البذرة على النمو سريعاً، إنما ننتظر حسب طبيعتها .

هناك بذار تأتى بثمر سريع، وبذار أخرى تبقى فى الأرض إلى أن يحين وقتها . وطبيعة كل شجرة تختلف عن الأخرى .

وعمل الزارع هو أن يبذر وينتظر . ثم يحصد فى الوقت المناسب ...

٤- مَثل الوزنات

(مت ٢٥ : ١٤-٣٠)

تحدثنا من قبل عن النمو الداخلى فى مثل الخميرة، والنمو الخارجى فى مثل حبة الخردل. وكلاهما بعمل النعمة . ونتكلم الآن عن عمل الجهد البشرى فى النمو، كما يوضحه مثل الوزنات .

قال الرب هذا المثل فى الأسبوع الأخير فى (مت٢٥: ١٤- ٣٠). وهو يشبه مثل الأمناء الذى ورد فى (لو١٩: ١٢- ٢٦) .

✠ ✠ ✠

يبدأ المثل بعبارة "كإنما إنسان مسافر" .

وعبارة "مسافر" وردت أيضاً فى مثل الكرامين (مت٢١: ٣٣).

هذا المسافر هو السيد المسيح له المجد، منذ صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب (مر١٦: ١٩). وقد صعد لكى يعدّ لنا مكاناً (يو١٤: ٢). وقد ورد فى المثل أن سفره استمر "زماناً طويلاً" . ويعنى بهذا الفترة ما بين الصعود والمجئ الثانى .

وقد سافر ، لأنه لا يريد أن يملك هنا علىالأرض مرئياً عن طريق الحواس، إنما يريد أن يملك بالإيمان فى قلوبنا (أف٣: ١٧).

✠ ✠ ✠

وقبل سفره "دعا عبيده ، وسلمهم أمواله" (ع١٤) .

هنا عبارة عبيده تعنى كل البشر من خدامه، بما فيهم الصالح والشرير. وسلمهم أمواله. أعطاهم كلهم وزنات. سلّم كل إنسان عمله، وما يجب عليه من مسئوليات.. لقد أعطى الكل بلا إستثناء.

الكل أخذ وزنات . لا يوجد أحد لم يأخذ وزنة .

غير أن البعض تاجر وربح. والبعض أهمل وزنته ولم يعمل بها . وإن إدّعى البعض أنه لم يأخذ، يكفيه نفسه فهى وزنة .

✠ ✠ ✠

والذين أعطاهم كانوا عينات مختلفة: فيهم العذارى الحكيمات، والعذارى الجاهلات. فيهم الفريسى والعشار. فيهم يوحنا الحبيب، ويهوذا الذى "كان الصندوق عنده" (يو١٢: ٦) فيهم سليمان الحكيم، وأخوه أبشالوم. فيهم السمك الجيد، والسمك الردئ.. الكل أخذ .

✠ ✠ ✠

سافر . ولكن لابد سيأتى ليحاسب عبيده عن وزناتهم (ع١٩).

ولأن سفره قد طال، أهمل البعض وزناتهم. ولم يفكروا فى يوم الحساب. لذلك فإن الكنيسة الأولى كانت - لتذكيرهم - تستعمل عبارة "ماران آثا"، أى "ربنا آتٍ" أو "ربنا سوف يأتى" .. وإن كان مجيئه للكل هو فى يوم القيامة، إلا أن كل واحد، له ساعة معينة يجئ الرب له فيها. وقد لا تكون "بعد زمن طويل" . ويعطى فيها حساباً عن وزنته .

مَا هىَ الوزنات؟

★هى مواهب من الله، ومقدرات ، وفرص أعطيت لكل واحد .

أو هى **مسئوليات** ، كما قيل "أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين.. لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح" (أف٤: ١١، ١٢).

★وقد تكون **مواهب الروح** . كما قيل "أنواع مواهب موجودة.. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة" (١كو١٢: ٤، ٧). ومن بين ذلك : المواهب: كلام حكمة، كلام علم، إيمان، مواهب شفاء، عمل قوات، نبوة، تمييز أرواح، ألسنة، ترجمة ألسنة "قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢: ٨- ١١) .

★وقد تكون **بركات روحية أو مادية** ، للخدمة بها: مثل الغنى، العلم، الفهم والذكاء. موهبة صلاة، تعليم، تأثير روحى، قدرة على الإقناع، قدرة على الإفتقاد. وقد تكون الوزنة هى **عقولنا**، وقوانا .

✠ ✠ ✠

★بل إن **أجسادنا وأرواحنا**، هى أيضاً وزنات، قال عنها الرسول " فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ٢٠) .

★وقد تكون الوزنة **سلطة** أعطيت لنا لنستخدمها لملكوت الله .

★إنها وزنات متنوعة ومتعددة "حسبما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو١٢: ٣).

المهم أن يكتشف كل واحد وزناته ويستخدمها. كما أنه على الكنيسة أن تكتشف وزنات المخدومين، وترشدهم فى كيفية استخدامها .

✠ ✠ ✠

هذه الوزنات أعطيت لنا ، لننفذ بها مشيئة الله على الأرض، وليست للفخر والمجد الباطل، ولا لنكتسب بها مديحاً أو غروراً. مثل البعض الذين كانوا يسعون لموهبة الألسنة مدعين أنهم وصلوا للملء !

وأعطيت لنا المواهب لمدة محددة هى مدة هذا العمر الأرضى كما أنها مواهب يمكن أن تزيد بالحكمة وحسن الاستخدام .

✠ ✠ ✠

ويجب أن نعرف جيداً ، أن كل وزناتنا معطاة لنا من الله .

وكما يذكر هذا المثل أن السيد "أعطى واحداً خمس وزنات، وآخر وزنتين، وآخر وزنة" (ع١٥). إذن كلها عطايا منه. وكما يقول الكتاب "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هى من فوق، نازلة من عند أبى الأنوار" (يع١: ١٧). وفى هذا المثل قال صاحب الخمس وزنات لسيده "خمس وزنات أعطيتنى".. وقال صاحب الوزنتين "وزنتين أعطيتنى" (٢٠، ٢٢) .

حقاً إن كل الذى لنا ، هو ملك لله ، تسلمناه منه .

بما فى ذلك عقولنا وذكاؤنا، وقوتنا وجهدنا، ووقتنا وعمرنا. الكل منه وله. ولا ندعيه لأنفسنا "لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه" (١كو١: ٢٩) . وهكذا يقول القديس بولس الرسول "أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠).

وزنات متنوعة :

وزنات مختلفة فى كميتها وفى نوعيتها :خمس، وإثنتين، وواحدة، "حسبما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو١٢: ٣).

★**أصحاب الخمس الوزنات** ، هم أصحاب المواهب الفائقة للطبيعة، كالذين أخذوا صنع الآيات والمعجزات ومواهب الروح، أو الذين أخذوا سلطاناً كبيراً من الله مثل الآباء الرسل والأنبياء، وكبار القديسين، وأبطال الإيمان ورؤساء الكنائس. أو أخذوا مسئوليات

متعددة مثل القديس بولس الرسول الذى قال "..عدا التراكم عليّ كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس" (٢كو١١: ٢٨). أو مثل الذين أخذوا مواهب بشرية متعددة، كالذين لهم Multi talents من العباقرة.

أصحاب الوزنات الخمس هم شخصية قليلة فى العضوية العامة للكنيسة .

✠ ✠ ✠

★**أصحاب الوزنة الواحدة هم المؤمنون العاديون .**

★**أصحاب الوزنتين** هم الوضع المتوسط بين أصحاب الخمس وزنات وأصحاب الوزنة الواحدة. هؤلاء لا يرتفع قلبهم لأنهم لم يأخذوا خمس وزنات. ولا يكتئبون كالذى لم ينل سوى وزنة واحدة. إنهم فى وضع متوسط من جهة القدرة، ومن جهة نوع العمل أيضاً.

من جهة الغنى: ليس عندهم الغنى الهائل، كما كان سليمان الحكيم، وقاده الغنى إلى الرفاهية التى قال فيها "ومهما اشتهته عيناى، لم أمسكه عنهما" (جا٢: ١٠). ولا هم فى حالة الفقر والعوز مثل لعازر المسكين ، الذى كان يشتهى الفتات الساقط من مائدة الغنى" (لو١٦: ٢١) . بل هم فى وضع اقتصادى متوسط .

✠ ✠ ✠

ومن جهة العقلية : لا هم من أصحاب العقليات الكبيرة كالعلماء والفلاسفة، ولا هم من أصحاب عقلية بسيطة كالعوام، لكنهم فى وضع متوسط فى المواهب البشرية .

حتى فى الروحيات ، هم فى الوضع المتوسط . لا هم فى الدرجات الروحية العليا. ولا هم من الناس العاديين. بل هم أبناء للكنيسة ولهم ممارساتهم الروحية وخدماتهم، ومسئولياتهم الكهنوتية أو العلمانية .

✠ ✠ ✠

والمعروف أنه كلما ازدادت وزنات إنسان، تزداد مسئوليته أيضاً.

وكما يقول الكتاب "كل من أعطى كثيراً، يُطلب منه كثير" (لو١٢: ٤٨) . "والذى يعرف أكثر، يطالب بأكثر".

وحينما مدح السيد الذين تاجروا وربحوا، لم يمدحهم بسبب الكمية، وإنما لأن كل منهم صالح وأمين فقال "نعماً أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً فى القليل.."(ع٢١، ع٢٣).

وقد ذكرنا أن الرب يعطى مواهب متنوعة فى (١كو١٢) .

على أن الله ليس بظالم فى هذا التوزيع، وإنما يُقال فى مثل الوزنات إنه أعطى "كل واحد على قدر طاقته" (ع١٥). وعلى كلٍ:

ليس المهم هو كثرة المواهب، إنما كيفية استخدامها لأجل الرب.

كما أنه فى تمثيل أية رواية، ليس المهم نوع الدور الذى يقوم به الممثل، وإنما درجة إتقانه لهذا الدور .

فلا ترتفع قلوبنا إن كانت وزناتنا أكثر، ولا نكتئب إن كانت وزناتنا قليلة .

✠ ✠ ✠

أما كون المواهب متنوعة، فهذا أمر طبيعى ولازم .

لأن هذا التنوع يوجد جواً من التكامل نافعاً للخدمة .

والطبيعة نفسها خلقها الله بهذا التنوع . ولكنه تنوع متناسق .

فى خيمة الإجتماع استخدم فيها : الذهب والفضة والنحاس، والخشب والجلد والشعر . كل من هذه المواد كان له عمله ورسالته. وفى الترحيب بالسيد المسيح عند دخوله أورشليم، عبر البعض عن فرحتهم وإجلالهم ، بأغصان الزيتون، أو بفرش ملابسهم فى الطريق، أو بهتافهم "أوصنا يا ابن داود" .

✠ ✠ ✠

ومثل هذا الإختلاف فى نوعيته، كان حتى بين الرسل والأنبياء.

بولس الرسول أخذ وزنة فى عقليته الكبيرة، وبطرس الرسول أخذ وزنة فى حماسه واندفاعه. إيليا النبى كانت وزنته هى الغيرة المتقدة. وأرميا النبى كانت له وزنة فى الحساسية والدموع. وموسى النبى كانت وزنته هى الوداعة والحلم، بينما أيوب الصديق كانت وزنته هى الاحتمال. سليمان أعطى من الله الحكمة، ويوسف ودانيال أعطيا تفسير الأحلام والرؤى. المعمدان وهبه الله إنكار الذات والخدمة القصيرة الزمن العميقة المفعول. وابراهيم أبو الآباء وزنته الإيمان والطاعة ...

✠ ✠ ✠

وهكذا اختلفت وزناتهم فى الطول والعمق ، وكلها لمجد الله .

فهل أنت قد استخدمت وزناتك فى بناء الملكوت مثل هؤلاء .

إن المهم ليس نوع الوزنة أو مقدارها، إنما الأمانة فى استخدامها .

أيها الصالح والأمين :

مفتاح هذا المثل كله هو الأمانة فى الوزنات المعطاة .

وهذا واضح من قول الرب لكل من صاحب الخمس الوزنات وصاحب الوزنتين: نعماً

أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً فى القليل، فأقيمك على الكثير" (ع٢١، ع٢٣) .

الأمانة فى الخدمة هى التى توسع الخدمة .

سواء فى القليل أو الكثير . لأنه لعل أحدهم يقول "أنا لم آخذ من الله إلا قليلاً، وزنة واحدة ! لو كان الله قد أعطانى كذا وكذا، مثل فلان وفلان، لعملت.. وعلمت.. نقول له: أنت تظن ذلك. وهوذا الكتاب يقول فى المثل إن السيد "أعطى كل واحد على حسب قدرته" (ع١٥) . وحتى لو كنت تاجرت وربحت فى الوزنة الواحدة التى أعطاك الله إياها، لكنت قد نلت نفس الطوبى التى نالها صاحب الخمس وزنات .

✠ ✠ ✠

وأعلم أن البعض أخذ خمس وزنات أو وزنتين، وفشل بسبب عدم أمانته .

يهوذا أخذ خمس وزنات، إذ كان واحداً من الإثنى عشر رسولاً، بكل مواهبهم . وتميز بأن الصندوق كان عنده. وكان فى العشاء يجلس قريباً من المسيح، ويغمس معه فى الصحفة (مر١٤: ٢٠). وهلك ! ولم تنفعه وزناته .

وديماس كان تلميذاً لبولس العظيم. وكان الرسول يذكره أحياناً إلى جوار القديس لوقا الطبيب الحبيب والإنجيلى (كو٤: ١٤) وأحياناً يذكره قبله (فل٢٤). ولكن هلك ديماس لأنه "أحب العالم الحاضر" (٢تى٤: ١٠) وفقد وزناته .

وأصحاب وزنات أخرى، من مساعدى الرسول، هلكوا أيضاً .

هؤلاء قال عنهم القديس بولس "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لك مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك" (فى٣: ١٨، ١٩). لعلهم كانوا من أصحاب الوزنتين كمساعدى الرسول!

✠ ✠ ✠

بالأمانة ممكن أن الوزنة الواحدة تربح، والقليل المعطى لك يصير كثيراً .

الخادم (الصالح والأمين) يكون صالحاً من جهة روحه، من جهة علاقته بالله. وأميناً فى خدمته، واستخدامه لوزناته ...

ولكى تكون أميناً، ينبغى أن تعرف الواجب المطلوب منك، وتتممه . وحتى إن كانت لك وزنة واحدة، ستجدها – بأمانتك – تنمو وتكبر. إن أية نار تنفخ فيها سوف تشتعل أكثر .

✠ ✠ ✠

أنظر إلى الوزنة التى أخذتها . وهل أنت تعمل بها أم لا؟ وهل تعمل بها من أجل مجد الله وملكوته ؟

أم تعمل بها من أجل الفخر والمجد الباطل ، والبحث وراء المديح والكرامة! أى من أجل نفسك فقط. كإنسان أعطاه الله غنى، يستخدمه لأجل نفسه ! أو أعطاه الله موهبة عقلية أو فنية، فيستخدمها لأجل نفسه فقط. المهم أن تتاجر بوزنتك وتربح، لملكوت الله. فما معنى عبارة "تتاجر وتربح"؟ وما أهميتها؟

صَاحب الوزنة الواحدة :

صاحب الوزنة الواحدة لم يقل الكتاب إنه فقد وزنته أو اساء استخدامها . إنما كل ذنبه إنه لم يتاجر بها ويربح .

لأن الروحيات ليس لها الجانب السلبى فقط، بمعنى إننى لا أفقد وزنتي.. بل لها العنصر الإيجابى أى أن أعمل بها خيراً. صاحب الوزنة الواحدة لم يستخدمها فى الشر، وأيضاً لم يعمل بها خيراً. لذلك عاقبه الله. لماذا؟ لأنه لم يتاجر ويربح.

إذن لا تقارن نفسك بغيرك. لا تقل غيرى أخذ أكثر منى. إنما عملك هو أن تعرف وزنتك، وتتاجر بها وتربح .

✠ ✠ ✠

عبارة (تتاجر بها وتربح) تنطبق على الكل ، وبولس الرسول كمثال :

أنظر كم من الوزنات كانت له ؟ هذا الذى أُختطف إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢) . والذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠). والذى تحمل آلاماً أكثر من جميعهم (٢كو١١) والذى كتب ١٤ رسالة .. ومع ذلك يقول " لست أحسب أننى قد أدركت أو صرت كاملاً .. ولكننى أفعل شيئاً واحداً.. أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض" (فى٣: ١٣) أى أنه لا يزال يتاجر ويربح .

وكيف يربح ؟ يقول إنه صار لليهودى كيهودى ليربح اليهود . وصار للذين بلا ناموس كأنه بلا ناموس، ليربح الذين بلا ناموس. بل يقول "صرت للكل كل شئ، لكى أخلص على كل حال قوماً" (١كو٩: ١٩- ٢٢) .

✠ ✠ ✠

أعطاك الله وزنة. لابد أن تتاجر بها وتربح. تنفع بها الكنيسة والمجتمع، وتنفع بها نفسك .

أما الذى لا يصنع بوزنته خيراً ، فهو ليس أهلاً للشركة مع الله. لأن الله صانع الخيرات "يجول ويصنع خيراً" (أع١٠: ٣٨) .

لابد أن تكون أيضاً صانع خيرات، على قدر ما أعطيت من وزنات. تتاجر وتتعب وتربح. وكل واحد "سينال أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) . وقد قال الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو١٥: ٥٨) .

☩ ☩ ☩

مكافأتنا فى السماء ، ستكون بمقدار ما تاجرنا وتعبنا وربحنا .

والدينونة فى الأبدية لا تكون على الذين حاولوا وفشلوا. بل بالأكثر على الذين لم يحاولوا. ومشكلة صاحب الوزنة الواحدة، أنه لم يحاول. بل أخذها ودفنها وأخفاها (ع١٨)

أنت إذن تتاجر ، والله هو الذى يدبر الربح .

أنت تغرس وتسقى . والله هو الذى ينمى" (١كو٣: ٧) .

لماذا عليك أن تتاجر وتربح بوزنتك ؟ لأنه يقول :

كل شجرة لا تصنع ثمراً ، تقطع وتلقى فى النار (مت٣: ١٠).

لا تحاول أن تلتمس لنفسك أعذاراً ، كما فعل صاحب الوزنة الواحدة. كل ما فى الطبيعة يعمل عملاً حتى الملائكة، ما عدا الإنسان الذى يهمل ويختفى وراء مبررات!! عالمنا ليس ملعباً نلهو فيه، ولا هو مخدعاً ننام به! بل هو حقل ينبغى أن يمتلئ بالثمار .

☩ ☩ ☩

عيب صاحب الوزنة الواحدة كان فى داخله ، لأنه كسول لا يعمل. **صدقونى لو أعطاه الرب خمس وزنات، كان دفنها أيضاً .**

وعيبه أيضاً فى فكرته السيئة عن الله. يقول للرب : عرفت أنك إنسان قاس . تحصد من حيث لا تزرع" أسلوب غير مؤدب.. يقدم أعذاراً وأعذاره خطايا . إنه ينسب لنفسه المعرفة، ويدين الله نفسه. وفى قلبه التذمر والانتقاد .

عجيب أن أكثر الناس تذمراً وانتقاداً ، هم أقلهم عملاً .

المفروض أنك لا تنظر إلى ما عندك إنه قليل. بل تكون أميناً فى استخدامه ليصير كثيراً. وعموماً ما لا تستخدمه، تكون عرضة أن تفقده .

الباب الخامس

أمثال في مقارنات

مَثل الـزارع (مت ١٣ : ٣-٩)

(مت ١٣ : ١٨-٢٣)

مَثل الحنطة والزوان (مت ١٣ : ٢٤-٣٠)

(مت ١٣ : ٢٧-٤٣)

مَثل البيتين (مت ٧ : ٢٤-٢٧)

مَثل الغنى ولعازر (لو ١٦ : ١٩-٣١)

مثل الفريسي والعشار (لو ١٨ : ٩-١٤)

مثل العشر العذارى (مت ٢٥ : ١-١٣)

١- مَثل الـزارع

(مت ١٣ : ٣-٩) (مت ١٣ : ١٨-٢٣)

مثل الزارع الذى خرج ليزرع هو مثل مشهور، سجلته كل الأناجيل الثلاثة الأولى المعروفة باسم Synoptic Gospels (ذات النظرة المتفقة) فهو فى (مت١٣: ١٣- ١٨) (مر٤: ١٠-١٢) (لو٨: ٩، ١٠) ثم شرحه .. قال فيه الرب :

"خرج الزارع ليزرع . وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته. وسقط آخر على الأماكن المحجرة، حيث لم تكن له تربة كثيرة. فنبت حالاً.. وإذ لم يكن له أصل جفّ. وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه. وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعطى ثمراً. بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين". وشرح الرب المثل فى (مت١٣: ١٨- ٢٣) .

فماذا يعنى هذا المثل ، بمقارنته بأمثال الرب الأخرى ؟

هناك أمثلة تشرح عمل النعمة فى الإنسان ونموه، مثل: مثل الخميرة، ومثل حبة الخردل، ومثل حبة القمح (الزرع الذى ينمو). فكلها نمت وأنتشرت بعمل النعمة فيها، وليس بجهد بشرى .

وهناك مثل عن محاربة الشيطان لعمل الله، وهو مثل الحنطة والزوان. فهناك عدو زرع الزوان وسط الحنطة ومضى .

✠ ✠ ✠

أما مثل الزارع فيتعلق بطبيعة الإنسان الذى يتلقى عمل الله فيه، ونوعيته، ومدى قبوله .

ففى هذا المثل : أنواع من التربة تلقت البذار. أما الزارع فهو نفس الزارع، والبذار هى نفس البذار. وأما الأرض التى وقعت عليها البذار فهى تختلف. فالبذار وقع بعضها على الطريق، والبعض على أرض محجرة، والبعض على أرض فيها شوك، والبعض

على أرض جيدة. وحسب طبيعة الأرض، أختلفت النتيجة.

✠ ✠ ✠

يذكرنا هذا المثل بالكلمة التى قالها الرب للشاب الغنى :

قال له "إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء – فيكون لك كنز فى السماء – وتعالَ اتبعنى" (مت١٩: ٢١). أما الشاب، فلما سمع الكلمة "مضى حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت١٩: ٢٢) .

نفس الكلمة سمعها شاب غنى آخر اسمه أنطونيوس، سمعها فى الكنيسة من قس عادى أو شماس يقرأ الإنجيل، فلم يمضِ حزيناً، بل مضى وباع كل ماله ووزعه على الفقراء، وصار أباً لجميع الرهبان.

المهم إذن هو نوعية القلب الذى يستقبل الكلمة ومدى استجابته لها. الكلمة هى هى ، ولكن المهم فى الـــ Response (الاستجابة) .

✠ ✠ ✠

السيد فى هذا المثل شرح خبرة خدمته، وما سوف يحدث لتلاميذه فى خدمتهم .

وكأنه يقول لهم : أنا سأرسلكم لتكرزوا وتعلموا الناس، وتنادوا لهم بالخلاص وبالملكوت. فلا تظنوا أن كل من يسمع كلامكم، سيقبله ويعمل به! فهناك أنواع كثيرة من السامعين – كما فى هذا المثل : هناك الأرض المحجرة، والأرض المملوءة بالشوك، والأرض الجيدة. وليس الكل سيسمع لكم. ولذلك ختم مثله هذا بعبارة "من له أذنان للسمع فليسمع" (مت١٣: ٩). وحتى الذين سيسمعون، على درجات. منهم من يكون ثمره مئة، أو يكون ثمره ستين، أو مجرد ثلاثين ...

✠ ✠ ✠

إنه درس للخدّام وللكارزين، حتى لا تصغر نفوسهم أحياناً !

حتى لا تصغر نفوسهم، أو يدركهم اليأس والإحباط، إن لم تأتِ خدمتهم أحياناً بثمر، أو أتت بثمر ضئيل، أو أتت بثمر وسط فى البعض ثم أرتدوا..!

القديس بولس الرسول فى أول خدمته بأثينا، بعد أن بذل كل جهده فى الشرح والإقناع، سمع هذه العبارة المستهزئة "ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟!" (أع١٧: ١٨). وخرج بثمرة كانت بسيطة وهى "ديونسيوس الأريوباغى، وأمرأة اسمها داموس، وآخرون معها" (أع١٧: ٣٤) . ومرة أثمرت خدمته تلميذاً إسمه ديماس خدم معه فترة. ثم ارتد ديماس

وترك بولس، إذ أحب العالم الحاضر (٢تى٤: ١٠) .

✠ ✠ ✠

والآن فلنأخذ تفاصيل هذا المثل موضوعاً لتأملنا .

الـــزارع :

من هو الزارع الذى خرج ليزرع ؟ إنه المسيح له المجد .

★هو الذى خرج من عند الآب وأتى إلى العالم (يو١٦: ٢٨) .

وقد ألقى بذار الإيمان فى أنواع كثيرة من الأرض. بعضها كانت أرضاً جيدة هى تلاميذه القديسون . هؤلاء الذين التصقوا به، وقالوا له "تركنا كل شئ وتبعناك" (مت١٩: ٢٧) "كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو٦: ٦٨). وبالنسبة إلى البعض سقطت البذار على الطريق وخطفها الشيطان. والبعض آمنوا وارتدوا: منه من "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو٦: ٦٦). ومنهم من قالوا لبيلاطس "اصلبه اصلبه" (لو٢٣: ٢١) .

نعم ، السيد المسيح هو الزارع الذى ألقى بذاره. وحسب نوعيه الأرض، كان هناك المؤمنون والمقاومون والمرتدون..

✠ ✠ ✠

★أيضاً كلمة (الزارع) قد تعنى خدام الرب الذين يحملون كلمته:

منهم الرسل والأنبياء والتلاميذ، والمعلمون والكارزون، والرعاة والكهنة والوعاظ، وكل خدام الكلمة. مثلما قال القديس بولس الرسول "أنا غرست ، وأبلّوس سقى. والله كان ينمّى" (١كو٣: ٦).

هؤلاء كانوا يلقون الكلمة. فهناك من يقبلها ، ومن لا يقبلها .

أيضاً الملائكة كانوا أحياناً يحملون كلمة الله إلى الناس .

والروح القدس يعمل فى الناس ، فهناك من يقبل عمله، ومن لا يقبل. بل يطفئ الروح ، أو يحزن الروح، أو يقاوم الروح..!

البـــذار :

هى كلمة الله التى تصل إلى الإنسان : إما فى الكتاب المقدس، أو يسمعها من أحد الخدام أو المرشدين أو الآباء، أو من أى مصدر، فيشعر إنها رسالة من الله إليه، أو لا يسمع ، أو لا يقبل .

وقد تكون البذار هى نعمة الله التى تفتقده. فيقبلها أن تعمل فيه. مثلما قال القديس بولس الرسول "ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو١٥: ١٠).

وهناك من يرفض النعمة، كالذى قيل عنه "أزدرى بروح النعمة" (عب١٠: ٢٩) . ألم تقرع النعمة على أبواب البعض فلم يفتحوا؟! (نش٥: ٢، ٣) (رؤ٣: ٢٠) .

كم مرة طرقت النعمة قلب بيلاطس، وقلب فرعون، وقلب بلعام؟!

الأرض :

المهم هو نوع الأرض، ومدى علاقتها بالبذرة :

هل تبقى البذار فى الأرض أم تُخطف ؟ وهل تصنع البذار جذراً ؟ ويمتد الجذر فى الأرض، ويصنع ساقاً يصعد إلى فوق، ثم يصنع ثمراً ؟

هل الجذر يكون له عمق أم لا يكون؟ أى هل يكون للكلمة تأثير عميق فى القلب، أم يكون تأثيرها سطحياً؟

هذا وقد قسّم الرب الأرض إلى أربعة أنواع :

الأرض التى على حافة الطريق ، مدوسة من المارة .

الأرض المحجرة ، التى لها تربة طينية بسيطة ليس لها عمق .

والأرض التى فيها شوك . والأرض الجيدة .

✠ ✠ ✠

والعجيب أن الله ألقى بذاره على كل أنواع الأرض !!

حتى الأرض المحجرة لم يحرمها من نعمته ! حتى الأرض المملوءة شوكاً!! بذار الرب وصلت إلى الكل، حتى إلى الطريق !

لأنه "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤) . ولا يشاء موت الخاطئ ، بل أن يرجع ويحيا (حز١٨: ٢٣) .

إنه يلقى كلمته إلى الخاطئ، مهما كان قلبه قاسياً، كفرعون !

يلقى كلمته إلى بلعام ، وهو يعرف أن بلعام محب للمال .

ألقى كلمته إلى الكتبة والفريسيين والصدوقيين، وإلى الكهنة ورؤساء الشعب .

وأرسل موسى ليلقى كلمته إلى شعب معاند مقاوم (رو١٠: ٢١)، وإلى فرعون، والرب يعرف تماماً ما هى طبيعة فرعون .

وأرسل كلمته على لسان لوط إلى أهل سادوم. فكان كمازح وسط أصهاره (تك١٩: ١٤).

✠ ✠ ✠

لا تقل : لم تصل إلىّ كلمة الله ! لقد وصلت . فما مفعولها فيك ؟

وصلت إليك الكلمة عن طريق الكتاب المقدس الذى تمت طباعته بكل اللغات.

ووصلت إليك عن طريق القراءات فى قداسات الكنيسة وصلواتها .

ووصلت إليك عن طريق العظات والكثير من الكتب الروحية .

ووصلت إليك عن طريق الأحداث التى تمر بك حاملة رسالة:

مثلما حدث للقديس الأنبا أنطونيوس عند وفاة والده. هذه الوفاة أوصلت إليه رسالة عن أن العالم زائل، وأن أباه لم تنفعه ثروته ولا سلطانه، بل خرج من العالم بغير إرادته. فاتعظ أنطونيوس وترك العالم بهواه .

إذن أنت بلا عذر أيها الإنسان، فالبذرة وصلت إليك رسالة .

البذرة بطبيعتها فيها حياة . ولكن إذا لم تستجب لها الأرض، تبقى تلك الحياة بلا فاعلية ...

✠ ✠ ✠

فما هى الأرض ؟ وما هى التربة ؟ وكيف تتم الفاعلية ؟

الأرض هى العقل ، والقلب ، والإرادة .

وهذه الثلاثة تتم بها الرغبة فى التنفيذ. إنما يجب على الذين يوصلون كلمة الله ، أن يوصلوا كلمة الله ذاتها، وليست كلمة من عندياتهم، كذلك يوصلونها بطريقة ذات تأثير .

✠ ✠ ✠

ومع أن الله هو الذى ينمى ، إلا أنه تلزم شروط وهى :

أن البذرة تكون حية ، والأرض تقبل البذرة . والزارع يكون عارفاً بمواسم الزارعة، ويهتم بالأرض فى ريّها وسمادها .

نتحدث الآن عن الأنواع الأربع التى ذكرها الرب .

١- بذار سقطت على الطريق :

أى أنها لم تسقط على الأرض المحروثة المشققة التى تقبل البذرة . إنما إلى جوارها فى الأرض المدوسة من الناس .

فخطفها الطير ، أى الشيطان ، فلم تأتِ الكلمة بفائدة .

ليس لأن الكلمة ضعيفة فى ذاتها، إنما لعدم قبول السامع .

سقطت على الطريق، أى خارجاً، لم تدخل إلى القلب، إلى تربة الأرض. فخطفها الشيطان وطار. ذلك لأن الشيطان واقف إلى جوار الحقل يرقب. ففيما يلقى الزارع البذار، ينتهز الشيطان أية فرصة يخطف فيها هذه البذار، ليمنع دخولها إلى الأرض، إلى القلب .

✠ ✠ ✠

يذكرنا هذا النوع بمقاومى السيد المسيح الذين لم يقبلوا كلامه

مثل الكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين، ورؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب.. كل هؤلاء الذين رفضوا أن تدخل كلمة الله إلى قلوبهم. لم يكن لهم الإيمان الذى يقبل الكلمة. وحتى عندما كان الرب يشرح لهم، ما كانوا يفهمون، أو ما كانوا يريدون أن يفهموا.

وليس فقط لم يقبلوا الكلمة، بل أيضاً المعجزات وما تدل عليها.

كانت معجزات الرب تحمل رسالة وهى أنه الله الظاهر فى الجسد (١تى٣: ١٦) . كانت تحمل إليهم معنى لاهوتياً ، ولكنهم لم يقبلوه . بل قاوموه ..!

فالسيد المسيح يمنح بصراً للمولود أعمى، الأمر الذى لم يحدث قط من قبل (يو٩: ٣٢). ولكنهم يرفضون أن يدخلوا دلالة المعجزة إلى قلوبهم وإلى أفهامهم. بل يرون صانع المعجزة رجلاً خاطئاً، لأنه أجراها فى يوم السبت!! كانت عبارة السبت هى الريح التى تعصف بالبذرة إلى الطريق، خارج الأرض، فلا تدخلها..

ويحاول المولود أعمى أن يقنعهم. ويكون كلامه بذرة أخرى يرفضون قبولها. فشتموه، وأخرجوه خارج المجمع، وأخرجوا البذرة أيضاً معه! قالوا له فى استهزاء : "فى الخطايا وُلدت بجملتك، وأنت تعلمنا!؟" (يو٩: ٣٤) أى تجرؤ أن تعلمنا! وهكذا رفضوا التعليم، وبقيت البذرة على الطريق يخطفها الطير .

أيضاً السيد المسيح يقيم لعازر من الموت فى اليوم الرابع، فيرفضون المعجزة ودلالاتها بنفس السبب: إنها حدثت فى يوم سبت. ومع أن عدداً كبيراً من الناس آمنوا، لأن البذرة وقعت على أرضهم الطيبة. إلا أن رؤساء الكهنة والفريسيين تشاوروا على السيد منذ ذلك اليوم أن يقتلوه (يو١١: ٥٣). كان الحقد والحسد وسوء الفهم رياحاً تلقى بالبذرة إلى الطريق خارج الأرض !

والرب أيضاً كان يخرج الشياطين . ولكن هؤلاء القادة العميان (مت٢٣: ٢٤) قالوا له إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين (مت١٢: ٢٤). فيشرح الرب لهم استحالة

ذلك، لأن كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب.. ولكنهم لم يقبلوا الشرح، ولم يقبلوا دلالة المعجزة. كان العناد والإصرار على محاربته، من الرياح التى أبعدت البذرة عن أرضهم، فخطفها الطير . لم يسمعوا كلام الرب، بل نفضوه عن آذانهم. وكما قال الشاعر

لقد أسمعتَ لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

✠ ✠ ✠

ومن أمثلة البذار التى وقعت على الطريق أيضاً :

ما حدث لبولس الرسول وهو يشرح رؤياه وإيمانه أمام الملك أغريباس، أن صرخ الوالى فستوس بصوت عظيم "أنت تهذى يا بولس. الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان" (أع ٢٦: ٢٤). وبهذا الإدعاء أبعد كرازة بولس عن قلبه فلم تدخل إليه. وتحولت البذار إلى الطريق فخطفها الطير .

نفس الوضع حدث بالنسبة إلى الإنذار الذى أنذر به لوط البار أهل سادوم "فكان كمازح فى أعين أصهاره" (تك١٩: ١٤) . وهكذا أبعدوا الكلمة عن آذانهم ، وهلكوا.. بسبب شهوات قلوبهم الفاسدة، الرافضة للنصح .

البذار التى وقعت على الطريق ، هى التى لم تدخل الآذان ولا القلوب .

وكان لذلك أسباب كثيرة قد صدتها كما قلنا . أسباب داخل القلب منعتها عنه: كالجهل، والعناد، والغيرة، والحقد، والحسد، والإصرار على الرفض، وعدم الإيمان، وشهوة القلب، وغير ذلك من دواعى الرفض .

✠ ✠ ✠

نوع آخر من البذار ، وقعت على أرض محجرة .

٢- بذار على أرض محجرة :

الأرض المحجرة ، أحياناً يوجد بين تشققاتها ، بعض الطين، عبارة عن تربة طينية خفيفة سطحية، لا عمق لها. هذه تسمح بعض الشئ لأن تستقبل بذرة تنبت فيها قليلاً. وهذا النبات قال عنه الرب "وإذ لم يكن له أصل جف" (مر٤: ٦) .

إنه نبات يمثل الإيمان السطحى الذى بلا عمق .

مثلما يوجد بعض الطين فوق سطح منزل، تقع عليه بذرة، وبشئ من المطر أو الندى، تنبت. ولكن بلا عمق . ما تلبث أن تقع عليها الشمس فتجف.

قال الرب عن هذا النوع إنه "الذى يسمع الكلمة، وحالاً يقبلها بفرح. ولكن ليس له

أصل فى ذاته، بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة، فحالاً يعثر" (مت١٣: ٢٠، ٢١)

✠ ✠ ✠

هذا النوع سطحى فى إيمانه، وسطحى فى معرفته وفى مشاعره

يقبل الكلمة بسرعة، ويعثر بسرعة . قد يؤمن بسرعة، ويرتد بسرعة. مثل أولئك الذين كانوا من تلاميذ الرب. ومع ذلك لما تحدث عن التناول من جسده ودمه "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو٦: ٦٦) .

قد يُدعى إنسان إلى الكنيسة، فيقبل ذلك بفرح، ويعمل عضواً فى الكنيسة.. ولكن بسبب عثرة من أحد الخدام، أو بانتهار عنيف من أب كاهن، يترك هذا المؤمن الكنيسة ويترك العمل فيها. ويقول لمن ينصحونه بالرجوع: إن كان الخدام هكذا، والكاهن هكذا. فلماذا أبقى فيها؟!

أو إنسانه كانت بعيدة عن الله، ثم تقبل الكلمة بفرح، وتعيش فى الكنيسة فترة. لكنها قد تتقدم فى إحدى المرات وهى متزينة بزينة لا يقبلها الكاهن منها، فيوبخها بشدة. فلا ترضى بذلك، وتشعر أنها قد جُرحت فى لحظة مقدسة، وتترك الكنيسة إلى غير رجعة معتزة بكرامتها!!

✠ ✠ ✠

إنه إيمان غير ثابت، سهل الإهتزاز، سريع الإرتداد .

ليس له عمق فى الأرض . فرق بين هذا النبات، وبين شجرة بلوط ضخمة، أو شجرة أرز، تعصف بها الريح فلا تهتز، بينما هذا النوع الضعيف الذى تهزه أية عثرة أو أية ضيقة ، ذكرنى بقول الشاعر :

أنـا يا نجم ضعيـــفٌ خـــائـــــرٌ   إن أولى الناس بالعطف أنـــا
أنـــا طفل فى حيـــاة الروح لـــم   يغتنِ القلب ولا العقل إعتنـــى
أنـــا فى الصحـــراء نبتٌ واهنٌ   كلما مرّت به الريح إنثنـــى

ومثال ذلك أيضاً : إنسان يصلى ويصوم لأجل أمر ما، ويشعر أن صلاته وصومه لم تكن لهما استجابة، فيضعف إيمانه بالصوم والصلاة، ويقَرر إبطالهما، وكذلك يفعل بالنذور والاستشفاع بالقديسين. إنه عنصر غير ثابت، ليس له عمق. يلزمه التدرب على قول الرسول "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثِرين فى عمل الرب كل حين، عالمين

أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١كو١٥: ٥٨).

❊ ❊ ❊

هكذا يجب أن تكون جذورنا ثابتة في الأرض، لا تتأثر بأية متاعب داخلية أو خارجية، شخصية أو عقائدية .

كإنسان يقول إنه مسيحى وأرثوذكسى ، ثم يتعرض بعض الوقت إلى شكوك من طوائف كشهود يهوه أو السبتيين، فيهتز إيمانه أو يرتد .

إيمانه إيمان سطحى ، أو إيمان مؤقت ، كنبات نبت في أرض محجرة ...

نذكر كمثل له في الكتاب : ديماس تلميذ بولس الرسول (٢تى٤: ٩) وآخرين قال عنهم "كنت أذكرهم لكم مراراً. والآن أذكرهم باكياً، وقد صاروا أعداء صليب المسيح" (فى٣: ١٨). إما لأسباب شخصية أو عقيدية. فديماس "أحب العالم الحاضر". والذين ذكرهم القديس بولس باكياً قال عنهم "الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيهم، الذين مفتكرين في الأرضيات" (فى٣: ١٩) .

❊ ❊ ❊

لذلك فأصحاب العلاقة الشخصية مع الله ، قد تكون سبب ارتدادهم هو محبة العالم وشهواته .

مثل هؤلاء الذين ذكرناهم ، ومثل بلعام "الذى أحب أجرة الإثم" (٢بط٢: ١٥)، ومثل يهوذا الإسخريوطى (يو١٢: ٦) . لذلك ينبغى أن يكون الإنسان مبنياً على أسس روحية عميقة. وإلا فإنه يشبه البذار التى تنبت في تربة حجرية .

❊ ❊ ❊

ننتقل إلى النوع الثالث الذى سقط وسط الشوك .

٣- بذار وسط شوك :

قال عنه الرب أن "الشوك طلع وخنقه" (مر٤: ٧) أما الشوك فقال إنه "هموم الحياة وغناها ولذاتها" (لو٨: ١٤). مع أنه من الذين "يسمعون الكلمة" (مت١٣: ٢٢) في بادئ الأمر . لذلك فإنه ينبت أولاً ثم يختنق .

المشغوليات والاهتمامات الدنيوية تضغط عليه، فتنسيه العمل الصالح، أو تضيع ما بدأ به ، أو تفقده أمانته من نحو الله .

مثلما كاد يهلك سليمان بسبب الملاذ الكثيرة التى أحاطت به (جا٢)، ونساؤه أيضاً

أبعدنه عن الله و" أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (١مل١١: ٤). غير أن الله أخرجه من بين الشوك، كما وعد من قبل أن "يؤدبه بقضيب الناس، وبضربات بنى آدم، ولكن لا ينزع رحمته منه" (٢صم٧: ١٤، ١٥) .

☩ ☩ ☩

أو أن خطية محبوبة داخل قلب الإنسان يمكن أن تخنق الكلمة داخله، وتفقده عمل النعمة فيه، وليس من الضرورى أن تكون هذه الخطية شهوة جسدية. ربما تكون مثلاً شهوة مناصب، أو شهوة الشهرة، أو محبة جمع المال وتخزينه. كما قال ذلك الغنى الغبى: "أهدم مخازنى ، وأبنى أعظم منها. وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى وأقول لنفسى: يا نفسُ لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة. أستريحى وكلى واشربى وافرحى" (لو١٢: ١٨، ١٩) .

☩ ☩ ☩

وهكذا المشغوليات لا تعطيه وقتاً للتفكير فى روحياته، فتذبل وتختنق .

★أو كإنسان فى البحث عن وظيفة، أو للنجاح فى انتخابات، أو لنشر فكره الخاطئ، أو لتحدى سلطة أو رئاسة ، أو لمحبة الظهور، أو ما أشبه، يضيّع كل طاقته ووقته وكل ما كان عنده من شعور دينى. فيختنق كل ذلك داخله، وينتهى..

★إن السيد الرب قد حذر مرثا من هذا الاهتمام الذى يمتص الروحيات. فقال لها "أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد.." (لو١٠: ٤١، ٤٢) .

☩ ☩ ☩

★أو قد يترك البعض كل وسائط النعمة. ويصبح كل تفكيره وسعيه فى أمور العالم. وليس أمامه سوى : ماذا سأكون؟ وكيف أصل؟ ومتى أصل؟ وما هى العوائق؟ وكيف أذللها؟ وقد تكون تلك العوائق هى وصايا الله ! أو هى الإيمان !!

وهكذا تختنق كل صلته بالله ويهلك !!

حقاً إن "محبة العالم هى عداوة لله" (يع٤: ٤) و"إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب" (١يو٢: ١٥). وتكون محبة العالم هى الشوك الذى يخنق كل زرع حى...

ومحبة العالم – كما قال الرسول – تشمل "شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" "وهذا العالم يبيد وشهوته معه" (١يو٢: ١٦، ١٧) .

☩ ☩ ☩

عجيب أن الشوك أقوى من النبات، ويستطيع أن يخنقه !

فقد تكون العثرات أقوى من الروحيات . لذلك أمرنا الكتاب أن نبعد عنها. وقيل لنا إن "المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة" (اكو١٥: ٣٣). وقد حذرنا المزمور الأول من هذه المعاشرات الردية. فقيل لنا "طوبى للإنسان الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز١: ١) .

إن أشهى وأقوى الأطعمة ، يمكن لقطرة سم أن تفسدها .

يمكن أن يتوب الإنسان ويتناول ويقضى يوماً روحياً جميلاً. ثم تصدمه عثرة قوية، فتضيع التأثير الروحى العميق الذى تمتع به!

✠ ✠ ✠

لذلك علينا بكل قوتنا أن نهرب من الشوك، وننقى حقولنا منه.

فلا يستطيع إنسان أن يعبد ربين أو يكرم سيدين (مت٦: ٢٤) أو أن يجمع بين محبة الله ومحبة العالم! فإما الله ، وإما العالم، لأنه لا شركة بين النور والظلمة (٢كو٦: ١٤). والعالم هو الشوك..

✠ ✠ ✠

ننتقل إلى النوع الرابع ، وهو الأرض الجيدة :

٤ـ الأرض الجَيـدة :

يقول الرب إن البذار التى وقعت على الأرض الجيدة أعطت ثمراً البعض أعطى مئة، والبعض ستين والبعض ثلاثين (مت١٣: ٨) .

فما هى الأرض الجيدة ؟

هى الأرض المستعدة لقبول البذار ، التى ترتل مع المزمور : "مستعد قلبى يا الله، مستعد قلبى" (مز٥٧: ٧). ترحب بكلمة الله وتفرح بها كمن وجد غنائم كثيرة (مز١١٩).

هى الأرض الخالية من الشوك. وإن لاحظت شوكاً يزحف إليها، تستأصله بسرعة. فلا يكون مجال لأن يخنق الشوك زرعها.

وهى الأرض ذات التربة العميقة التى تستطيع فيها الجذور أن تتعمق. وهكذا فإن كلمة الله يكون لها عمق فى داخلها. بل تستطيع جذورها أن تمتد وتقوى وتحمل أشجارها قوية لا تعصف بها ريح.

هذه الأرض تكون لها استجابة لعمل النعمة فيها. تكون لها شركة مع الروح القدس. ولا تكون فيها عوائق تعطل عمل النعمة.

✠ ✠ ✠

ومع ذلك ، فحتى هذه الأرض الجيدة على درجات فى إثمارها.

ليست كلها تعطى مئة، بل منها ما يعطى ستين، وما يعطى ثلاثين .

كل منها حسب ظروفه، وحسب استعداداته، وحسب نوع الموهبة أو مقدار النعمة المعطاة له. وأيضاً حسب نوعية الحروب التى يتعرض لها، ومدى شدتها وطول مدتها .

عجيب هو الرب فى محبته وحنانه ، إذ وصف الأرض التى تعطى ثلاثين فقط، بأنها أرض جيدة .

✠ ✠ ✠

على أنه يحسن بنا أن نتأمل فى نوعيات هذه الأرض الجيدة :

★ربما الذى يثمر ثلاثين فقط هو المبتدئ فى حياة الإيمان. والذى يثمر ستين هو النامى فى حياة النعمة، السائر فى الطريق. أما الذى يثمر مئة فهو الذى وصل إلى الكمال.

★ربما الذى يثمر ثلاثين هو المؤمن العادى، والذى يثمر ستين هوالمؤمن الخادم. والذى يثمر مائة هو الكارز الواسع العمل فى كرازته مثل القديس بولس الرسول. أو هو المؤمن الذى فى موضع قيادى كبير فى الخدمة، يدير خدمات عديدة لها ثمار كثيرة .

★وقد يكون تنوع الخدمات من مئة إلى ستين إلى ثلاثين، هو بحسب الوزنات المعطاة لكل مؤمن (مت٢٥). أو حسب المسئوليات، التى يعهد بها الله وتنوعها فى الخطورة (أف ٤: ١١).

نشكر الله أن الجميع من الأراضى الجيدة .

✠ ✠ ✠

والأرض الجيدة هى أيضاً تتميز بميزات جوهرية .

فهى ترمز إلى المؤمن الحقيقى، الذى يحب الله من كل قلبه (تث٦: ٥)، ويبعد عن محبة العالميات، ويسلك حسب الروح وليس حسب الجسد (رو٨: ١) ، ويتصف بالإيمان ، وبالغيرة، ويكون مثمراً فى إيمانه بثمار الروح (غل٥: ٢٢، ٢٣). ويسعى نحو الكمال (فى٣: ١٢، ١٣) .

ولنكتف بهذا، لأن صفات الأرض الجيدة، من الصعب أن تتسع لها هذه الصفحات .

٢- مَثل الحِنطة والزوان

(مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠) (مت ١٣ : ٣٧-٤٣)

ورد هذا المثل فى الإنجيل هكذا "قدم لهم مثلاً آخر قائلاً: يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله. وفيما الناس نيام، جاء عدوه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى. فلما طلع النبات وصنع ثمراً، حينئذ ظهر الزوان أيضاً. فجاء عبيد رب البيت وقالوا له: يا سيد، أليس زرعاً جيداً زرعت فى حقلك، فمن أين له الزوان؟! فقال إنسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد: أتريد أن نجمع الزوان؟ فقال لا . لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعوه. دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين: أجمعوا أولاً الزوان وأحزموه حزماً ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخازنى" (مت١٣).

✠ ✠ ✠

فى الحقيقة هناك أمثلة كثيرة قالها الرب عن الزرع :

فقال مثل "خرج الزارع ليزرع.." عن نوع الأرض التى تقع البذار فيها: هل هى أرض جيدة؟ أم أرض محجرة؟ أم أرض فيها شوك؟ أم أرض ليس لها عمق؟ (مت١٣: ٣-٩). وفى (مر٤: ٢٦- ٢٩) ضرب مثلاً عن نمو الزرع "أولاً نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملآن فى السنبل" . وفى هذا المثل يتحدث عن الزرع الجيد، والمشاكل التى يغرسها عدو الخير ...

✠ ✠ ✠

إن الله يا أخوتى هو أول زارع زرع فى الأرض .

وأول زرع له هو الجنة التى وضع آدم فيها. وآدم نفسه كان زرعاً جيداً حينما خلقه الله، قبل أن يلقى الشيطان فيه زواناً .

والحقل فى هذا المثل يرمز إلى العالم أو إلى الكنيسة .

الله دائماً يزرع زرعاً جيداً، وأول زرع له فى الكنيسة كان الآباء الرسل، وجميع تلاميذه القديسين، والكنيسة الأولى التى كانت مملوءة من الإيمان وعمل الروح القدس، وكان الزرع نامياً بقوة ، فانتشر الإيمان فى العالم كله ...

ثم دخل الزوان وسط الحنطة، وظهر أولاً فى يهوذا .

✠ ✠ ✠

إن الزرع الجيد هو الأصل ، والشر دخيل على العالم .

الله لا يزرع إلا الزرع الجيد . وهكذا يروى سفر التكوين عن قصة الخليقة : "ورأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً" (تك١: ٣١) .

فما هى إذن قصة الزوان؟ وكيف بدأ ؟

الـــزوان :

بدأ الزوان فى البشرية، حينما ألقى الشيطان فى أبوينا الأولين فكرة رديئة. قال لهما: لن تموتا. بل الله عالم أنكما يوم تأكلان من الشجرة، تصيران مثل الله.." (تك٣: ٤، ٥). وهكذا دخلت الخطية إلى العالم، وتوارثنا الخطية، وبالخطية الموت .

رأينا أيضاً كيف دخل الزوان فى قلب قايين، فقتل أخاه (تك٤). وكيف أنتشر الزوان بين أولاد الله حين رأوا بنات الناس أنهن حسنات (تك٦: ٢) .

على أنى أريد أن أقول إن الزوان إن كان قد بدأ على الأرض فى الجنة، فقد بدأ قبل ذلك فى السماء .

✠ ✠ ✠

بدأ الزوان فى السماء بسقوط الشيطان .

كان الله قد خلقه كاروباً "ملآن حكمة وكامل الجمال" (حز٢٨: ١٤، ١٢). فكيف دخل الزوان إليه؟ كان ذلك حين قال فى قلبه "أصعد إلى السموات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله.. أصير مثل العلى" (أش١٤: ١٣،١٤).. وهكذا كانت الكبرياء أول زوان عرفته الخليقة ...

ولما سقط الشيطان ، أسقط معه كثيراً من القوات السمائية، فانتشر الزوان. هناك طغمتان من الملائكة، لم يذكر الكتاب دخول الزوان فى إحداهما. طغمة السارافيم التى تمثل التسبيح قائلة لله "قدوس قدوس قدوس.." (أش٦: ٣) . وأيضاً طغمة الكراسى

(العروش) التى تمثل الحلول الإلهى ...

هذا هو بدء تاريخ الزوان ، منذ بدأ فى السماء وعلى الأرض.

✠ ✠ ✠

والزوان عشب يشبه الحنطة تماماً، بحيث يصعب التفريق بينهما فى بادئ الأمر، ولكنه عشب ضار. ولعل هذا يذكرنا بقول الرسول إن "الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر" (٢كو١١: ١٤، ١٥).

لذلك ينخدع البعض بالزوان ، فيظنونه حنطة . أو فيما هم يخلعونه من الأرض، يخلعون الحنطة معه، بسبب التشابه .

✠ ✠ ✠

المشكلة هى وجود الزوان وسط الحنطة ، أى داخل الكنيسة !

كما كان يهوذا وسط الرسل الإثنى عشر، لا يفرقه أحد عن بطرس ويعقوب ويوحنا ! بل كان الصندوق معه .

كذلك نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة (أع٦: ٥). أكان أحد يستطيع أن يفرقه عن باقى زملائه الشمامسة المملوئين من الروح القدس والحكمة؟! (أع٦: ٣) . ولكنه فيما بعد صار من الهراطقة. وعن انحرافاته العقائدية، قال السيد الرب فى سفر الرؤيا لملاك كنيسة برغاموس "هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذى أبغضه" (رؤ٢: ١٥) (رؤ٢: ٦) .

✠ ✠ ✠

الزوان يبدأ بشكل الحنطة ، ولا يفترق عنها إلا وقت النضوج.

فتظهر الحنطة بسنابل مملوءة بالقمح، ولا يكون الزوان كذلك. لذلك قال الرب : اتركوهما ينميان معاً إلى يوم الحصاد، أى إلى نهاية العالم كما شرح (مت١٣: ٣٩) .

والزوان الذى داخل الكنيسة ، قال عنه الرسول "**أخوة كذبة**" (٢كو١١: ٢٦). وتحدث الكتاب أيضاً عن "أنبياء كذبة" . وقال الرب لملاك كنيسة أفسس "جربت القائلين إنهم رسل وليسوا رسلاً، فوجدتهم كاذبين" (رؤ٢: ٢) .

✠ ✠ ✠

لاشك أن الأخوة الكذبة يظهرون كأنهم أعضاء حقيقيون فى الكنيسة.

وتقاسى الكنيسة منهم. قال القديس بولس عن بعضهم "هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، يغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" (٢كو١١: ١٣) .

وفى كتاب بستان الرهبان قصص كثيرة عن ظهور شياطين بهيئة ملائكة! وعن رؤى

كاذبة وأحلام مضللة. كلها زوان يلقيه الشيطان.

والأخوة الكذبة قد يظهرون وعليهم مسحة من القداسة "يأتون بثياب الحملان وهم ذئاب خاطفة" (مت٧: ١٥) . وقد تبدو عليهم غيرة مقدسة لأجل الحق ، كما كان يظهر الفريسيون مدققين فى تنفيذ الشريعة وحريصين على حفظ السبت!! يجلسون على كرسى موسى مفسرين الشريعة، ولعلة يطيلون صلواتهم (مت٢٣: ١) .

✠ ✠ ✠

إن كان الزوان هكذا ، فما هى الحنطة إذن ؟

الحِنطة :

الحنطة هى الزرع الإلهى . هى القمح ، ومنها الخبز الذى هو لازم للحياة .

ترمز إلى السيد الرب الذى قال "أنا هو خبز الحياة" (يو٦: ٤٨).

فى اللغة العربية نسميه (العيش)، ومنه كلمة يعيش .

وقد شبه السيد نفسه بحبة الحنطة ، فقال عن موته وفدائه للناس: "الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت، فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت، تأتى بثمر كثير" (يو١٢: ٢٤) .

وفى الإصحاح الثانى من سفر اللاويين كانت تقدمة الدقيق ترمزإلى تجسد السيد المسيح، سواء إن قُدمت فريكاً (وهو حبات من الحنطة) ، أو دقيقاً وهو حنطة ولكن "مسحوق لأجل آثامنا" (أش٥٣: ٥) .

✠ ✠ ✠

حبة الحنطة بيضاء من الداخل تمثل النقاوة الداخلية .

ونبات الحنطة يتغير شكله من الخارج كلما ينمو وينضج. ففى بدايته يكون نباتاً أخضر، ثم يصفر كالذهب ويبيض بنضوجه. كما قال الرب "ارفعوا اعينكم وانظروا الحقول: إنها إبيضت للحصاد" (يو٤: ٣٥) . ولعل هذا التغيير فى اللون يذكرنا بقول الرسول "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رو١٢: ٢) .

★ أيضاً حينما تمتلئ السنابل قمحاً، فإنها تنحنى، رمزاً إلى تواضع الشخص الروحى كلما يمتلئ من النعمة وحمل الفضيلة .

★ ولكى تصير الحنطة خبزاً وطعاماً لتغذية الناس، فإنها تُطحن وتُسحق وتغربل وتنخل، رمزاً للآلام التى يتحملها المؤمن فى عمله الروحى .

★ لا ننسى أيضاً أن الحنطة تزرع فى الشتاء ، وتحتمل برده ومطره، إلى أن تنضج فى أوائل الربيع، رمزاً إيضاً لتحمل الألم فى الطريق إلى النمو.

فى وسط هذه الحنطة زرع العدو زواناً، والناس نيام .

والناس نيام :

قال الرب فى مثله "وفيما الناس نيام، جاء عدو وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى" (مت١٣: ٢٥) .

فعل العدو ذلك ، فى الخفاء ، فى الظلمة، أثناء نوم الناس. وهذا يرينا أن أعمال الشر تعمل دائماً خفية فى الظلام . وهكذا قيل عن الأشرار إنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو٣: ١٩) ليست لهم جرأة على العمل فى النور والصحو. أما الرب فى زرعه للحنطة ، فإنه زرعها علانية وفى النهار .

الشيطان زرع الزوان والناس نيام، أى فى غفلة منهم. وهذا بلاشك درس لنا ، لكى تكون باستمرار فى سهر وصحو .

يذكرنا هذا بما ورد فى قصة الميلاد عن الرعاة الذين ظهر لهم الملائكة. إن هؤلاء الرعاة كانوا "يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" (لو٢: ٨) حرصاً عليها من عدو يفترسها. وفى ذلك قال الشاعر :

ومن رعى غنماً فى أرض مأسدة   ونام عنها تولى رعيها الأسد

وطبعاً (يرعاها) في جوفه..! إذن لابد من السهر .

لذلك ما أجمل أن نقرأ فى سفر النشيد "تخت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة إسرائيل. كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" (نش٣: ٧، ٨).

ونسمع عن نحميا فى بناء سور أورشليم، إنه رتب حراسات لليل" (نح٤: ٢٢، ٢٣) . هنا حراس لليل، لئلا يأتى العدو "والناس نيام" .

✠ ✠ ✠

ما أسهل أن يحاربك عدو الخير، وأنت فى غفلة ، أو فى سهو. لأنه اعتاد أن يعمل "والناس نيام" ، فيزرع وسطهم زواناً.

لذلك اهتم دائماً بالسهر الروحى . نقول هذا للفرد وللكنيسة .

لقد جرّبنا كيف أن بعض المناطق العشوائية التى لم نلتفت إليها، كان يأتى "إنسان عدو" ويعشش فيها "والناس نيام" . لذلك وجدنا من الضرورة رعايتها، حتى بدون وجود كنيسة فيها، إلى أن توجد .

عدو زرع ومضى :

العدو الذى زرع الزوان هو الشيطان، وله أعوان .

لهذا فإن القديس أثناسيوس فى جهاده ضد الأريوسية قال "إن عدونا ليس هو أريوس والأريوسيين، إنما هو الشيطان" . ذلك لأنه العدو الذى يحرك أريوس واتباعه. وقد وصفه القديس بطرس الرسول أيضاً بأنه عدو . وذلك بقوله "اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم (عدوكم) يجول كأسد يزأر، ملتمساً من يبتلعه هو" (١بط٥: ٨). وعبارة "اصحوا واسهروا" تذكرنا بأن هذا العدو يعمل "والناس نيام" ...

✠ ✠ ✠

أما قول الكتاب إنه زرع الزوان ومضى، فليس معناها أنه انتهى من عمله. بل أنه مضى ليعمل شراً آخر، فى مكان آخر .

أو إنه مضى ليأتى بعد حين. وهكذا قيل فى آخر التجربة على الجبل "ولما أكمل ابليس كل تجربة، فارقه إلى حين" (لو٤: ١٣) .

الشيطان دائم العمل، لا يهدأ . جعبته مملوءة زواناً، يحمله من مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر. يلقى زوانه باستمرار وسط الحنطة. ويمضى لكى لا يظهر واضحاً. قد لا نراه وهو يعمل، ولكن نرى نتائج عمله.. مثل ميكروب لا نراه وهو يدخل الجسم، ولكننا ندرك مقدار الضرر الذى يحدثه .

✠ ✠ ✠

إنه يزرع زواناً ، يشبه شكل الحنطة ، فيلتبس الأمر علينا .

كمعاملة تأخذ شكل الحزم وهى قسوة، أو معاملة تأخذ شكل الحب وهى شهوة. إنها كذئاب تلبس ثياب الحملان. تبدو كحنطة وهى زوان!! يحتاج الإنسان فى التعامل معها إلى حكمة وتمييز وافراز ...

✠ ✠ ✠

الشيطان – وهو عدو – قد يتكلم من فم صديق !

مثلما فعل مع القديس بطرس الرسول . وذلك حينما أظهر الرب لتلاميذه "أنه ينبغى أن

يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل وفى اليوم الثالث يقوم" "فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً : حاشاك يارب . لا يكون لك هذا" (مت١٦: ٢١، ٢٢) . وكأنه يمنعه عن طريق الصليب والفداء وخلاص البشرية!! وهذه فكرة شيطانية قالها ولا يفهم معناها. لذلك قال له الرب "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى. لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس" (مت١٦: ٢٣) .

محبة بطرس التى هى حنطة، ألقى الشيطان فيها زواناً، بفكرة تأخذ مظهر الحب والحرص على حياة المعلم، بينما هى زوان يحمل منعه عن عمل الفداء والخلاص ! عجيب هو الشيطان، جرئ ولا يخجل . يلقى زواناً حتى فى محبة رسول عظيم كبطرس!

الشكوى مِن الزوان :

أتى خدّام زارع الحنطة يشكون إليه من وجود الزوان، ويقترحون نزعه من الأرض (مت١٣: ٢٧، ٢٨) .

وفى الواقع أن الشكوى من الزوان، شكوى تكررت عبر الأزمان :

هوذا إرميا النبى يقول "أبرّ أنت يارب من أن أخاصمك، ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا تنجح طريق الأشرار؟ اطمأن كل الغادرين غدراً" (أر١٢: ١) . لماذا الزوان فى الأرض؟ ولماذا يوجد إلى جوار الحنطة؟ ولماذا ينجح وينمو؟! ويكمل أرميا كلامه فيقول "أصلوا ، نموا، واثمروا ثمراً، أنت (يارب) قريب من فمهم ، وبعيد عن كلاهم" (أر١٢: ٢) .

تماماً كما قال الرب عنهم "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، وقلبه مبتعد عنى بعيداً" (مت ١٥: ٨) (أش٢٩: ١٣) . هم من الخارج يظهرون كأنهم حنطة، بينما هم زوان ..!

ابشالوم بن داود، كان يبدو من الخارج حنطة! إنه ابن ملك ونبى، وكان جميلاً وجذاباً للناس. وفى حقيقته كان زواناً، خان أباه، وحاربه بجيش ليقضى عليه ويحكم بدلاً منه. إنه زوان وسط الحنطة، وسط أولاد داود ...

غــيرة خاطئـة :

فى غيرة صادقة ، قال عبيد زارع الحنطة : أتريد أن نذهب ونجمع الزوان؟ أى ننزعه من الأرض (مت١٣: ٨) . فقال لهم لا، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وانتم تجمعونه! هؤلاء الخدّام يذكروننا بقول القديس بولس الرسول "اشهد أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة" (رو١٠: ٢) .

حقاً، إن بعض الخدام فيما يخلعون الزوان، خلعوا الحنطة معه

✠ ✠ ✠

والبعض فيما يخلعون الزوان، أو ما يظنونه زواناً، صاروا هم زواناً!

البعض فى غيرتهم (للاصلاح!)، يتهمون غيرهم ، وقد يدينون ويشهرون ويملأون الدنيا صياحاً، قائلين : الزوان الزوان، هلمّ نتحد لنخلع الزوان معاً! وفى كل هذا ربما يعثرون الأبرياء والبسطاء. وهم أنفسهم يفقدون نقاوة قلوبهم، وقد تمتلئ مشاعرهم بالكبرياء والحقد.. وفى كل هذا يشبهون الزوان تماماً! أليست هذه هى أوصافه؟! ويكونون فى خطر من جهة أبديتهم ..

✠ ✠ ✠

واجبكم أيها الأخوة : ليس هو أن تخلعوا الزوان، إنما أن تنموا كحنطة .

وفى يوم الحصاد العظيم ، عندما يرسل الرب حصاديه من الملائكة، يجد سنابلكم مملوءة قمحاً، فيأخذه وتمتلئ أهداؤه حنطة .

حقاً ما أكثر الذين يتحمسون لنزع الزوان أكثر من الرب نفسه!

وما أكثر القديسين ألذين أخطأوا فى غيرتهم المقدسة لنزع الزوان!

نضرب مثلاً لذلك القديس يوحنا الحبيب وأخاه يعقوب بن زبدى، اللذين من شدة حماسها فى ذلك الوقت، كان الرب يلقبهما بوانرجس أى ابنى الرعد. حدث لما أغلقت إحدى قرى السامريين أبوابها فى وجهه إذ كان متجهاً إلى أورشليم، أن تحمس يعقوب ويوحنا وقالا له "أتريد يارب أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" (لو٩: ٥٤). وكانت هذه غيرة خاطئة منهما لنزع الزوان فالتفت الرب وانتهرهما قائلاً "لستما تعلمان من أى روح أنتما! لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" (لو٩: ٥٥، ٥٦).

✠ ✠ ✠

يشوع بن نون أيضاً أخطأ فى غيرته فى (الدفاع) عن موسى النبى .

حدث عندما حل الروح القدس على السبعين شيخاً مساعدى موسى وتنبأوا، أن بقى رجلان فى المحلة هما ألداد وميداد، فحلّ عليهما الروح فتنبآ . فتحمس يشوع وقال لموسى النبى : هل أردعهما يا سيدى؟ فأجابه موسى النبى قائلاً: "هل تغار أنت لى؟! يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذا جعل الرب روحه عليهم" (عد١١: ٢٦- ٢٩). يشوع – لحداثته – ظن هذين الرجلين زواناً وسط الجماعة – ينافسان معلمه! وما كانا كذلك – وأراد ردعهما وأخطأ ...

ربما بعض التلاميذ كانوا يتمنون التخلص من شاول الطرسوسى لاضطهاده الكنيسة، وجرّه رجالاً ونساء إلى السجن (أع٩: ١، ٢)

أما الرب فما كان يراه زواناً ينبغى خلعه، إذ كان يفعل كل ذلك بجهل فى عدم إيمان (١تى١: ١٣). بل كان يراه يصلح أن يكون إناء مختاراً يحمل اسمه (أع٩: ١٥). وهكذا اختاره فيما بعد ليكون رسولاً للأمم، وليشهد له فى أورشليم وفى رومية أيضاً (أع٢٣: ١١). ومنحه اسم بولس، وجعله أكبر سنبلة فى المسيحية تحمل قمحاً...

☩ ☩ ☩

إن القديس يعقوب الرسول يقدم لنا مثلاً للغيرة الخاطئة فيقول:

إن كان لكم غيرة مرّة وتحزب فى قلوبكم، فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق، بل هى أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحزب، هناك التشويش وكل أمر ردئ. أما الحكمة التى من فوق، فهى أولاً طاهرة ، ثم مسالمة مترفقة، مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة.. وثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام" (يع٣: ١٤- ١٨) .

هنا فى موضوع الزوان والغيرة لخلعه ، يواجهنا سؤال هام :

لماذا يسمح الرب بوجود الزوان، ووجود الشر والأشرار ؟

أولاً: بالنسبة إلى البشر، بسبب منحهم حرية الإرادة. لقد منحهم الله هذه الحرية، إذ خلقهم على صورته. لكنهم اساءوا استخدامها!

ثانياً: بالنسبة إلى الشيطان، بسبب مبدأ تكافؤ الفرص. لكى لا يحتج بأنه لو كانت له فرصة، لكان يفعل ويفعل.. وهكذا كمثال سمح له الرب أن يجرّب أيوب الصديق (أى١، ٢).

ثالثاً : بترك الزوان فى الأرض، ظهرت فضائل الأبرار: فضائلهم فى مقاومة الخطية والصمود ضد الشيطان. وفضيلتهم فى الصبر وانتظار الرب، وفى الإيمان بعمل الرب وتدخله .

كذلك اعطاء الأبرار فرصة لنوال الأكاليل عن استحقاق . لأنه لا يكلل إلا الذى انتصر . ولا ينتصر إلا الذى يحارب ، وله عدو .

رابعاً: مع وجود الشر، ووجود الزوان، توجد أيضاً نعمة الله العاملة فى أحبائه، والتى بها قال القديس بولس الرسول "استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى٤: ١٣).

☩ ☩ ☩

والاضطهادات التى تحملها الأبرار من الأشرار كانت سبب بركة لهم. وفى هذا قال القديس يعقوب الرسول "احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة.." (يع١: ٢) .

لهذا سمح الرب بوجود الزوان فى وسط الحنطة. وقال لخدامه: "أتركوهما ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد" (مت١٣: ٣٠) .

ينميان معًا :

لعل البعض يسأل : أيهما ينمو فى العالم الخير أم الشر ؟ والجواب أنهما كليهما ينميان معاً .

الخير فى العالم يزيد، سواء من الناحية الروحية أو العالمية .

من الناحية الروحية : التكريس يزيد ، خدمة مدارس الأحد والشباب تزيد. القداسات تزيد مع حضورها. العمل المسكونى يزيد ومعه مؤتمرات الخدمة، ومؤتمرات الوحدة الكنسية. والمؤلفات الدينية تزيد، والمساعدات الإجتماعية تزيد فى المساعدات التى تقدم للدول الفقيرة أو المنكوبة بالسيول وبالزلازل، مع عمل الصليب الأحمر والهلال الأحمر وجمعيات الاسعاف ...

☩ ☩ ☩

والشر أيضاً يزيد فى العالم ...

من جهة استخدام العلم فى كوارث الحروب، وفى التصرف فى الخليقة والنسل، كمشاكل الهندسة الوراثية والاستنساخ وما أشبه . والشر أيضاً يزيد فى ظهور كثير من البدع والهرطقات ، وانتشار الإنحلال الخلقى والفكرى، والإلحاد وكثرة الشكوك فى

الأمور الدينية، والأمراض البشعة كالإيدز، وأيضاً انتشار الإرهاب والتطرف والجريمة بشتى أنواعها.. إلخ .

وسيظل الشر والخير يزيدان وينميان إلى يوم الحصاد، مع استخدام العلم بتزايده فى الخير وفى الشر كليهما .. إلى يوم الحصاد .

يوم الحصاد :

هو – كما قال الرب – نهاية العالم الحاضر. وفيه ينتهى الشر بأن يلقى الشيطان فى بحيرة النار والكبريت (رؤ٢٠: ١٠) فى العذاب الأبدى المعد له وللأشرار وكل جنوده (مت٢٥: ٤١، ٤٦). ولا تكون خطية فيما بعد ولا موت فيما بعد .

الملائكة يحزمون الأشرار حزماً ويلقونهم فى النار (مت١٣) .

حزمة للملحدين ، وحزمة للفاسدين ، وحزمة للمضطهدين، وحزمة لكل نوع من أنواع الأشرار .

أما الأبرار فيضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم (مت١٣: ٤٣)

فى أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس (رؤ٢١) يتمتعون بما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر (١كو٢: ٩) .

٣- مَثــل البَيتــين

(مت ٧ : ٢٤ - ٢٨)

قال السيد الرب فى آخر عظته على الجبل :

"كل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها، اشبّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبّت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر".

"وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها، يُشبّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبّت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً" .

أنواع مـن الآذان :

يذكرنا هذا المثل بأنواع من الآذان تواجه كلمة الرب .

أ – آذان لا تسمع . مغلقة أمام كلمة الرب . لا تحب أن تسمع.

ب– آذان أخرى تسمع ولا تتأثر أو لا تقتنع . أو تتأثر تأثيراً سلبياً . مثل الشاب الغنى الذى سمع وصية من الرب "فمضى حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت١٩: ٢٢).

ج – نوع ثالث : يتأثر ولا يعمل. يكتفون بالإعجاب بالكلمة. كأولئك الذين بهتوا من تعليم الرب (مت٧: ٢٨). ولا نضمن من منهم قد تبعوه!

د – نوع رابع : يسمع فيتأثر ويعمل، كالذين تبعوا الرب وصاروا تلاميذ له، لمجرد كلمة إتبعنى (مت٩: ٩) أو هلّم ورائى (مت٤: ٢٩، ٢٠) .

هـ – نوع خامس : يتأثر ويعمل، ولكن لا يستمر. كالزرع الذى نما قليلاً ثم خنقه الشوك. كالذين تبعوا الرب ثم أرتدوا ورجعوا إلى الوراء (يو٦: ٦٦) .

و – نوع سادس : يسمع ويعمل، ويعلّم آخرين أيضاً. وعنه قال الرب : "وأما من عمل وعلّم ، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات" (مت٥: ١٩) .

هناك أنواع أخرى ، تسمع فتأخذ موقفاً سلبياً أو مضاداً .

مثل الكتبة والفريسيين : الذين كانوا يسمعون الرب، فيشكون أو يعثرون، وينتقدون ويجادلون، ويتهمونه بإتهامات كثيرة..

ومثل قيافا رئيس الكهنة الذى لما سمع من الرب إجابة عن سؤاله، مزق ثيابه وقال "قد جدّف . ما حاجتنا بعد إلى شهود؟!" (مت٢٦: ٦٥) .

بولس الرسول أيضاً : كثيرون سمعوا منه ، فهزأوا به أو قاوموه.

تكلم هذا القديس فى أثينا، فقال قوم من الفلاسفة "ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟!" (أع١٧: ١٨). ولما أتى بذكر القيامة من الأموات، أستهزأ به البعض قائلين "سنسمع منك عن هذا أيضاً!!" (أع١٧: ٣٢). ولما تكلم أمام الملك أغريباس، صاح فستوس الوالى بصوت عظيم "أنت تهذى يا بولس. الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان!!" (أع٢٦: ٢٤) .. كانوا كلهم أصحاب آذان لا تسمع، أو من النوع الذى يسمع ويستهزئ. والبعض حاولوا قتله. فصاح جمهور اليهود لما سمعوه صارخين إنه ينبغى ألا يعيش بعد" (أع٢٥: ٢٤) . ولهذا يصلى الأب الكاهن فى أوشية الإنجيل قائلاً :

"فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة، بطلبات قديسيك"

"نسمع ونعمل". لأن السماع وحده لا يخلصنا، إن لم نعمل به. فالسيد الرب قد قال "الكلام الذى أكلمكم به، هو روح وحياة" (يو٦: ٦٣). أى تدركون الروح الذى فيه، روح الوصية، وتحولون ما تسمعونه إلى حياة فيكم، يوصلكم إلى الحياة الأبدية. وهكذا قال القديس بطرس الرسول للرب "إلى من نذهب؟! كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو٦: ٦٨).

السمَاع مسئوليّة :

يأمرنا الرب أن نعمل بما نسمعه ، ونحوله إلى حياة .

لأن سماع الكلمة هو مسئولية. فالسماع يقود إلى المعرفة والذى يعرف أكثر يُطالب بأكثر ... "كل من أعطى كثيراً، يطلب منه كثير. ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر" (لو١٢: ٤٨) .

ولعل البعض هنا يتساءل : مادام الأمر هكذا ، فمن الخير لى أن لا أعرف، حتى لا أطالب بأكثر!! مادامت المعرفة مسئولية. ويجيب القديس أوغسطينوس عن هذا الأمر فيقول "هناك فرق كبير بين الجهل، ورفض المعرفة. فالذى يرفض المعرفة، يُدان على

رفضه.." إذن ينبغى أن نسعى إلى المعرفة، ونعمل بها .

فالمعرفة وحدها لا تكفى ولا تخلص، بدون عمل ...

حتى لو إقتنينا المعرفة من أعظم المعــلمين ، ولم نعمل بها !

فالشياطين أيضاً تعرف، بل تؤمن وتقشعر (يع٢: ١٩). والإيمان بدون أعمال ميت. لا يقدر أن يخلص (يع٢: ١٤، ١٧، ٢٠) . مجرد معرفة الدين والإيمان والوصية، ليست ضماناً لأبديتنا، بل هى مسئولية. لأننا مع ذلك لو أخطأنا، لا تكون خطيتنا وقتذاك خطية جهل، بل عن معرفة" .. كما أن العلم وحده قد ينفخ" (١كو٨: ١) .

✠ ✠ ✠

إن السماع – بتوسط العقل – يعطى علماً ومعرفة .

ولكن العمل – بتوسط النعمة – يعطى خبرة وحياة .

ولهذا يلزمنا أن ندرب أنفسنا على أن نعمل بما نعرفه من تعليم الرب ووصاياه. والتدريب يحول المعرفة إلى حياة .

قدمت لنا سير القديسين قصة راهب مبتدئ ذهب إلى أب شيخ يسأله المشورة فى حياته الرهبانية . فقدم له الشيخ بعض الوصايا التى يسير بها فى حياته ، وطلب إليه أن يداوم الحضور إليه ليتتلمذ أكثر. ولكن مرّ شهران وثلاثة ولم يحضر إليه الراهب. فلما إلتقى به الشيخ فى البرية، سأله قائلاً "لماذا لم تأتِ يا ابنى، لتسمع مزيداً من المشورة؟" فأجابه الراهب: "إن النصائح التى سمعتها منك يا أبى، مازلت أدرّب نفسى عليها. ولم أتقنها بعد، حتى آخذ المزيد.." . فعرف الشيخ أنه راهب عمّال . فباركه وأطلقه بسلام .

إنه مثال عملى، يذكرنا أننا لا نكتفى بالسماع، بل نعمل بما نسمع

لهذا كله ذكر الرب مثل البيتين للجماهير التى سمعت كلامه .

مَثل البيتين :

إنه مثل عن بيتين قد يبدو شكلهما من الخارج واحداً. ولكن الرب فى هذا المثل ، لم يهتم بشكل البيت الخارجى، ولا بمقدار علوه. إنما الأهمية الكبرى التى ركز الكلام عليها، هى الأساس الذى يبنى البيت عليه: هل هو صخر أم رمل؟

فما المقصود بالبيت فى هذا المثل ؟

البيت هو حياة الإنسان الروحية : شخصيته وصفاته وتكوينه . بل هو حياته كلها،

نفساً وجسداً وعقلاً وروحاً، التى يتوقف عليها مصيره الأبدى. فما هو الأساس الذى يبنى عليه هذه الحياة .

والناس فى هذا البناء نوعان : ما بين عاقل وجاهل .

ولـيس المقصود بالجاهل هنا عديم الثقافة والمعرفة، وإنما المقصود عديم الحكمة فى التصـــرف. ولذلك تترجم كلمة (جاهل) فى بعض الترجمات الإنجليزية لهذا المثل بعبارة (Foolish) أى غـبى أو أحمـق، لا يسـلك بحكمـة.. تماماً كما ورد فى مثل العذارى؟ (مت٢٥: ١- ١٣). عبارة : حكيمات، وجاهلات .

فالعاقل أو الحكيم ، بنى بيته على الصخر. والجاهل أو الغبى ، بنى بيته على الرمل. فما معنى الصخر ؟ وما معنى الرمل؟ فى هذا المثل .

الصخـر :

الصخرة التى نبنى عليها حياتنا الروحية هى الله نفسه .

وما أكثر الأمثلة فى الكتاب على ذلك .

فالرب قد وصف فى سفر أشعياء النبى بأنه صخر الدهور. فقال "توكلوا على الرب.. لأن الرب صخر الدهور" (اش٢٦: ٤).. والذى يتوكل عليه، يحفظه سالماً...

وبه فرحت حنة أم صموئيل،لما إتكلت عليه فمنحها إبناً، فقالت:

"ليس قدوس مثل الرب . لأنه ليس غيرك. وليس **صخرة** مثل إلهنا" (١صم٢: ٢).

ونفس الكلام قاله داود النبى فى نشيده "من هو إله غير الرب؟! ومن هو **صخرة** غير إلهنا، الذى يعززنى بالقوة، ويصير طريقى كاملاً" (٢صم٢٢: ٣١ – ٣٣) . ويقول أيضاً فى نفس النشيد "**الرب صخرتى** وحصنى ومنقذى.. به أحتمى" (٢صم٢٢: ٢، ٣) .

ويرتل هذا النبى العظيم فى مزاميره ويقول :

(مز١٨: ٢، ٤٦) "**الرب صخرتى** وحصنى ومنقذى. **إلهى صخرتى** به احتمى".

(مز١٩: ١٤) "لتكن أقوال فمى وفكر قلبى مرضية أمامك ، يارب **صخرتى** وولىى" .

(مز٢٨: ١) "إليك يارب أصرخ **يا صخرتى**.." .

(مز٦٢: ١، ٢) "إنما لله انتظرت نفسى ... إنما هو **صخرتى** وخلاصى.." .

(مز٧١: ٣) "كن لى **صخرة** ملجأ أدخله دائماً. أمرت بخلاصى، لأنك **صخرتى** وحصنى..". أنظر أيضاً (مز٨٩: ٢٦) (مز٩٤: ٢٢) (مز٩٥: ١).

أمثلة أخرى تدل على أن الرب هو الصخرة :

(تث٣٢: ٣) "أعطوا عظمة لإلهنا . هو الصخر" .

(١كو١٠: ٤) "..كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم. **والصخرة كانت المسيح**" .

والدليل على أن الأساس الصخر هو المسيح: قول القديس بولس الرسول "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وُضع، الذى هو يسوع المسيح" (١كو٣: ١١)

✠ ✠ ✠

ما معنى أن المسيح يكون الأساس الصخرى لحياتك ؟

★تؤسس بيتك الروحى على السيد المسيح بمعنى إيمانك به. وهذا يشمل الإيمان بلاهوته، والإيمان بخلاصه العجيب، وفدائه لك.

فمن جهة لاهوته : لما ذكر القديس بطرس أن يسوع هو المسيح ابن الله، قال الرب "على هذه الصخرة أبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت١٦: ١٦، ١٨) .

أساس حياتك الروحية هو دم المسيح الذى يطهرك من كل خطية (١يو١: ٧). وهو الذى أحبك وغسلك من خطاياك بدمه (رؤ١: ٥) .

الأساس الذى تبنى عليه بيتك الروحى، هو أن تثبت فى المسيح، وهو يثبت فيك، كما يثبت الغصن فى الكرمة . وبهذا تأتى بثمر كثير (يو١٥: ٥) . وتثبت فى المسيح يعنى أن تثبت فى محبته (يو١٥: ٩) . هذا هو الأساس الصخرى، لأنك بدونه لا تقدر أن تعمل شيئاً (يو١٥: ٥) .

✠ ✠ ✠

الأساس الذى تبنى عليه حياتك الروحية ، هو أن تدعوالمسيح ليحيا فيك، كما قال بولس الرسول "..لكى أحيا – لا أنا – بل المسيح يحيا فىّ" (غل٢: ٢٠)، وقوله أيضاً "لى الحياة هى المسيح.." (فى١: ٢١) .

✠ ✠ ✠

الصخرة الحقيقية التى تبنى عليها روحياتك هى التلمذة الحقيقية للمسيح فى طاعة كاملة له. فهو القائل "إن حفظتم وصاياى، تثبتون فى محبتى" (يو١٥: ١٠) . وبهذا تحيا فى القداسة التى توحدك معه فى المشيئة وفى العمل.

الأساس الروحى الذى تبنى عليه روحياتك، أن تعتمد على الرب فى كل شئ، "وعلى فهمك لا تعتمد" (أم٣: ٥) . تثق بالله كل الثقة، وتعتمد عليه فى كل تدابيرك. وتؤمن أن "اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق ويتمنّع" (أم١٨: ١٠) .

فالرب تبدأ حياتك به، وتستمر به، وتختم حياتك به .

هو الأساس الصخر الذى تبنى عليه حياتك .

وكل أساس غير المسيح هو رمل ...

✠ ✠ ✠

ولعلك تسأل : بماذا يتميز الصخر كأساس ؟

الصخر يتميز بالصلابة والقوة والمتانة. وبالضمان والأمن فى تحمل الأساس للمبنى. فالبيت الذى يبنى عليه، لا يسقط .

ويتميز أيضاً بالعمق ، كما ذكر القديس لوقا الإنجيلى فى حديث الرب عن هذين البيتين "..يشبه إنساناً بنى بيتاً، وحفر وعمّق، ووضع الأساس على الصخر" (لو٦: ٤٨) .

وهكذا يفعل من يبنى بيته الروحى على ما ذكره السيد المسيح من قيم ومثل، وضحها الرب فى العظة على الجبل قبل ذكر مثل البيتين .

الـــرمـــــل :

الذى يبنى على الرمل هو إنسان جاهل يبنى بيتاً بغير أساس. وفى ذلك ورد عنه فى إنجيل معلمنا القديس لوقا إنه "بنى بيته على الأرض من دون أساس" (لو٦: ٤٩). فأصبح بلا مقاومة .

فالرمل تربة مفتتة متحركة ، تتأثر وتتغير، وتنجرف وتنحرف.

لا عمق لها ولا ثبات. وليست مثل الصخر الثابت فى مكانه..

إنها لا تستطيع أن تحمل البناء الروحى، كما يحمله "صخر الدهور" .

يذكرنى بذلك الزرع الذى قال الرب عنه إنه "إذ لم يكن له أصل جف" (مت١٣: ٦) .

✠ ✠ ✠

بماذا نشبّه من يبنى على الرمل الذى بلا صلابة ولا عمق؟

مثل الذى يبنى حياته على بره الذاتى، بدون عمل الله معه. أو يبنى روحياته على التدين الخارجى، أو العبادة المظهرية بدون مشاعر القلب الحقيقية! أو الذى يمارس (فضائل) ليس لها جذور فى أعماقه، بل هى ممارسات بلا روح! أو الذى يعمل أعمالاً حسنة على أساس من حب المديح والكرامة، أو فى رياء ليراه الناس!

أو الذى فى جهاده يعتمد على وسائل عالمية، أو على ذراع بشرى! أو الذى يثق بنفسه أكثر من حقيقته، ويرتئى فوق ما ينبغى له أن يرتئى (رو١٢: ٣) .

كل هذا يعرض بنيانه الروحي للإنهيار وللسقوط في أى وقت. وكيف ذلك؟

الأمطار والأنهار والرياح :

قد تمرّ على البيتين فترة هدوء، ولكن الجو الهادئ لا يستمر. وفي ذلك يقول الرب "نزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبّت الرياح. وصدمت كلاً من البيتين" (مت٧: ٢٥، ٢٧)

حلّت ساعة الاختبار لتكشف صلابة كلٍ من البيتين :

المطر من فوق ، والأنهار أو السيول من تحت، والرياح من الجانب. أى جاء الإختبار من كل جانب .

قد تكون هذه التي صدمت البناء الروحي: تجارب أو ضيقات، أو إغراءات أو عثرات، أو عنف أو أضطهاد، أو حروب من الشيطان أو من الجسد أو العالم..

كل هذه صدمت البناء الروحي ...

فماذا كانت النتيجة بالنسبة إلى كل من البيتين ؟

البيت المبنى على الصخر ثبت، كالجنادل الستة التى تعترض نهر النيل.. أو قل كالشهداء والمعترفين وسط كل العذابات التى أصابتهم من المضطهدين، أو كالسواح والمتوحدين في كل ما تعرضوا له من حروب الشياطين . أو كأبطال الإيمان الذين صمدوا أمام كل شكوك وأفكار الهراطقة والمبتدعين.

كل أولئك انتصروا لأن إيمانهم كان مبنياً على الصخر ..

بعكس البيت المبنى على الرمل الذى سقط وكان سقوطه عظيماً .

✠ ✠ ✠

إن الإختبار الأول للبيتين سيكون بالتجارب ههنا فى العالم. أما الإختبار الثانى فسيكون ساعة الموت، وهل ستكون ساعة خوف أم إطمئنان. والإختبار سيكون يوم الدينونة العظيم. ليتنا من الآن نفحص أساس حياتنا وروحياتـــنا، ونتأكد أنه أساس من الصخر ...

٤- مَثَل الغنى ولعَازر

(لو ١٦: ١٩-٣١)

مقدمة

١ - تساءل بعض علماء الكتاب هل هو مثل أم قصة حقيقية.

وقالوا فى ذلك أن السيد المسيح لم يتعود فى أمثاله أن يذكر أسماء أشخاص.. وفى هذا المثل ذكر اسم لعازر المسكين، وأبينا إبراهيم، وموسى النبى.. ولا مانع أن يكون لعازر شخصاً عاش فى تلك الفترة ورآه السيد المسيح ...

ونحن نفضل أن تكون هذه القصة مثلاً، لأنه لو كان لعازر شخصاً رآه المسيح، ما كان قد تركه هكذا فى بؤسه، وهو الذى ذكر قصة السامرى الصالح وكيف أشفق على جريح ملقى فى الطريق، ولم يتركه هكذا، بل أعتنى به (لو١٠: ٣٤) .

☩ ☩ ☩

٢ - نقطة أخرى . وهى لماذا ذكر الرب هذا المثل؟ وما مناسبته ...

★فى الواقع إنه كان قبل ذكره (فى نفس الإصحاح) قد ذكر مثل وكيل الظلم. وقال فى آخره "أصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم.. إن لم تكونوا أمناء فى مال الظلم، فمن يأتمنكم على الحق لا يقدر خادم أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن أن تخدموا الله والمال" (لو١٦: ٩- ١٣). بعد ذلك "كان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كله - وهم محبون للمال - فاستهزأوا به" (لو١٦: ١٤) .

فذكر الرب هذا المثل موبخاً الفريسيين المحبين للمال .

★وأيضاً ليقارن بين غنى لعازر الذى لم يفكر فى مستقبله بعد الموت، ووكيل الظلم الذى عمل لمستقبله .

☩ ☩ ☩

★أيضاً كان فى (لو١٥) قد ذكر أمثلة للتائبين المقبولين وبحث الرب عن الضالين، فكان من المناسب فى (لو١٦) أن يذكر مثلاً عن عاقبة الذين ماتوا فى خطيتهم بدون

توبة، لكى يقيم توازناً بين الحالتين .

✠ ✠ ✠

٣- هذا المثل أيضاً هو درس فى الإهتمام بالفقراء والمساكين

★وقد تكلم الرب عن خطورة هذا الأمر فى حديثه عما يحدث فى مجيئه الثانى، وفرزه للأبرار عن يمينه، وللأشرار عن يساره. وقوله للذين على يساره "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار المعدة لإبليس وملائكته. لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى. كنت غريباً فلم تأوونى. عرياناً فلم تكسونى.." فلما سألوه "متى رأيناك؟!" أجابهم "الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصاغر، فبى لم تفعلوا، فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى" (مت٢٥: ٤١ – ٤٦) .

✠ ✠ ✠

وغنى لعازر لم يضع فى ذهنه الآيات التى وردت فى العهد القديم عن الاهتمام بالمساكين، فلم يصنع له أصدقاء من مال الظلم:

فقد ورد فى (أم٢١: ١٣) "من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب". كما ورد فى (أم٣: ٢٧) "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله" وقيل أيضاً "من يرحم الفقير، يقرض الرب. وعن معروفه يجازيه" (أم١٩: ١٧). أى يعطى قرضاً للرب، يوفيه له هنا أو فى العالم الآخر أو فى كليهما.

✠ ✠ ✠

٤ – ونحن نذكر هذا المثل فى الصوم الكبير، لإرتباط الصوم بالصدقة، كما فى قراءات الصوم وبعض تراتيله .

ولا ننسى الترتيلة المشهورة التى نقولها فى الصوم الكبير

"طوبى للرحمـا على المساكين   فإن الرحمة تحل عليهم"

ولا ننسى أيضاً ما ورد فى رسالة يعقوب الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه: افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع ١: ٢٧) .

والآن فلندخل فى تفاصيل مثل (الغنى ولعازر المسكين) :

غنى وفقير

★المثل يقدم لنا شخصين : أحدهما غنى فى قمة الغنى، يلبس الأرجوان والحرير،

ويعيش متنعماً. والفقير يعيش فى عمق الفقر حتى دُعى بالمسكين . ويبدو أنه كان أحد المتسولين، وقد طُرح عند باب الغنى. وكان يشتهى الفتات الساقط من مائدته. وبالإضافة إلى جوعه وفقره، كان مضروباً بالقروح. وكانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه (لو١٦: ١٩- ٢١).

*   *   *

★وهنا لعل البعض يسأل : لماذا هذا التمايز فى الغنى والفقر؟ ولماذا سمح الله به؟

سمح الله لاختبار. ماذا يكون شعور الغنى فى غناه؟ هل يقوده الغنى إلى الخطية أو إلى الترف والبعد عن الله، أو إلى العظمة والكبرياء، أم يقوده الغنى إلى العطف على المساكين وإلى فعل الخير بما يملك من مال .

كذلك ما شعور الفقير فى فقره؟ هل يسخط ويتذمر؟ هل يلجأ إلى طرق غير شرعية لتغطية حاجته بالكذب والتحايل؟

*   *   *

وعلى الرغم مما يقدمه هذا المثل عن مصير غنى لعازر، نقول:

★ليس كل الأغنياء خطاة، فقد يوجد منهم أبرار وقديسون . وليس كل الفقراء أبراراً مثل لعازر المسكين، فمنهم أيضاً خطاة.

يذكر لنا الكتاب أن ابراهيم أبا الآباء كان غنياً جداً (تك١٣: ٦). ومع ذلك كان باراً ومضيفاً للغرباء (تك١٨: ٦- ٨).

وكان أيوب الصديق أغنى كل بنى المشرق (أى١: ٣). ومع ذلك شهد له الرب أنه "ليس مثله فى الأرض. رجل كامل مستقيم.. يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى١: ٨) .

ويوسف الرامى الذى كفّن جسد المسيح كان رجلاً غنياً، وفى نفس الوقت كان تلميذاً للرب يسوع (مت٢٧: ٥٧) (مر١٥: ٤٣) .

وفى القرن التاسع عشر نسمع عن إبراهيم الجوهرى ، أحد عظماء الأقباط. وكان غنياً جداً، محسناً جداً، ومهتماً بتعمير الكنائس والأديرة .

*   *   *

★والغنى فى قصة لعازر المسكين، لم يذهب إلى الجحيم بسبب غناه!

كلا. وإنما على الرغم من تنعمه ورفاهيته ، كان أنانياً محباً لذاته. ينفق الكثير على نفسه. وقلبه خالٍ من الرحمة لا يعطف على المسكين. وعاش لحاضره فقط، ولم يهتم لأبديته ولم يستعد لها، على الأقل بعمل الرحمة !

وكانت أمامه فرصة أن يكسب الملكوت بالشفقة على المسكين (مت٢٥: ٣٤- ٣٩). ولكنه لم يفعل .

✠ ✠ ✠

★على الرغم من أن حالة لعازر المسكين تذيب أى قلب مشفق، وتثير الشفقة، بسبب جوعه وقروحه، وكونه بلا مأوى .

★كما كان هذا المسكين قريباً منه ، على بابه (لو١٦: ٢٠). ولعل الغنى كان يمر عليه كل يوم ولا يأبه أو يعيره أى التفات! يذكرنا بما قيل فى قصة السامرى الصالح، أن الكاهن واللاوى كليهما مرّا على الجريح المطروح بين حى وميت، "وجازا مقابله" (لو١٠: ٣٠- ٣٢) .

★كذلك فإن ذلك المسكين ما كان يطلب من ذلك الغنى شيئاً كثيراً أو يرهقه بعطاء زائد، بل كان يشتهى مجرد "الفتات الساقط من مائدته" (لو١٦: ٢١) .

✠ ✠ ✠

من جانب آخر لم يذهب لعازر إلى حضن ابراهيم، بسبب فقره!

بل بسبب فضائل أخرى. فهو كان قنوعاً ، يكفيه الفتات الساقط. وكان محتملاً لحالته. ولم يقل الكتاب عنه إنه قد تذمر بسبب حالته! أو حسد الغنى، أو أدانه ولو فى فكره! حتى عندما ذهب إلى حضن أبينا ابراهيم، بقى صامتاً. لم يتكلم، بل تكلم ابراهيم نيابة عنه – وهو لم يشمت فى حالة الغنى بعد الموت .

✠ ✠ ✠

ذكر الكتاب اسم المسكين، ولم يذكر اسم الغنى .

كان اسمه لعازر، ومعناه "الله هو عونى" . وربما ذكر الرب له هذا الإسم، لأنه لم يكن له عون من البشر، ولم يعتمد على ذراع بشر، بل كان عونه من عند الرب (مز١١٨: ٧) (مز١٢١: ٢) . وقد منحه الرب المعونة التى احتمل بها البؤس الذى عاش فيه...

أما الغنى فلم يذكر له اسم ربما لأنه لا يستحق ذلك !

✠ ✠ ✠

المهم أن نذكر هنا : أن غِنَى ذلك الغنى لم يكن دليلاً على رضى الله عليه، ولا فقر المسكين كان دليلاً على عدم رضى الله!

إن الغنى أو الفقر ليس دليلاً على رضى الله أو عدم رضاه.. على أن كليهما عاشا هكذا على الأرض. ثم جاء الموت، فاختلفت حالة كل منهما تماماً ...

موت كليهما

★مات الغنى. وغناه لم يمنع عنه الموت. وكذلك مات المسكين.

واختلف الإثنان فى موتهما . وفى ما بعد الموت !

مات الغنى ودُفن (لو١٦: ٢٢). ولعل العظمة العالمية قد أحاطت بموته. ولعله قد دُفن فى مقبرة فاخرة تليق بغناه. ولعل كثيرين قد رثوه وأبنوه، وتكلموا فى مدحه وأن موته خسارة للمجتمع!

أما المسكين ، فلم يقل الكتاب أنه دُفن – مثل ذلك المسكين الذى تلحس الكلاب قروحه، لا يهتم أحد بموته ولا بدفنه! ربما ألقوا جثته فى مكان مهمل. ولم يكن له قبر .

☩ ☩ ☩

★**وهذا الذى لم يهتم أحد بدفنه ، اهتمت به الملائكة .**

وقال عنه الرب فى المثل "مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو١٦: ٢٢). فالملائكة تحمل أرواح الأبرار، وليس الكل.. أما الأشرار، فغالباً تأتى الشياطين وتسحب أرواحهم معها إلى الهاوية. فهؤلاء الأشرار كانوا من أتباع الشياطين: تبعوهم فى حياتهم، ويتبعونهم أيضاً بعد الموت ...

وحضن أبراهيم يعنى كورة الأحياء وعشرة القديسين .

☩ ☩ ☩

★**كل من الغنى ولعازر وجد نفسه حياً بعد الموت .**

فالموت ليس نهاية كاملة للحياة. بل الموت هو مجرد انتقال إلى حياة تبدأ ولا تنتهى...

وحياتنا على الأرض هى مجرد فترة مؤقتة، نستعد فيها للحياة الأخرى التى لا تنتهى. وسعيد وحكيم من يستعد لها ...

لذلك فالكنيسة تذكرنا فى كل ليلة بالإستعداد للموت والدينونة:

وبخاصة فى صلاة النوم وصلاة نصف الليل ...

فيقول المصلى "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعد من أجل كثرة ذنوبى.." "لكن توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى القبر لا يسبّح . ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر" .. ونقول فى نصف الليل "تفهمّى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واستيقظى" .

☩ ☩ ☩

الغنى وجد نفسه فى الجحيم، ونسى أنه كان مجرد وكيل على ماله . إئتمنه الله عليه ليستخدمه فى الخير ...

نعم يا أخوتى ، ليست العشور فقط هى نصيب الله فى كل أموالنا. بل أننا سنعطى حساباً عن كل ما تملكه، وكيف استخدمناه. وكيف ذكر الرب عبارة (وكيل) فى كثير من أمثاله وأحاديثه ..

ليت الغنى الذى عاصر لعازر صنع صداقة مع ذلك المسكين، بمال الظلم.. إذن لكان يذكره وهو فى حضن ابراهيم ...

مابعد الموت

الغنى اهتم بجسده فى حياته فى تنعمه ، واهتمت أسرته بجسده بعد الموت بدفنه. أما بروحه فما كان أحد يهتم، لذلك ذهبت إلى الجحيم. أما لعازر فعلى العكس، ما كان هناك اهتمام بجسده. ويبدو أنه لم تكن له أسرة ولا أصدقاء. لم يكن غير الكلاب التى تلحس قروحه. أما روحه فقد حظيت بعطف الملائكة وعطف أبينا إبراهيم.

☩ ☩ ☩

قبل صلب المسيح، كانت كل الأرواح تذهب إلى الهاوية. ولكن كان هناك فارق بين الأبرار والأشرار .

كان الأبرار راقدين على رجاء، وقد تحقق هذا الرجاء بالفداء، إذ نقلهم الرب إلى الفردوس بعد صلبه. إذ نزل إلى أقسام الأرض السفلى وأصعدهم منها" (أف٤: ٦) وأدخل معهم اللص اليمين (لو٢٣: ٤٣)

أما الغنى فكانت روحه فى طبقة أسفل من الطبقة التى يوجد فيها الأبرار . لذلك رفع عينيه من الجحيم، ورأى أبانا ابراهيم ولعازر فى حضنه (لو١٦: ٢٣) .

☩ ☩ ☩

أما الهوة العظيمة التى أثبتت بين الأبرار والأشرار، فبالإضافة إلى معناها الحرفى، يبدو أنها "هوة اليأس" إذ لا رجاء لهم .

لذلك يقول الرسول من جهة الذين رقدوا "لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" (١تس٤: ١٣) الذين مصيرهم كغنى لعازر ..

الغنى فى حياته الأرضية كان يمتلك كل تنعمات الجسد، ولكنه إذ لم يمتلك الشفقة والحنان، فقد كل شئ .

وإذا بالغنى ولعازر - بعد الموت - تبادلا كل الأوضاع .

لعازر قبل الموت كان مطروحاً عند باب الغنى . فإذا بالغنى بعد الموت لم يصل إلى المستوى الذى يطرح فيه عند باب لعازر!! بل كان ينظر من أسفل، ويرفع عينيه ليراه .

★لعازر قبل الموت كان يشتهى الفتات الساقط من مائدة الغنى. فإذا بالغنى بعد الموت يشتهى أن يبل لعازر طرف أصبعه (وليس أصبعه كله) لكى يبّرد لسانه من اللهيب (لو١٦: ٢٤) .

★لعازر كان يتعذب والآن يتنعم. والغنى كان مرفهاً والآن يتعذب.

★لعازر كان يتسول . والآن الغنى هو الذى يتسول ولو قطرة ماء. وأيضاً يتسول عطف أبينا ابراهيم .

★لعازر فى الحياة الأرضية، كان يرى سعادة الغنى وهو محروم. أما الآن فالغنى يرى سعادة لعازر وهو محروم، بل معذّب.

★الآن الغنى أصبح هو المسكين . وليس المسكين لعازر !

حال الإثنين قد تغير إلى العكس، لإيجاد توازن بين الحياة على الأرض والحياة فى السماء .

تأملات فى القصة

١ - الحياة الروحية ليست مجرد سلبيات : لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق.. بل لها إيجابيات . كما قيل عن أيوب الصديق "كامل ومستقيم، ويحيد عن الشر" (أى٢: ٣). وكما قال الكتاب :

"**من يعرف أن يعمل حسناً، ولا يفعل، فتلك خطية له**" (يع٤: ١٧) .

١-ومشكلة غنى لعازر، ليس إنه فعل شراً، بل أنه لم يفعل خيراً

٢ - الله منحنا الخيرات ، لكى نسعد بها غيرنا، وليس لمجرد تمتعنا .

٣-الروح فى السماء تتسع معرفتها، وتعرف ما على الأرض.

فأبونا ابراهيم عرف أن هذا لعازر، وأن الآخر هو الغنى ...

كما عرف أنه قد أتى بعده موسى والأنبياء لهداية الناس .

٤ - الأصوات أيضاً كانت تصل من طبقة إلى طبقة فى مكان الإنتظار .

٥ – كل تعب على الأرض من أجل الرب له مكافأته. وقد قال الرسول "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨). ومع أن لعازر تعب بغير إرادته، إلا أنه كوفئ! يكفى أنه احتمل فى صبر، ولم يتذمر على وضعه، ولم يجدف ...

٦ – ليس الغنى فقط نستخدمه فى الخير، بل أيضاً كل المواهب والقدرات .

منحك الله ذكاء، استخدمه للخير. منحك سلطة، استخدمها لأجل سعادة الآخر. منحك صحة، منحك وقتاً، استخدم الكل للخير. قل لله فى كل إمكانياتك "كل ما لى، فهو لك" .

٧ – طلب الغنى من أبينا إبراهيم ثلاث طلبات ولم تتحقق :

الطلبة الأولى يا أبى أبراهيم ارحمنى. والثانية "أرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء.." والثالثة أرسله إلى أخوتى (لو١٦: ٢٤، ٢٧).

جاءت الطلبتان الأولى والثالثة متأخرتين بعد فوات الوقت .

لو كان لايزال فى العالم قبل موته، لتشفيع فيه ابراهيم .

أما الآن فإنه يذكرنا بالعذارى الجاهلات اللائى أتين بعد أن أغلق الباب (مت٢٥: ١٠، ١١). بعد الموت لا تقبل شفاعة: لا من ابراهيم ولا من لعازر. فلا تقف أمام الإنسان سوى أعماله .

هذا يذكرنا بأنه لا توجد توبة بعد الموت ...

بيننا وبينكم هوة عظيمة .. لا تستطيعون أن تجتازوا إلينا (لو١٦: ٢٦) .

أما أخوة الغنى فقال عنهم أبونا ابراهيم: عندهم موسى والأنبياء.

ومن جهة حال الغنى ، قال له أبو الآباء "تذكر يا بنى، أنك قد استوفيت خيراتك على الأرض". ولم تهتم بخير السماء !

تذكر يا بنى

تذكّر أن حياة الإنسان على الأرض، هى التى تحدد مصيره بعد الموت، وتحدد درجة مصيره. لأن نجماً يفوق نجماً فى الرفعة (١كو١٥: ٤١) وفى العقوبة هناك حالات أكثر احتمالاً من غيرها (مت١١: ٢٢، ٢٤) .

تذكّر يا ابنى ، وثق أنك ستتذكر شئت أو لم تشأ !!

فأول جحيم سيجتازه الإنسان بعد الموت هو الذاكرة .

حينما يتذكر كل خطاياه وسقطاته ونجاساته وضعفاته، الكل معاً! ومهما حاول أن يمحوها فلا يستطيع. الكل أمامه بالصوت والصورة، منذ ولادته حتى موته. لا يختفى منه شئ. وتضغط عليه ذكرى نجاساته فيصرخ "ذنبى أعظم من أن يُحتمل" (تك٤: ١٣) .

الذاكرة بعد الموت سريعة، وشاملة، وغير إراديه، ودائمة .

ومؤلمة ، كجحيم قبل أن يدخل الجحيم. كما قال الشاعر :

كجحيم ذلك الماضى ، كشيطانٍ مريعِ

قائم ضدى فى صحوى وأيضاً فى هجوعى

فيتذكر بعد الموت خطاياه التى كان يتلذذ بها، فأولاً لا يجدها . وثانياً لا يتلذذ بها، بل يتعذب بتذكرها ...!

ويصرخ أين أهرب من هذا الجحيم الذى فى داخلى، فى ذاكرتى؟! حيث أتذكر كل ما يعذبنى. ولا أستطيع الامتناع عن تذكره .

حقاً إن كل ما نعمله. وما نفكر فيه، يُحفر وينطبع فى ذاكرتنا. وإن نسيه الخطاة على الأرض ، فلن ينسوه بعد الموت . ومهما تعذبوا به، يقولون "نحن بعدل جوزينا" (لو٢٣: ٤١) .

وهكذا كان الغنى المعاصر للعازر فى عذاب :

عذاب من تعب نفسه ، ومن تعب ما يتذكره .

عذاب فى المقارنة بين حياته فى العالم وحياته الآن .

عذاب فى المقارنة بينه وبين لعازر المسكين .

عذاب من جهة أخوته الذين فى العالم .

عذاب من جهة إحساسه بغضب الله عليه .

عذاب من جهة عدم استجابة أبينا ابراهيم لطلب من طلباته .

عذاب لأنه بدأ يحصد ثمار ما قد زرعه .

عذاب إذ ليس له رجاء، إذ يرى عذابه لا ينتهى.

٥ - مَثَل الفرّيسى والعَشّار

(لو ١٨ : ٩ - ١٤)

إثنان صعدا إلى الهيكل ليصليا . أحدهما فريسى والآخر عشار.

حكم الناس على كل منهما ، عكس حكم الله تماماً .

★**كان الفريسى من طبقة محترمة من الناس**، يدعونهم قائلين: سيدى سيدى (مت٢٣: ٧). وكانوا مدققين جداً فى تنفيذ الشريعة، يضيّقون على أنفسهم فى الصوم وفى حفظ السبت وفى دفع العشور. حتى أن بولس الرسول قال عن نفسه "إنى حسب مذهب ديانتنا الأضيق، عشت فريسياً" (أع٢٦: ٥).

★كان معلماً للشريعة "يجلس على كرسى موسى" (مت٢٣: ٢). وفى نظر الناس، كان إنساناً مشهوراً، وكانت له "صورة التقوى" (٢تى٣: ٥). وكان يعرف عن نفسه أنه موضع احترام الناس، وأنه إنسان ملتزم. وقد صعد إلى الهيكل بهذا الشعور ...

✠ ✠ ✠

★**أما العشار ، فكان على العكس من طبقة يحتقرها الناس :**

إذ كان العشارون مشهورين بالظلم والنهب والقسوة. حتى أن السيد المسيح حينما دخل بيت زكا العشار، تذمر اليهود لأنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ (لو١٩: ٧). وقد صعد العشار إلى الهيكل بهذه الروح من المذلة، ووقف بها منسحقاً أمام الله ...

✠ ✠ ✠

★**الفريسى صلى صلاة طويلة ، ولم يتبرر بها ..!**

والعشار صلى جملة واحدة "ارحمنى يارب فإنى خاطئ". وخرج مبرراً .

الإثنان صليا . ولعل صلاة العشار وحدها هى التى حُسبت صلاة ...

لم يكن المقياس أمام الله هو طول الصلاة أو قصرها . إنما ما كانت تتصف به الصلاة من إتضاع وانسحاق قلب. وهذا ما تميزت به صلاة العشار. المهم فى الصلاة عمقها وروحانيتها. وهذا ما يستطيع أن يحكم به الله فاحص القلوبَ ...

✠ ✠ ✠

كم من صلاة قصيرة ، كانت – فى عمقها – لها فاعليتها الكبرى .

هكذا كانت أيضاً صلاة اللص اليمين على الصليب "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٢). وبهذه الكلمات القليلة ، نال الوعد بأن يكون مع الرب فى الفردوس. لأنها كلمات صادرة من القلب، وفيها إيمان وإنسحاق قلب...

وبالمثل ما قيل عن صلاة السائح الروسى "يارب يسوع المسيح ارحمنى" ..

✠ ✠ ✠

ونحن نصلى قائلين "يارب ارحم" آلاف المرات. ولكن هل واحدة منها، **فيها روح** وعمق عبارة "ارحمنى" التى قالها ذلك العشار؟!

قد نقول "يارب ارحم" ونحن لا نشعر بضعفنا، ولا نشعر **باحتياجنا إلى الرحمة**، ودون أن نتذكر خطايانا ونطلب الرحمة لمغفرتها.. وكل ذلك بغير تضرع، وبغير توسل، وبغير إنسحاق! طلب الرحمة واضح على ألسنتنا، ولكنه ليس عميقاً فى قلوبنا.. كما كان فى قلب العشار، وفى قلب اللص اليمين .

صـلاة الفـرّيسى :

★لقد وقف أمام الله مفتخراً ، لا متضرعاً !

وحاول إخفاء افتخاره، وراء عبارة "أشكرك يارب.." .

فليس المهم فى أن يقول الإنسان "يارب" ، إنما أن يقولها بقلب منسحق أمام الله.. **فهذا الفريسى يذكرّنى بقول الرب "ليس كل من يقول لى "يارب يارب، يدخل ملكوت السموات"** (مت٧: ٢١). ويذكّرنى بالأكثر بقوله – تبارك اسمه – "كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب، أليس باسمك تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرّح لهم إنى لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم!" (مت٧: ٢٢، ٢٣) .

أولئك أيضاً – مثل الفريسى – كانوا يقولون "يارب" ويفتخرون!

✠ ✠ ✠

فإن وقفت تقول يارب ، أذكر بأى روح تقولها ؟

★قال الفريسى : اشكرك يارب إنى لست مثل سائر الناس ..

وهكذا جعل نفسه فى مستوى أعلى، متميز عن سائر الناس، متميز فى أنه لا يرتكب خطاياهم. فقال لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة.. وهنا وقع نظره على

العشار، فقال "ولا مثل هذا العشار.." . فأدان الغائبين عنه "سائر الناس"، كما أدان العشار الحاضر أمامه .

✠ ✠ ✠

لقد أدان العشار بدلاً من أن يدينه الله، بل أدان العشار الذى برره الله (لو١٨: ١٤) والذى كان أفضل منه أمام الله .

الله صاحب كل السلطان لم يدن العشار فى هذا المثل. ولكن الفريسى هو الذى أدانه، وبغير سلطان ، بينما كان العشار فى عمق روحانيته .

وصدق قول الآباء "من ينسى خطاياه، يقع فى إدانة خطايا أخيه".

لو تذكر الفريسى خطاياه، لطلب عنها المغفرة، لكنه لم يتذكر سوى خطايا الناس الظالمين الخاطفين الزناة، وهذا العشار .

✠ ✠ ✠

وكأنه كان يبدو أمام نفسه بلا خطية!

كان باراً فى عينى نفسه ... كان فى نظر نفسه من الأصحاء الذين لا يحتاجون إلى طبيب، ولا من الخطاه الذين يحتاجون إلى توبة (مت٩: ١٢، ١٣).

وهكذا أيضاً لم يطلب فى صلاته أى طلب من الله، وكأنه لا ينقصه شئ يطلبه..!

إنه يذكرنى بذلك الأخ البلموسى الذى كتب كتاباً ضد الأجبية، وأنتقد عبارة (يارب ارحم). وقال : لماذا نطلب من الرب الرحمة؟! لقد رحمنا وانتهى الأمر!! لقد طهرنا وبررنا وجددنا ومجدنا، وما عدنا بعد فى احتياج إلى تطهير وتجديد !!

✠ ✠ ✠

الفريسى فى كبريائه أدان غيره ولم يشفق !

ولو كان متضعاً لتذكر قول القديس بولس الرسول "أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم. واذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد" (عب١٣: ٣). ولكن الفريسى ذكر الخاطفين الظالمين الزناة، فى كبرياء قلب. وكان الأجدر إن ذكرهم ، أن يطلب لهم معونة من الله وتوبة .

القديس يوحنا القصير كان إذا رأى خاطئاً، يبكى فيسألونه عن سبب بكائه، فيقول: هذا يدل على أن الشيطان يعمل وقد أسقط أخى هذا الذى يتوب، وما أدرانى إن أسقطنى هل أتوب أنا أم لا .

✠ ✠ ✠

★العجيب أن الفريسى كان له مظهر الصلاة، ومظهر التواجد فى الهيكل. ولكن قلبه لا مع الله ولا مع الناس.. تماماً مثلما ندخل إلى الكنيسة فنجدها ملأى بالناس. ولكنهم ليسوا كلهم مع الله، وليسوا كلهم يصلون ..!

★وهكذا وقف فى صلاته يدين غيره! ما أخطر أن يخطئ الإنسان وهو يصلى !

✠ ✠ ✠

ما أخطر أن صلاة الإنسان تصير خطية!! وهكذا كانت صلاة الفريسى: وقف كإنسان بار أمام الله! لم يطلب المغفرة عن خطية واحدة ارتكبها! بل قارن نفسه بغيره، فوجد نفسه أفضل من الكل.

★وبمن قارن نفسه ؟ بالناس الظالمين الخاطفين الزناة !!

حقاً عندما نقارن بهذا المستوى الشرير نجد أنفسنا أبراراً!

ولو أنه قارن نفسه بالمتضعين المنسحقين ، لوجد نفسه فى الموازين إلى فوق. ولكن لأنه نظر إلى من هم أقل منه، لذلك افتخر. مثل طالب رسب فى مادتين، فيقارن نفسه بمن رسب فى أربع مواد وأعاد العام، ويرى أنه أفضل. وعلى رأى المثل "الأعور وسط العميان سلطان" . ليت الفريسى نظر إلى من هم أعلى منه وقارن نفسه بالأبرار القديسين، إذن ما كان يتحدث بهذا الأسلوب .

✠ ✠ ✠

إنه يقول مفتخراً " أصوم يومين فى الأسبوع" . ليته تذكر دانيال النبى ، الذى لما صام ثلاثة أسابيع أيام، قال "لم آكل طعاماً شهياً، ولم يدخل فمى لحم ولا خمر" (دا١٠: ٢، ٣). هذا الذى رفض أطايب الملك، وأكل بدلاً منها القطانى (طعاماً نباتياً) .

إن الذى يقارن نفسه بالمستويات الساقطة، كالظالمين والخاطفين الزناة ، قد يرتفع قلبه. أما الذى يتذكر مستويات القديسين ، يشعر أنه لم يعمل شيئاً فيتضع ...

ليتنا بهذه المناسبة نتذكر قول الرب "كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت٥: ٤٨) . حينئذ لا نفتخر لمجرد أننا صمنا يومين فى الأسبوع، أوعشرنا كل ما نقتنيه .

✠ ✠ ✠

كذلك لا نقيس روحياتنا بسلبيات الظالمين الخاطفين الزناة، إنما نقيسها بإيجابيات القديسين فى روحياتهم ، بالدرجات العليا التى وصلوا إليها فى جهادهم .

كذلك لما قال الفريسى "أعشر كل ما اقتنيه" ليته تذكر قول الكتاب "منك الجميع. ومن يدك أعطيناك" (١أى٢٩: ١٤) .

هذه العشور التى أعطاها هى جزء من كل ماله الذى أخذه عطية من يد الله. فلماذا الافتخار إذن .

✠ ✠ ✠

★وبلا خجل، بدأ يتحدث عن نفسه، ويحصى أمام الله فضائله!

أنا أصوم مرتين فى الأسبوع، وأنا أعشرّ كل ما أقتنيه. ونسى أنه "كالقبور المبيضة من الخارج، وداخلها عظام نتنة" (مت٢٣: ٢٧). نسى أنه يعشّر النعناع والشبث والكمون، وقد ترك أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان (مت٢٣: ٢٣). نسى أنه من القادة العميان الذين أغلقوا ملكوت السموات قدام الناس. فلا همْ دخلوا، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت٢٣: ١٣).

✠ ✠ ✠

★نسى خطاياه فلم يذكرها. وفضائله لم ينسبها إلى عمل الله فيه!

لم يقل أنا بنعمتك لست مثل الظالمين الخاطفين الزناة. ولم يقل إننى بفضل معونتك لى أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتـــنيه. لم يتكلم باسلوب القديس بولس الرسول "لا أنا، بل نعمة الله التى معى" "ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة" (١كو١٥: ١٠) . لكنه اكتفى بأن ينسب إلـــى نفســـه الفضائل التى تحدث عنها سلباً أمام الله.

وافتخر باطلاً أمام الله، الذى قدامه كل بر الإنسان مثل خرقة الطامث (حز٣٦: ١٧)، الذى "ليست السموات طاهرة قدامه" (أى١٥: ١٥) وإلى ملائكته ينسب حماقة(أى٤: ١٨).

✠ ✠ ✠

خلاصة أخطاء الفريسى :

١ – الافتخار ، وعدم نسبة أعماله إلى نعمة الله .

٢ – إدانة الآخرين بصفة عامة، والعشار بصفة خاصة .

٣ – مقارنة نفسه بمستويات خاطئة ، أوصلته إلى البر الذاتى .

٤ – لم يطلب شيئاً لنفسه ، وكأنه غير محتاج لشئ .

العشّار :

كانت له فضائل كثيرة ، نذكر منها :

١ – انسحاق القلب . ويظهر هذا من أنه وقف بعيداً ، ولم يجرؤ أن يرفع عينيه إلى السماء.. فعل هذا مع كونه وقتذاك أقرب الحاضرين إلى الله في خشوعه. وقد قال الكتاب "الذبيحة لله هي قلب منسحق. القلب المتخشع والمتواضع لا يرذله الله" (مز ٥١: ١٧).

ووقوفه من بعيد ، كأنه يقول : لست مستحقاً أن أحشر نفسي في زمرة القديسين، ولست مستحقاً أن أتواجد في المواضع المقدسة. وكأنني أقول مع داود النبي: أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك (مز ٥: ٧) .

✠ ✠ ✠

١ – ثم يرفع نظره إلى فوق ، وكأنه يقول : من أنا الذي يجرؤ أن يرفع نظره إلى السماء في قدسيتها، بينما أشعر بنجاستي؟

٢ – في انسحاقه أخذ المتكأ الأخير حسب وصية الرب . فقرّبه إليه، ولم يدعه يقف بعيداً ، بل جعله يخرج مبرراً .

وطبعاً وقوفه بعيداً يدل على شعوره بعدم الاستحقاق إلى الدخول إلى بيت الرب .

✠ ✠ ✠

٣ – وقف وكأنه في خورس التائبين . وقرع صدره بصلاته التي صارت نموذجاً لكل تائب "ارحمني يارب فإني خاطئ" .

٤ – كان متذكراً لخطاياه ومعترفاً بها أمام الله . وهذا يذكرنا بقول القديس أنطونيوس "إن نسينا خطايانا ، يذكرها لنا الله . وإن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله" .

✠ ✠ ✠

وفي اعترافه بخطاياه لم يقدّم أي عذر يعتذر به . وكأنه يقول لله: أنا مدان أمامك بلا عذر .

٥ – أظهر ندمه في أنه قرع على صدره . وهذا تعبير على أنه عارف بما اقترفه ، وهو خجلان بسبب ذلك ، مظهراً ندمه.

٦- مَثَل العشر العَذارى

قال السيد الرب "يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن، وخرجن للقاء العريس. خمس منهن حكيمات، وخمس جاهلات" (مت٢٥: ٢،١). فإلى أى شئ يرمز هذا؟

رقم خمسة :

فى الواقع إن رقم خمسة يرمز إلى الإنسان (إلى البشر) .

وهكذا ترمز الخمس عذارى الحكيمات إلى كل البشر الحكماء. وترمز الخمس عذارى الجاهلات إلى كل البشر الجهلاء .

وقد ذكر القديس أوغسطينوس إن رقم خمسة يرمز إلى الإنسان لأن الإنسان يتميز بأن له خمس حواس. كما أن له خمسة أصابع فى كل واحدة من يديه، وفى كل قدم من قدميه.

✠ ✠ ✠

ونلاحظ ورود هذا الرقم كثيراً فيما يتعلق بالبشر .

ففى أشهر معجزة لإشباع الجموع، أشبعهم الرب بخمسة أرغفة وسمكتين. وكان الآكلون خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال (مت١٤: ١٧، ٢١). وكمثال لنجاسة الإنسان قيل عن المرأة إنه كان لها فى الخطية خمسة أزواج (يو٤: ١٨).

ولكى يقارن السيد الرب فى ثقل الخطية بين سمعان الفريسى والمرأة الخاطئة الباكية، قال له : "إنسان كان له مدينان على الواحد خمسمائة دينار، وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً" (لو٧: ٤١، ٤٢) .

✠ ✠ ✠

وفى حديث الرب عن المواهب والمسئوليات ، ذكر أن أكثر الذين أخذوا كان صاحب الخمس وزنات، الذى ربح خمس وزنات آخر (مت٢٥: ١٧، ٢٠) . والقديس بولس الرسول عن الفهم فى موهبة الألسنة: "أشكر إلهى أنى أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم. ولكن فى الكنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان" (١كو١٤: ١٨، ١٩).

✠ ✠ ✠

وداود فى محاربة جليات ، ليبرهن على أقصى ما يعمله من مجهود كإنسان أخذ معه فى كنفه كراع "خمسة حجارة ملساء" (١صم١٧: ٤٠) .

حكيمات وجاهلات :

النفوس الحكيمة هي الحكيمة فى تصرفها، وفى النظر إلى مستقبلها .

كما مدح الرب وكيل الظلم (لو١٦: ٨) لأنه تصرف بحكمة ونظر إلى مستقبله .

وهنا العذارى الحكيمات "أخذن زيتاً فى آنيتهن مع مصابيحهن" (مت٢٥: ٤). فكان عندهن استعداد لاستقبال العريس بمصابيح مضيئة، أى استقبال الرب عند مجيئه الثانى بنفوس مستنيرة، كما أمر هو من قبل وقال "لتكن أحقاؤكم ممنطقة، وسُرجكم موقدة، وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم.." (لو١٢: ٣٥، ٣٦) .

أما الجاهلات ، فلم يكن عندهن مثل هذا الاستعداد .

✠ ✠ ✠

وكلمة الجهل لا تعنى الأمية أو عدم الثقافة، بل كثيراً ما تطلق على الخطاة وحتى على الملحدين ...

كما قيل فى المزمور "قال الجاهل فى قلبه ليس إله" (مز١٤: ١٩). وقد يكون من الفلاسفة الملحدين. ومع ذلك فهو جاهل، لأنه لا يعرف الله.. وكذلك قال أيوب الصديق لزوجته، حينما تكلمت بكلام تجديف: تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات" (أى٢: ١٠) .

✠ ✠ ✠

والقديس بولس الرسول نصح أهل أفسس قائلاً "أنظروا كيف تسلكون بتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء" (أف٥: ١٥). وهكذا وصف بالجهل من لا يسلك فى حياته بتدقيق. وقال سليمان الحكيم "الحكيم عيناه فى رأسه. أما الجاهل فيسلك فى الظلام" (جا٢: ١٤). وقد قال السيد الرب "من يسمع كلامى ولا يعمل به، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل" (مت٧: ٢٦) .

إذن العذارى الجاهلات كن حمقاوات لا يفكرن فى مستقبلهن الأبدى .

لذلك حسن قيل عنهن فى ترجمة King James بالإنجليزية :

And Fuve were foolish. وحقاً أكبر حماقة أن الإنسان لا يستعد لمستقبله الأبدى ...

✠ ✠ ✠

هؤلاء العذارى العشر، كان بينهن أوجه تشابه وأوجه أختلاف

أما عن أوجه التشابه : فنذكر من بينها أنهن كلهن خرجن معاً لاستقبال العريس. تماماً كما نقول إن العالم كله ينتظر مجئ الرب متى يأتى.. هكذا كانت كل العذارى (على الأقل من الخارج) . وكل منهن كانت تحمل مصباحها معها .

✠ ✠ ✠

وقيل عنهن جميعاً "ولما أبطأ العريس نعسن كلهن ونمن" .

ولعله يقصد بالنوم فى هذا المثل: الموت. فنتيجة لتأخر مجئ الرب ماتت أجيال عديدة من الأبرار والأشرار. ولكن الجميع قاموا معاً فى القيامة العامة. كما قيل "يسمع جميع من فى القبور صوته. فيقوم الذين فعلوا الصالحات.. ويقوم الذين فعلوا السيئات" (يو٥: ٢٩).

✠ ✠ ✠

ولكن متى يقومون ؟ يقول المثل :

وفى نصف الليل ، صار صراخ : هوذا العريس قد أقبل .

يظن البعض أن موعد مجئ الرب فى مجيئه الثانى للدينونة، سيكون فى نصف الليل! وهذا خطأ واضح، لأن نصف الليل فى شرق الدنيا غيره فى غربها. ونصف الليل فى المناطق القطبية غير ذلك فى منطقة خط الأستواء. والوقت يختلف من قطر إلى آخر أحياناً ... إنما المقصود بنصف الليل، أى فى الوقت الذى يكون فيه الناس نياماً، أى غير متوقعين هذا المجئ ...!

✠ ✠ ✠

على أن التشابه بين العشر عذارى ، كان تشابهاً من الخارج.

كان تشابهاً ظاهرياً . أما من الداخل ، فكان يوجد اختلاف .

أول خلاف أن بعضهن كن حكيمات، والبعض الآخر كن جاهلات.

ونتيجة لاختلافهن فى الحكمة والجهل، "أخذت الحكيمات معهن زيتاً فى آنيتهن مع مصابيحهن" "أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن، ولم يأخذن معهن زيتاً" (مت٢٥: ٣، ٤).

وهذا يدل على اختلاف ثالث بينهن: وهو أن الحكيمات فكرّن فى المستقبل باستعداد له. أما الجاهلات فلم يكن لهن هذا التفكير فى المستقبل، ولا هذا الأستعداد له ...

✠ ✠ ✠

الجاهلات لم يختبرن مصابيحهن قبل النوم، للتأكد من وجود زيتٍ كافٍ فيها. تماماً كما يستعد السائق الحكيم قبل السفر بعربته، فيختبر العربة: هل فيها البنزين الكافى ، وهل هى مشحمة، والفرامل مضبوطة؟

الحكيمات كان عندهن الحرص والاهتمام والاستعداد والتفكير فيما سوف يقابلن به العريس. أما الجاهلات فكان تفكيرهن فى الحاضر فقط، وليس فى ما قد يحدث فى منتصف الليل .

✠ ✠ ✠

أهتمام الحكيمات بالمستقبل، يذكرنا بمدح السيد لوكيل الظلم.

ونأخذ وجه الشبه من ناحية واحدة فقط، وهى اهتمامه بما سوف يحدث له فى المستقبل، واستعداده لذلك حينما تؤخذ منه الوكالة (لو١٦: ٣، ٤). نأخذ الشبه بين المثلين، والقياس مع الفارق .

وقد ضرب الرب لنا هذا المثل، لنستعد لمجئ الرب، ونكون حكماء. كما فعلت العذارى الحكيمات "وكما فعل ذلك الوكيل الحكيم (لو١٦: ٨) .

✠ ✠ ✠

قلنا إن التشابه بين العذارى الحكيمات والجاهلات كان من الخارج فقط. من حيث أنهن كلهن عذارى، وكلهن ينتظرن العريس.

إنه يشبه – فى الشكل الخارجى – تشابه الورد الطبيعى والورد الصناعى!

الشكل الخارجى قد يكون واحداً من حيث اللون والمظهر. أما عن الجوهر فالورد الطبيعى فيه حياة، وله رائحة، ونعومة وليونة، بينما لا يوجد شئ من هذا كله فى الورد الصناعى. إذن لا نحكم حسب الظاهر ...

✠ ✠ ✠

كما أن التشابه بينهما كان تشابهاً مؤقتاً .

فى البداية وليس فى النهاية. تشابها إلى وقت مجئ العريس، وحينئذ تنكشف حالة كل مجموعة على حقيقتها. أو لنقل إنه يبدو التشابه بينهن فى هذا العالم فقط، وليس فى وقت القيامة. كما كان يبدو التشابه بين الحنطة والزوان، ولكن فقط إلى يوم الحصاد (مت١٣: ٤٠ – ٤٢). نقطة أخرى نتأملها، وهى عبارة (عذارى) .

عذارى :

أظن أن هذا المثل لا يرمز فقط إلى البشر عموماً ...

بقدر ما يرمز إلى نوعية الخدام الموجودين فى الكنيسة .

ويمكننا أن ندرك هذا من معنى كلمة (عذارى) . والمعروف أن العذراء هى الأنثى غير المتزوجة أى غير المرتبطة برجل، بل هى متفرغة لله وعمله.

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول: "إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم فى ما للرب.. أما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها" (١كو٧: ٣٤).

إذن هؤلاء العذارى كن من بين المهتمات فى ما للربّ .

✠ ✠ ✠

وللأسف وُجد فى هذا النوع بعض الجاهلات، ضيعّن أنفسهن!

مع أن لهن مظهر التدين من الخارج، مؤمنات، ويحملن مصابيحهن، وينتظرن العريس مثل الحكيمات تماماً. ويقلن "ربنا ربنا" (مت٢٥: ١١)!

أى أن الكل كان عندهن إيمان . ولكنه عند الجاهلات كان إيماناً نظرياً أو ظاهرياً وكان عند الحكيمات إيماناً حياً عاملاً مثمراً منيراً.

والذى يجعلنا نميل إلى هذا التفسير أن الرب فى نفس الإصحاح أو فى نفس المناسبة التى حكى فيها مثل العذارى، ذكر أيضاً مثل العبيد أصحاب الوزنات الذين سلمهم الرب وزنات ليتاجروا بها ويربحوا (مت٢٥: ١٤- ٣٠) .

وفى نفس الأسبوع ذكر أيضاً مثل الكرامين الأردياء الذى "لما سمعه رؤساء الكهنة والفريسيون، عرفوا أنه تكلم عليهم" (مت٢١: ٤٥) .

الـزيـت :

كان الفرق الرئيسى بين هاتين المجموعتين من العذارى الإحتفاظ بالزيت لإضاءة المصابيح. فما هو الزيت هنا وما رموزه؟

الزيت فى الكتاب المقدس يرمز إلى فاعلية الروح القدس .

فقد أمر الرب موسى فى الإصحاح الثلاثين أن يصنع المسحة المقدسة من زيت الزيتون من أفخر الأطياب، فيكون دهناً مقدساً للمسحة، تمسح به خيمة الإجتماع، وكل مذابحها وآنيتها. فتصبح قدس أقداس للرب، كل ما مسها يكون مقدساً (خر٣٢: ٢٣-٢٩) وهكذا كان.

وأمره بأن يمسح بهذا الزيت المقدس هرون وبنيه، فيقدسهم للرب ليكهنوا له (خر٣٠: ٣٠). وتصير مسحتهم لهم كهنوتاً أبدياً (خر٤٠: ١٥) .

✠ ✠ ✠

فهل هؤلاء العذارى الجاهلات كانت تنقصهن هذه المسحة المقدسة التى تكرسهن لخدمة الرب؟ فتضئ بها مصابيحهن ...

إن شاول الملك لما مُسح بهذا الزيت المقدس، "أعطاه الرب قلباً آخر". "وحلّ عليه روح الله فتنبأ" (١صم١٠: ٩، ١٠) وصار مسيحاً للرب (١صم٢٤: ٦). وداود الفتى الصغير - لما مُسح بهذا الزيت المقدس - حلّ روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعداً (١صم١٦: ١٣).

بل إن يعقوب أبا الآباء، لما صب زيتاً على الحجر الذى كان تحت رأسه كرّس المكان بيتاً للرب وقدّسه ودعاه بيت إيل (تك٢٨: ١٨، ١٩، ٢٢) .

فهل العذارى الجاهلات: كان نقص الزيت عندهن، يعنى نقص عمل الروح فيهن؟ وبالتالى نقص الدعوة الإلهية .

✠ ✠ ✠

هوذا الرسول يقول "كيف يكرزون إن لم يُرسلوا؟!" (رو١٠: ١٥) .

إن القديس يوحنا الرسول يحدثنا عن أهمية المسحة فى العهد الجديد فيقول "وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ" "وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد. بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ، وهى حق" (١يو٢: ٢٠، ٢٧) .

ألعل زيت مصابيح العذارى، يذكرنا بزيت الميرون الذى يقدسنا؟

وبه نصبح هياكل لله، والروح القدس يسكن فينا" (١كو٣: ١٦).. وبهذا الروح ننال إستنارة من الرب. كما قال الرسول "الذين أستنيروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس" (عب٦: ٤) ..

حقاً إن الروح القدس هو نور لنا. لذلك يحذرنا الكتاب قائلاً "لا تطفئوا الروح" (١تس٥: ١٩) .

فهل حدث مثل هذا الإنطفاء للعذارى الجاهلات ؟

✠ ✠ ✠

إننا نبدأ حياتنا مع الله بأن نولد من الماء والروح فى المعمودية (يو٣: ٥). ثم ننال الروح القدس وسكناه فينا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون. هذه النعمة التى نالها المؤمنون فى بداية العصر الرسولى بواسطة أيدى الرسل (أع٨: ١٧) (أع١٩: ٦) .

فهل مجرد نوال الروح القدس يكفى ؟

بل يقول الكتاب "امتلئوا بالروح" (أف٥: ١٨). هذا هو الذى كان ينقص العذارى الجاهلات . على الأقل لم يضرموا الروح فيهم

✠ ✠ ✠

هذا الذى نصح به بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً له : "أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوضع يدىّ" (٢تى١: ٦) .

لا يكفى أن تكون مع مصابيحنا أوانٍ ، بل يجب أن نملأها زيتاً، ونضرم الروح الذى فينا. ولكن كيف ؟

بأن نحيا بالروح، ونسلك بالروح (رو٨: ١) وتكون لنا شركة مع الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤)، وننال الإستنارة من الروح. لأن هذه الإستنارة مصدرها الزيت، كما كانت السُرج فى خيمة الإجتماع فى العهد القديم يجب أن تكون موقدة باستمرار، كما أمر الرب الشعب "أن يقدموا زيت زيتون مرضوض نقياً للضوء لإصعاد السرج دائماً"(خر٢٧: ٢٠)

وقد أمر الرب فى الإستعداد لمجيئه قائلاً "لتكن أحقاؤكم ممنطقة، وسرجكم موقدة. وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع.." (لو١٢: ٣٥، ٣٦) .

✠ ✠ ✠

وكيف كانت السرج تضئ، فى ذلك العصر قبل الكهرباء ؟

تضئ بزيت يصل إلى فتيلة مشتعلة، فيدوم إشتعالها بدوام وصول الزيت إليها. فإذا أنتهى الزيت، انطفأت . وهكذا حال الإنسان مع الروح القدس .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الشموع المصنوعة من الزيت، تضئ طالما زيتها فيها. كالقديس ينير بالروح القدس العامل فيه.. فالروح القدس هو مصدر النور بالنسبة إلى فتيلة السراج، ونور الشمعة .. كرمز. والمهم هو أن يحافظ الإنسان على مصدر الزيت الذى يضئ مصباحه حتى لا ينطفئ .

مصابيحنا تنطفئ :

مأساة العذارى الجاهلات هى قولهن "إن مصابيحنا تنطفئ" (مت٢٥: ٨) .

معنى هذا أنه ليس لهن روح الله عاملاً فيهن. جاء الرب فى وقت لم تكن فيه لهن شركة مع الروح القدس . لذلك لم تكن لهن صلاحية للدخول إلى العرس. لم تكن لهن الإستنارة الداخلية التى تؤهلهن لذلك .

✠ ✠ ✠

العجيب أنهن طلبن من الحكيمات أن يعطين لهن من زيتهن !

ولم يكن هذا ممكناً. فالزيت يعبر عن عمل الروح فى القلب. وهذا بلا شك هو أمر شخصى، لا يمكن فيه للإنسان أن يمنحه. أى أن يمنح حالته الشخصية لآخر. لا يستطيع أن يمنحه علاقته بالله أو شركته مع الروح القدس !

كل شخص مصباحه يضئ بالزيت الذى فيه، وليس بزيت غيره!

بر الإنسان مسألة شخصية، لا تُعار لغيره، كما قيل فى سفر حزقيال النبى "بر الإنسان عليه يكون. وشر الشرير عليه يكون" (حز١٨: ٢٠).

✠ ✠ ✠

بر داود لم يكفِ لإنقاذ أبشالوم. فهلك أبشالوم على الرغم من كونه إبناً لداود! وصلاح ابينا ابراهيم لم ينفع الغنى الذي عاصر لعازر المسكين. بل إن ذلك الغنى طلب قطرة ماء يبلل بها لسانه من عذاب اللهيب، ولم يجد عند لعازر ولا عند ابراهيم (لو١٦: ٢٤، ٢٦).

وصلاح أليشع النبى لم ينفع تلميذه جيحزى، حينما أخذ عكاز أليشع ليضعها على ابن الشونمية الميت لكى يحيا. بل بركة عكاز أليشع مصدرها أليشع نفسه، ولا تتوافر هذه البركة فى يد جيحزى (٢مل٤: ٢٩- ٣١) .

الروح القدس الساكن فى أليشع، لم يمكن أعارته لجيحزى .

✠ ✠ ✠

إن بر أبينا نوح لم ينتقل إلى حفيده كنعان، بل استمر كنعان فى لعنته أجيالاً وأجيالاً، حتى لقاء السيد الرب مع المرأة الكنعانية (تك٩: ٢٥) (مت٥: ٢٢، ٢٦).. لهذا لم تستطع العذارى الحكيمات أن يعطين من زيتهن للجاهلات .. اللائى كانت لهن مصابيح، ولكن بلا زيت ...

✠ ✠ ✠

حقاً ، ما فائدة المصابيح ، إن لم يكن فيها زيت .

ماذا ينفع الإنسان إن كان له اسم مسيحى، وليس له إيمان بالمسيح! بماذا ينفعه الإسم. أو إن كان له إيمان، ولكنه إيمان شكلى نظرى، ليست له شركة مع الروح القدس ومع العمل الروحى!

ماذ ينتفع خادم فى منتهى النشاط والحركة، ولكن بدون روح! وكأنه مصباح بدون زيت! هكذا كانت العذارى الجاهلات .

المصباح هو شخصية الإنسان، والزيت هو الروح العامل فيه. أما آنيتهن التى يكنز فيها الزيت، فهى القلب والفكر والإرادة ...

✠ ✠ ✠

وقد عاشت الحكيمات طول عمرهن يكنزن زيتاً فى آنيتهن. وعندما نعسن ونمن، كانت آنيتهن مملوءة زيتاً، لأنه كان لهن هذا الاستعداد قبل نوم الموت. أما الجاهلات فكانت آنيتهن فارغة من الزيت ... وللأسف لم يكتشفن ذلك إلا بعد فوات الفرصة .

لم يفحصن آنيتهن جيداً قبل النوم، حسب نصيحة الكنيسة لنا فى صلاة النوم وصلوات نصف الليل التى نقول فيها : "**توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى القبر لا يسبّح. ليس فى الموتى من يذكر، ولا فى الجحيم من يشكر!**

✠ ✠ ✠

حقاً لا يمكن ابتياع الزيت بعد الموت. وبائع الزيت الوحيد هو الله، الذى يكون قد أغلق الباب وانتهى زمن البيع .

إن الكنيسة علمتك دوام الإستعداد، وأن تنذر نفسك قائلاً :

"لو كان العمر ثابتاً، وهذا العالم مؤبداً، لكانت لك يا نفسى حجة واضحة. لكن إذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة أمام الديّان العادل، فأى جواب تجيبين وأنت على سرير الخطايا منطرحة، وفى إخضاع الجسد متهاونة؟!" .

✠ ✠ ✠

ومع ذلك، فالعذارى الجاهلات لم يستمعن إلى الإنذارات، ولم يذهبن لبيتعن زيتاً. وظللن هكذا إلى وقت مجئ المسيح الثانى. يقول الكتاب:

وصار صراخ: هوذا العريس قد أقبل" (مت٢٥: ٦) .

هذا الصراخ ، هو صوت الملائكة بأبواق معلنة مجئ الرب.. لأن الكتاب يقول "لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء" (١تس٤: ١٦) "فى لحظة، فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوّق فيقام الأموات.." (١كو ١٥: ٥٢) .

يجئ الرب "والمستعدات يدخلن معه فى فرح ، ويغلق الباب" (مت٢٥: ١٠) .

✠ ✠ ✠

كانت المأساة الأولى للعذارى الجاهلات أنهن وجدن مصابيحهن تنطفئ. أما المأساة الثانية، فكانت أن باب الرب قد أغلق دونهن .

وأغلق الباب :

مجئ الرب سيكون "فى اليوم الذى لا تتوقعه، وفى الساعة التى لا تعرفها" (لو١٥: ٢٦). "فى نصف الليل" ، فى الظلام، وأنت نائم لا تدرك. تسمع صوتاً يقول لكل العذارى "هوذا العريس قد أقبل فأخرجن للقائه". فيخرج الجميع، ولكن ليس بمشاعر واحدة. القلوب المستعدة تقابله بفرح أما غير المستعدين فتقول "للجبال غطينا، وللتلال أسقطى علينا" (لو ٢٣: ٣٠) (رؤ٦: ١٦). من خوف الملاقاة. حينئذ لا توجد فرص بعد، ويغلق الباب.

✠ ✠ ✠

أغلق باب التوبة، وباب الرجاء، واغلقت كل فرص الأستعداد.

لا توبة بعد الموت، ولا زيت يُباع وقتذاك. وباب الملكوت يُغلق على من فيه. لا الذين فى الداخل يخرجون منه، ولا الذين فى الخارج يستطيعون أن يدخلوا. وكما كان من قبل

"الله يفتح ولا أحد يغلق" الآن – بعد القيامة – هو "يغلق ولا أحد يفتح" (رؤ٣: ٧) .

✠ ✠ ✠

وأسفاه على الفرص الضائعة لقد كان الباب مفتوحاً قبل الموت!

كان الباب مفتوحاً أمام داود الذى أخطأ وتاب. وكان مفتوحاً أيضاً أمام أغسطينوس ، وموسى الأسود، وشاول مضطهد الكنيسة، وأريانوس والى أنصنا. كلهم أخطأوا وتابوا ودخلوا من الباب المفتوح، كما دخلت بيلاجية ومريم القبطية وكثيرات. أما بعد غلق الباب فلا توجد فرصة للاستعداد ولا لابتياع الزيت!

✠ ✠ ✠

فاستعد الآن يا أخى، فالباب لا يزال مفتوحاً .

اختبر آنيتك كل يوم، وكن على الدوام مستعداً. هوذا القديس بولس الرسول يقول "جربوا أنفسكم: هل أنتم فى الإيمان؟ أمتحنوا أنفسكم" (٢كو١٣: ٥) .

لا تفعل كالعذارى الجاهلات ، اللائى ذهبن فى حيرة وفى يأس يبتعن زيتاً، بينما الباب قد أغلق . وأصبحن يقرعن بلا رجاء فيجيبهن الرب :

إنى لا أعرفكن :

كانت هذه هى المأساة الثالثة والأخيرة والمرعبة: أن يقول لهن الرب "إنى لا أعرفكن".

لا أعرفكن كبعض من خاصتى، ومن خرافى. لا أعرفكن كأبناء النور وأبناء الملكوت! لا أعرفكن . لأن من ينكرنى قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات (مت١٠: ٣٣) . أنا لا أعرف أصحاب المصابيح غير المضيئة. لا أعرف الذين لم تكن له شركة مع الروح القدس. هكذا قال نفس العبارة للذين قالوا له "يارب يارب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟!" (مت٧: ٢١- ٢٣). أما هو فأجابهم "إنى لا أعرفكم قط" .

"لا أعرفكم" تعنى أنكم لا تستحقون معرفتى لكم .

عبارة صعبة ومخيفة ، إذ يقول الكتاب لأمثال هؤلاء "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠: ٣١) . طبعاً مخيف لغير المستعدين .

لذلك ، حاول أن تملأ آنيتك زيتاً من الآن ، قبل أن يُغلق الباب.

الباب السادس

محبة القريب

السامري الصالح

(لو١٠ : ٢٥-٣٧)

مَثل السَامرى الصَالح

(لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

إنه مثل مشهور جداً ، لدرجة أنه بلغ من تأثيره على الناس تأسيس كثير من الجمعيات الخيرية والهيئات الإجتماعية أطلقت على نفسها إسم "السامرى الصالح" كنموذج لعمل الخير مع الكل .

مناسَبة المثل

أحد الناموسيين سأل السيد المسيح "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" وهو سؤال وجهه إلى السيد كثير من الناس: قال ذلك أحد الرؤساء (لو١٨: ١٨) وأيضاً الشاب الغنى سأل نفس السؤال (مت١٩: ١٦). وسأله هذا الناموسى . نفس السؤال . والناموسيون جماعة يقرأون الناموس ويحفظونه، وهم على دراية بشريعة الله وكتابه المقدس .

فأجاب الرب على سؤال ذلك الفريسى بسؤال آخر وهو : ما هو مكتوب فى الناموس. كيف تقرأ؟ وهو سؤال اعتاده الناموسيون والكتبة أيضاً. فأجاب الناموسى بالوصية العظمى في الناموس: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك" (تث٦: ٥) "وتحب قريبك كنفسك" (لا١٩: ١٨). ولم تكن محبة الله موضع سؤال. فسأل من جهة محبة القريب:

✠ ✠ ✠

من هو قريبى ؟ (لو١٠: ٢٩) .

لأن اليهود ما كانوا يعاملون السامريين (يو٤: ٩)، وكذلك كانوا يكرهون الأمم. إذن من يكون قريبه؟ هل هو الإنسان اليهودى فقط؟

ولكى يشرح الرب معنى القريب، ذكر مثل السامرى الصالح (لو١٠: ٣٠- ٣٦) .

✠ ✠ ✠

والمنطقة التى حدث فيها المثل ، هى ما بين أورشليم وأريحا .

وهى منطقة جبلية وعرة . والطريق بين المدينتين طريق موحش فيه الكثير من الكهوف التى كان يسكنها اللصوص . لذلك أصبح خطراً على السالكين فيه، وبخاصة التجار الذين قد يهجم عليهم اللصوص لسلب أموالهم. ولذلك لُقب ذلك الطريق بالطريق الدموى . وكان هو مسرح المثل .

على أن مثل السامرى الصالح يمكن أن يُفسر بطريقتين :

بالطريقة الرمزية ، وبالطريقة الواقعية ، كما سنرى .

التفسير الرمزى للمثل

★**المسافر** : هو إنسان مسافر فى طريق الحياة من الميلاد حتى الوفاة .

★**نازل من أورشليم إلى أريحا :**

أى هابط من المستوى الروحى الذى لأورشليم المدينة المقدسة، مدينة الملك العظيم (مت٥: ٣٩)، مدينة العبادة والذبيحة والهيكل.. إلى أريحا التى هُدمت أسوراها، وتكلم ضدها يشوع بن نون (يش٦: ٢٦) .

هذا النزول له خطورته روحياً، لأنه يعرض المسافر للصوص:

✠ ✠ ✠

★**وقوع المسافر بين لصوص ، فعرّوه وجرحوه :**

يرمز اللصوص إلى الشيطان وأعوانه. فالشيطان هو أول لصّ سرق منا الفردوس، أخرجنا منه وسلبنا السعادة التى عاش فيها الإنسان الأول .

★أما عبارة **عروّه**. فمعناه عروّه من ثوب البر. فالبر ترمز إليه الثياب البيضاء التى كان يلبسها الإنسان الأول، والتى وعد بها الرب الغالبين، إذ قال "من يغلب ، فذلك سيلبس ثياباً بيضاء" (رؤ٣: ٥).

★الإنسان الأول عرّاه الشيطان من بساطته وبراءته وقداسته الأولى. وهكذا عرف آدم وحواء أنهما عريانان (تك٣: ٧). وهكذا قال الرب لراعى كنيسة لاودكية الخاطئ إنه شقى وبائس وفقير وعريان (رؤ٣: ١٧) .

✠ ✠ ✠

★هذا المسافر لم يكتف اللصوص بسلبه، بل أيضاً عروه **وجرحوه**، أى سببوا له آلاماً

فى الجسد والنفس والروح، وأتعبوا ضميره ومشاعره. كما أن عبارة (جرحوه) تدل على قسوة عدو الخير فى محاربته للإنسان والعمل على إهلاكه. وتصل هذه القسوة إلى عبارة:

★**وتركوه بين حى وميت** : أى لم يكتفوا فقط بإسقاطه، إنما تركوه على حافة الهلاك. كما يقول المزمور "كثيرون يقولون لى: ليس له خلاص بإلهه" (مز٣: ٢). وهكذا قيل عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) ...

✠ ✠ ✠

حقاً إن النازل من أورشليم إلى أريحا، لا يدرى فى أى مكان يكمن له اللص. وعن هذا قال المرتل فى المزمور "فى الطريق التى أسلك، أخفوا لى فخاً. تأملت عن يمين وأبصرت، فلم يكن من يعرفنى. ضاع المهرب منى، وليس من يسأل عن نفسى.." (مز ١٤٢: ٣، ٤).

هذا الإنسان عاجز عن خلاص نفسه، ويحتاج إلى معونة من فوق .

فاللصوص – سارقوا الأرواح – يعملون فى خفية وفى قسوة، وبأنواع وطرق شتى. وأحياناً بطريقة تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم١٤: ١٢)(أم١٦: ٢٥). لابد إذن من تدخل الله. وهنا ظهر الكاهن واللاوى.

الكاهـن واللاوى :

فى أيام السيد المسيح لم يكن الكهنة واللاويون على مستوى المسئولية الرعوية، بل هم الذين هاجموا المسيح نفسه وحكموا عليه باستحقاق الموت. وهم الذين قال الرب عنهم فى مثل الكرامين الأردياء إن ملكوت الله ينزع منهم، ويُعطى لأمة تصنع ثماره (مت٢١: ٤٣، ٤٥). وقد ذكرهم السيد فى هذا المثل ليُشعر الناموسى الذى سأله ، أنه يتبع أناساً بعيدين عن الله.

الكاهن واللاوى نظرا المسافر الجريح، **وجازا مقابله** . أى تركاه كما هو، وسارا فى طريقهما، دون أن يأبها به !

وهذا يعنى – من الناحية الرمزية – أنه لا معونة بشرية قُدمت لهذا المسافر الجريح حتى من المسئولين الرسميين المفروض فيهم أن يهتموا به!

✠ ✠ ✠

★**السامرى : من الناحية الرمزية ، يمثل السيد المسيح فى هذا المثل:**

أتى حينما فشل الحل البشرى، وعجز الخاطئ الجريح عن خلاص نفسه. وقال للرب – كما فى المزمور – "أنت هو رجائى وحظى فى أرض الأحياء" (مز١٤٢: ٥). وكما كان السامرى مرفوضاً من اليهود، كان السيد المسيح هو "الحجر الذى رفضه البناءون" (مز١١٨: ٢) .

☩ ☩ ☩

★**السامرى هو الذى خلّص الجريح، كما خلّص المسيح العالم.**

وكيف ؟ لما رآه "**تحنن**" (لو١٦: ٣٣). هذا الحنو هو الذى كان سبباً فى كل عمله. بالحنو ضمد جراحه. وما كان الخمر والزيت، وركوبه على الدابة، والفندق والدينآران إلا نتائج لمشاعر القلب التى أظهرها من نحوه..

☩ ☩ ☩

وهكذا نجد عبارة "تحنن" تسبق كثيراً من أعمال سيدنا المسيح ومعجزاته.

تحنن على الابن الضال وقبله إليه (لو١٥: ٢٠). وتحنن على أرملة نايين وأقام إبنها (لو٧: ١٣). "ولما رأى الجموع تحنن عليهم، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها" (مت٩: ٣١). "ولما أبصر جمعاً كثيراً، تحنن عليهم وشفى مرضاهم" (مت١٤: ١٤). وهكذا كان الحنان عند الرب، هو نقطة البدء ...

وبالمثل حدث مع السامرى الصالح : لما رأى الجريح الملقى على الطريق **تحنن** وتقدم، **وضمد جراحاته** .

وهكذا فعل مع أورشليم الخاطئة، التى كانت "مدوسة بدمها" (حز١٦: ٦). فقال لها "حممتك بماء، وغسلت عنك دماءك، ومسحتك بزيت" (حز١٦: ٩). داوى المسيح جراحنا.

☩ ☩ ☩

وصب على جراحه **زيتاً وخمراً** . الزيت يرمز إلى الروح القدس، والخمر يرمز إلى دمه الكريم فى سر الإفخارستيا. وماذا بعد؟

★**وأركبه على دابته**، أى على الإيمان الذى يستطيع أن يوصله

★**وأتى به إلى فندق**، أى إلى الكنيسة التى يعيش فيها ويستريح.

★**واعتنى به** ، أى سلمه إلى عمل الرعاية .

★**وأعطى دينارين لصاحب الفندق** .

لعلهما شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد، كوسيلة للعناية

أو لعلهما الإنجيل وأسرار الكنيسة المقدسة، أى التعليم والأسرار.

أو هما النعمة والجهاد ، وبهما يشفى الجريح .

ووعد بالمجئ ثانياً (لو١٠: ٣٥) : أى فى مجيئه الثانى سيكافئ الكنيسة على عملها فى رعاية هذا الجريح. ويأخذه أيضاً إليه ...

التفسير الواقعى للمثل

المسافر :

إنسان مسافر فى طريق وعر ، نازل من أورشليم المبنية على الجبال، إلى أريحا، وسط منحدرات المرتفعات وكهوف اللصوص. وكان وحده فوقع فى أيدى اللصوص، فسلبوه وجرحوه، وتركوه بين حىّ وميت Half - dead .

✠ ✠ ✠

مَرّ عليه كاهن وَلاوى :

الكاهن من صميم عمله الروحى العناية بأمثال هذه الحالات. ولعله كان قادماً من الهيكل، فى حالة روحية، حيث العبادة والتقدمات. ولعل الجريح استبشر إذ رآه، وتوقع منه خيراً. ولكنه "جاز مقابله" (لو١٠: ٣١)، على الرغم من أنه كان فى حالة يُرثى لها ويحتاج بلاشك إلى إنقاذ عاجل ... ومع ذلك لم يأبه الكاهن به.. .

✠ ✠ ✠

هذا الكاهن الذى من فمه تطلب الشريعة (ملا٢: ٧). كان يعرف أن الشريعة تأمره بالرأفة حتى على الحيوانات ...

إذ يقول الكتاب "إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً، ترده إليه. وإن رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله، وعدلت عن حله، فلابد أن تحل معه" (خر٢٣: ٤، ٥).

فكم بالأولى كان يجب على الكاهن أن يعمل عمل رحمة مع أخيه هذا اليهودى الجريح والملقى على الطريق؟! أليس هذا لوناً من التدين الأجوف أن يقدم الذبائح فى بيت الرب، ويهمل أخاه! بينما يقول الرب "أريد رحمة لا ذبيحة" (هو٦: ٦). وهو لا قدّم رحمة، ولا تأثر روحياً بما كان قد قدمه من ذبائح!

✠ ✠ ✠

واللاوى الذى هو مساعد الكاهن فى خدمة بيت الرب، وهو أحد الذين اختارهم بدل كل بكر فاتح رحم (عد٨: ١٥، ١٦)..

هذا اللاوى أيضاً نظر إلى الجريح ، وجاز مقابله على الرغم من الوصية ، ومن المسئولية الرسمية، ومن المشاعر الإنسانية!!

ما كان فى قلب الكاهن، ولا فى قلب اللاوى ، مشاعر شفقة أو حنان، ولا حتى أداء الواجب كرجال دين عليهم مسئولية نحو الغرباء والضعفاء..! وهما مكرسان للخدمة ...

✠ ✠ ✠

ولعل الرب دفع هذا الغريب الجريح فى طريقهما لاختبار أمانتهما

فليس المهم هو العمل الرسمى فقط، بل بالأكثر ما يعرض لنا فى الطريق .

إذ قد يعتذر هذان بأنهما أسرعا فى الطريق، إذ كانت وراءهما مسئولية أخرى.. وحتى لو كان الأمر كذلك، فالواجب الذى عرض أمامهما كان أهم. وربما فكّر الكاهن أنه عندما يصل إلى غايته، سيكلف من يأتى لإنقاذ هذا الجريح! وهذا خطأ يحمل خطراً، لأن كل دقيقة تمرّ على ذلك المسكين – الذى هو بين حىّ وميت – كانت تقربه من الموت، إن تُرك بدون إغاثة .

✠ ✠ ✠

حقاً ، إن كثيراً من أعمال الخير يلزمها السرعة، إذ قد يكون التباطؤ فيها له خطره ونتائجه المؤلمة .

كما أن التفكير فى التحويل على الغير، لا يدل على حرارة فى القلب من الداخل.. أو ربما فكر الكاهن واللاوى أن الطريق خطر، وقد يعود اللصوص مرة أخرى، فتكون العواقب سيئة عليهما. لذلك فضّلا سلامة نفسيهما. وفى هذا أنانية لا يصح أن يتصف بها رجل دين مفروض فيه أن يبذل نفسه عن الآخرين .

✠ ✠ ✠

أو ربما فكّرا أن حالة ذلك الجريح ميئوس منها، فلا داعى لأن يتعبا لأجله. واليأس من إنقاذ الآخرين هو عيب آخر فى الخدمة.

وكان الواجب عليهما أن يبذلا كل ما فى طاقتهما أن يفعلاه، ويصليا أن يكمل الرب ما ينقص من جهدهما، وينقذ الرجل . وأيضاً كان عليهما أن يتذكرا قول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله" (أم٣: ٢٧). ولاشك أنه كان فى طاقة كل منهما أن يفعل خيراً نحو رجل جريح متألم ...

✠ ✠ ✠

الكاهن واللاوى يعرفان الشريعة ، ولكنها معرفة بغير تطبيق!

ليس من المستبعد أن يكون ذلك الكاهن قد ألقى دروساً أو عظات عن محبة القريب. ولكنه لما واجه التطبيق العملى لم يفعل شيئا!

ولكنه يمثل الموظف الرسمى، وليس القلب الحنون. وحتى كموظف، هو قد أهمل واجبه الوظيفى ، حيث يظن أنه لا رقيب عليه أثناء سيره فى ذلك الطريق، أو لا محاسب يحاسبه .

✠ ✠ ✠

والسيد المسيح - فى هذا المثل - أراد أن يلفت نظر الناموسى الذى يسأله إلى وضعهم كمعلمى الناموس : فى أنهم "يجلسون على كرسى موسى" (مت٢٣: ٢). ومع ذلك "يقولون ولا يفعلون" (مت٢٣: ٣).

بقى أن نتحدث عن دور ذلك السامرى الصالح .

وبداءة نقول : من هم السامريون ؟ وما قصتهم ؟

السَامريون

كانوا لا يؤمنون إلا بأسفار موسى فقط، وينكرون باقى الأسفار، لكراهيتهم لرحبعام بن سليمان (١مل١٢)، وكل بيت داود أبيه. بما فى ذلك مزامير داود، وحكمة سليمان وأمثاله وباقى كتبه. وكان اليهود يكرهونهم ولا يتعاملون معهم (يو٤: ٩)، ويعتبرونهم جنساً غريباً، كالأمم .

✠ ✠ ✠

★وقد عمل الرب على اجتذابهم ، وتقديم فكرة حسنة عنهم أمام اليهود كما فى قصة السامرى فى هذا المثل ...

★فلما أغلقت إحدى مدن السامرة أبوابها فى وجهه ولم تقبله لأن وجهه كان متجهاً إلى أورشليم. وغضب تلميذاه يعقوب ويوحنا وقالا له "أتريد يارب أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" حينئذ "التفت الرب وانتهرهما وقال "لستما تعلمان من أى روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص" (لو٩: ٥٣-٥٦).

✠ ✠ ✠

★كما امتدح الرب ذلك السامرى الذى كان أبرص فشفاه الرب ضمن عشرة برص آخرين قد شفاهم، وجاء ذلك السامرى ليشكره فمدحه الرب وقال "أليس العشرة قد طهّروا، فأين التسعة؟! ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟! ثم قال له :

قم وامضِ. إيمانك خلصك" (لو١٧: ١١- ١٩) .

إن الرب يلاحظ النقط البيضاء الموجودة حتى عند أسوأ الناس، ويطوّبها .

وهكذا فعل مع هذا السامرى الذى كان أبرص. ومع أن عقيدته لم تكن سليمة تماماً، إلا أن الرب امتدح شيئا من الإيمان كان فيه.

✠ ✠ ✠

وبالمثل تصرّف مع المرأة السامرية التى كانت سيرتها رديئة. وأعجب بأنها تحب أن تشرب من الماء الحى، وأنها تسأل عن مكان السجود، وتعرف قصة بئر يعقوب. وتعرف "أن المسيا الذى يُقال له المسيح سيأتى ، ويخبرهم بكل شئ" (يو٤: ١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٥). فشجعها حتى اعترفت وقال لها "حسناً قلتِ.. هذا قلتِ بالصدق" (يو٤: ١٧، ١٨).

وكان حديثه مع هذه السامرية الخطوة الأولى لدخوله إلى السامرة، وإيمان كثير من السامريين على يديه، وقولهم "نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" (يو٤: ٣٩- ٤٢).

✠ ✠ ✠

وهذا السامرى الصالح ، امتدح الرب شفقته ، واهتمامه بعمل الخير، وليس ضعف عقيدته. إنها نقطة بيضاء جميلة فيه .

مثال ذلك مدح الرب لوكيل الظلم لأنه بحكمة صنع، واهتم بمستقبله، على الرغم من ظلمه وعدم أمانته فى وكالته .

إنه درس لنا، أن نبحث عما فى الناس من نقط بيضاء، ونمتدحها.

✠ ✠ ✠

وقد اهتم الرب بالسامريين المنبوذين من المجتمع اليهودى، وكذلك بأمثالهم من المحتقرين كالعشارين والخطاة، واجتذبهم إليه، إلى التوبة .

بهذا الحنان تصرف مع زكا العشار، ودخل بيته، وقال عنه "إنه أيضاً ابن لإبراهيم" وبتوبته قال "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو١٩: ٩). وأيضاً جذب إليه متى العشار ، وجعله رسولاً (مت٩: ٩). وحضر وليمة فى بيته، حضرها عشارون وخطاة (مت٩: ١٠). وإتكأ معهم ...

وبهذا أعطانا السيد المسيح مثالاً أن نكسب الناس، كما قيل :

"رابح النفوس حكيم" (أم١١: ٣٠) .

✠ ✠ ✠

نعود الآن إلى (السامرى الصالح) . ونتأمل الخير الذى فيه .

السامرى الصالح

كان هذا الغريب الجنس ينفذ وصايا الناموس أكثر من الكاهن واللاوى .

فبينما كان فى نظر اليهود محتقراً، كان مقبولاً عند الله، ومثالاً صالحاً لليهود إذ كان أفضل منهم، بل كان مثالاً لأجيال كثيرة. وقد اختاره الرب من بين فاعلى الخير، ليضعه نموذجاً أمامنا .

☩ ☩ ☩

وكان مسافراً فى نفس الطريق الوعر على دابته، ورأى أمامه ذلك اليهودى الجريح بين حى وميت، فتحنن وتقدم لإنقاذه .

ربما اندهش الجريح اليهودى، لما رأى السامرى مقبلاً إليه ليعالجه.

أو لعل خوفاً أدركه. ولكن نظرة الحنو والإشفاق فى عينى السامرى قد طمأنته .

لم يضع فى ذهنه أن الجريح يختلف معه فى العقيدة والجنس، أو هو من شعب عدو. إنما يكفى أنه إنسان فى حاجة إلى معونة.

☩ ☩ ☩

وضرب لنا بذلك مثالاً فى عدم التعصب، بل فى محبة الأعداء والبذل لأجلهم. وذكرنى بمستشفى ذهبت إليه قبل رهبنتى لكى أزور مريضاً. فرأيت لافتة عند مدخل المستشفى مكتوب عليها "نحن لا نسألك عن دينك أو مذهبك، إنما نسال عن صحتك ونهتم بشفائك".

☩ ☩ ☩

هذا السامرى كان أيضاً ، لا يهتم بما قد يتعرض له من شكوك ممن قد يضبطه فجأة، وهو أمام عدو بين حى وميت .

فقد يتهمونه بأنه قد قتله، وها هو فى مسرح الجريمة. ومعروفة علاقة البغض بين اليهود والسامريين. وهنا لم يهتم بنفسه، إنما كان كل اهتمامه بهذا الجريح. ولم يشغل نفسه بأن اللصوص ربما يعودون إلى المكان ، فيسيئون إليه. كان منكراً لذاته ، لا يفكر فيما قد يحدث له ...

☩ ☩ ☩

وكان سريعاً فى عمل الإسعاف الذى قام به، ومتقناً لعمله :

نزل عن دابته، وضمد جروح ذلك الإنسان وصب عليها خمراً وزيتاً. كانت الخمر تُستخدم وقتذاك كمادة مطهّره، لما فيها من كحول. وكان الزيت كمادة عازلة تقى الجروح من الخارج. ولعله كان يحتفظ معه بالخمر والزيت لإحتياجه الخاص فى ذلك الطريق الوعر. ولكنه فضل هذا الجريح على نفسه، باذلاً ما يستطيع من أجله.

* * *

وبعد ذلك حمله وأركبه على دابته، حتى أوصله إلى فندق .

وبهذا كان الجريح راكباً على الدابة، والسامرى الصالح ماشياً على قدميه إلى جواره يسنده طول الطريق ...

إنه مثل عجيب فى البذل، والتضحية، فى كيف يمشى فى ذلك الطريق الصخرى الكرب، وهو يسند مريضاً على دابة بين حى وميت، لا يعرف كيف يضبط ركوبه على الدابة

* * *

أكمل السامرى الصالح عمله حتى النهاية، حتى اطمأن على الجريح .

إنه لم يكتفِ بإسعافه وتركه لمصيره. بل حمله وأوصله إلى فندق، وأعطى صاحب الفندق درهمين، وطلب إليه أن يعتنى به. وكان الدرهمان أجر يومين للعامل فى ذلك الزمن، كما يظهر من مثل الفعلة فى الكرم (مت٢٠: ٢).

وربما الدرهمان كانا كل ما مع هذا السامرى. فلم يقل الكتاب إنه كان رجلاً غنياً. إنه لم يكن مسافراً فى مركبة، ومعه سائق أو سائس كما يفعل الأغنياء. بل كان مسافراً على دابة، وحده ...

* * *

والمثل يعطينا درساً فى المتابعة والإطمئنان على العمل .

فلم يحدث أن السامرى أوصل الجريح إلى الفندق وتركه هناك وسافر. بل أنه بات معه فى الفندق تلك الليلة، ليطمئن على صحته وعلى اجتيازه مرحلة الخطر، إذ يقول المثل "وفى الغد لما مضى.." (لو١٦: ٣٥) "قال لصاحب الفندق: اعتنِ به. ومهما أنفقت أكثر، فعند رجوعى أوفيك" .

عجيب كل هذا التعب والبذل، والإنفاق والوعد بإنفاق أكثر، والوعد بالرجوع مرة أخرى إلى الفندق، للإطمئنان على جريح من أعدائه !!

دروس من المثـل

★أعطانا السامرى درسا عملياً فى معنى : من هو قريبى :

(ليس قريبى من بيته قريب من بيتى، بل من قلبى قريب من قلبه. قريبى هو كل إنسان محتاج إلىّ).

وقد أجاب الناموسى عن هذا السؤال فى آخر المثل فقال عن القريب "الذى صنع معه الرحمة" (لو ١٠: ٣٧). نلاحظ أنه ذكر الوصف، ولم يقل: السامرى . ربما تعصباً منه، أو خشى أن يسمع الفريسيون ذلك فيلوموه ...

✠ ✠ ✠

ندرك من هذا المثل أيضاً أن المحبة كالنور، تنتشر فى كل مكان بلا تمييز. لا تخص مكاناً دون آخر .

كالشمس يتمتع بضيائها كل شخص، دون تمييز من جهة الجنس أو الدين أو المذهب. وبهذا تصرف السامرى بإنسانيته الخالية من التعصب: تحنن على الجريح مع أنه عدو له.. وبحنوه عليه جعله قريباً له .

✠ ✠ ✠

★لم يسمح لنفسه بالتفكير أو التردد ، بل أسعفه بتلقائية نتيجة لتحننه. فأحياناً التردد أو التفكير، يعطى فرصة لعدو الخير أن يتدخل.

لذلك إذا تحرك قلبك لفعل الخير، فلا تسمح للفكر أن يناقشه أو أن يؤجله. كذلك يعلمنا المثل أن عمل الخير لا يعترف بالعقبات.

✠ ✠ ✠

★إن تعب السامرى لأجل اليهودى وانفاقه عليه يعلمنا درسين :

أ – أن المال الذى معنا ، ليس هو لنا، بل نحن مجرد وكلاء عليه. منحنا الله إياه لننفقه فى عمل الخير .

ب – إن اليد التى يحركها الحب، لا تشعر بتعب .

الخـامس

من أول وهله ، ندرك أن هذا المثل يقدم لنا أربعة أشخاص هم: الكاهن ، واللاوى ، واليهودى الجريح، والسامرى الصالح .

وفى الواقع كان هناك خامس أدار العمل كله ، وهو الله .

ولا نستطيع أن نتأمل هذا المثل ، دون أن ندرك عمل الله فيه .

✠ ✠ ✠

الله هو الذى أرسل الكاهن واللاوى لكى يقوما بواجب نحو ذلك الجريح، ولكنهما لم يقوما بواجبهما. فأرسل الله ذلك السامرى الصالح، لأنه يعرف ما فى قلبه من مشاعر طيبة. بل هو - تبارك إسمه - هو الذى وضع فى قلب السامرى كل تلك المشاعر. وقد أرسله فى ذات الوقت الذى يحتاج فيه الجريح إلى معونة عاجلة. وأرسله أيضاً فى ذات المكان ...

✠ ✠ ✠

أما عن الجريح ، فقد سمح له الله بتلك التجربة، ليجعله فرصة لعمل الخير معه. ولكى يظهر الرب أنه "يجرح ويعصب" (أى٥: ١٨) .

نعم "يسحق، ويداه تشفيان" (أى٥: ١٨) فى نفس الوقت الذى فيه اعتدى عليه اللصوص، أرسل له الرب من يضمد جروحه ومن يعتنى به.

بالصدفة

يقول المثل "وعرض أن كاهناً.." (لو١٠: ٣١). وفى الترجمة الإنجليزية By Chance أى "بالصدفة" . إنها تبدو كذلك صدفة !

✠ ✠ ✠

وفى الواقع إن ما سميت صدفة ، كانت هى التدبير الإلهى .

✠ ✠ ✠

وكثير من الأمور تبدو لنا صدفة، وهى تدبير إلهى .

بالصدفة جاء الكاهن واللاوى والسامرى . وفى حقيقة الأمر كان مرورهم على الجريح تدبيراً إلهياً، بهدف إلهى ...

وليس صدفة أن السيد المسيح ذكر هذا المثل، بل قصداً لإعطائنا مثالاً عن (محبة الأعداء) التى أمرنا بها فى العظة على الجبل (مت٥: ٤٤) .

✠ ✠ ✠

والسامرى الصالح فى هذا المثل كان مثالاً للسيد المسيح .

الذى وجدنا أمواتاً بالخطايا (أف٢: ١، ٥) فخلصنا وأقامنا. ولم يدفع لأجلنا دينارين فقط، بل بذل حياته ودمه.

فهرست الكتاب

صفحة